

الليلة والطريق

* مقالات ومنظومات حديثة *

ورسوم خيالية .

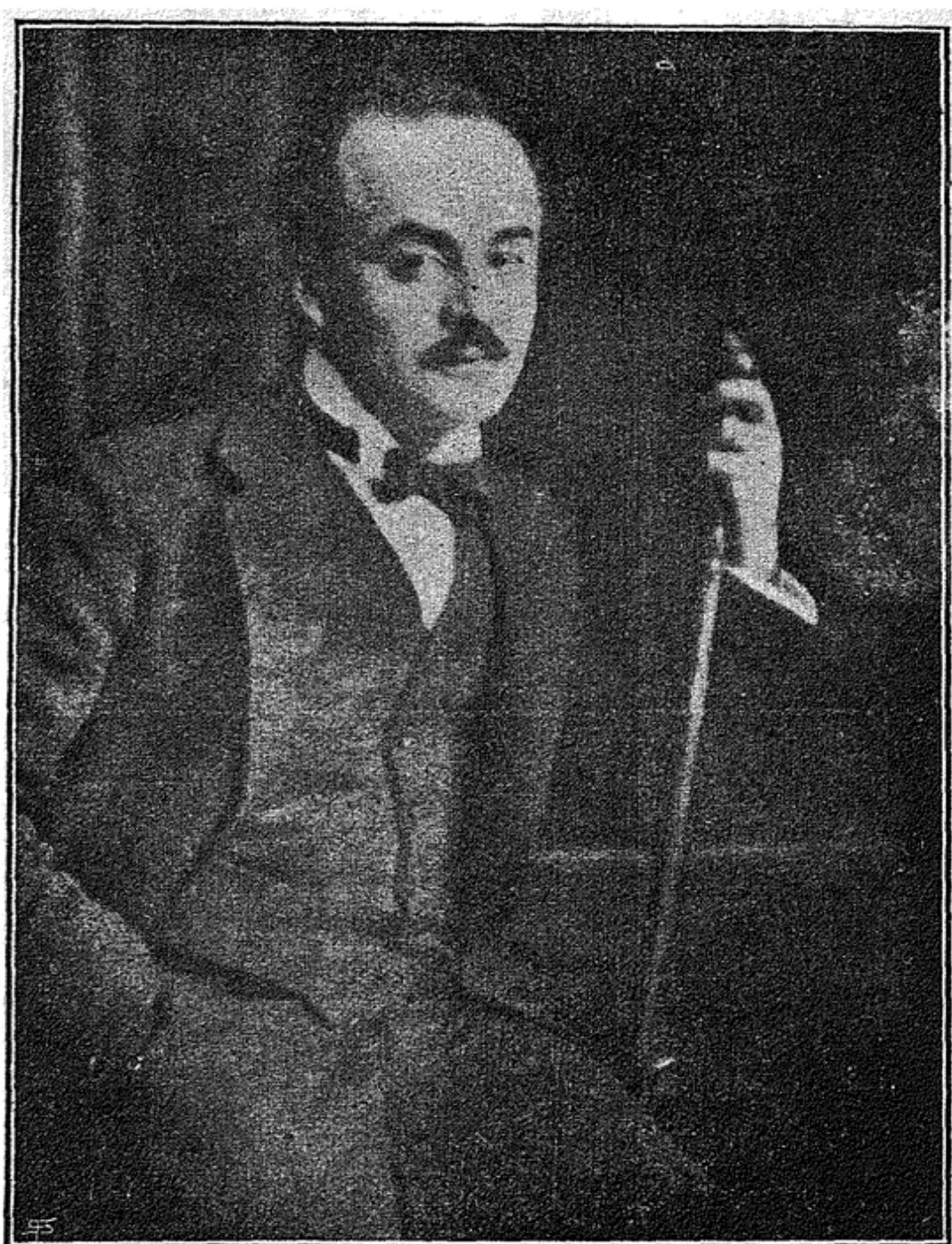
مجبران خليل جبران

عني بنشرها

يوسف توما ستاباني
ضامب مكتبة الهرم

* حقوق الطبع محفوظة *

مطبعة يوسف، بيروت



جیرانه علیل جیرانه

الليلة والطريق

* مقالات ومنظومات حديثة *

ورسوم خيالية .

مجبران خليل جبران

عني بنشرها

يوسف توما ستاباني
ضامب مكتبة الهرم

* حقوق الطبع محفوظة *

مطبعة يوسف، بيروت

كلمة للناشر

جبران خليل جبران الشاعر الناشر والراسم الشاعر وكفى .
رسومه الساكتة الناطقة بهجة الانظار
واقواله المشورة سارت سير الامثال
واشعاره المنظومة ، وان قلت ، طرف يتناشدها الادباء في
الاسئر والاسحاق
فيها الابر ، وفيها الحكيم والمبر
لكتنها ، مسطورة في هذه المجلة او تلك الصحيفة درراً نثيرة
وصوراً مبعثرة ، تكلف الفواص عليها وقتاً وعنتاً فرأينا ان نفر له الوقت
يضيع سدى وتحتمل عنه العنت . فجمتنا ، بعد العناء ما تبدل من مقالاته
المائة ومنظوماته الرائعة ورسومه الوسيمة الفاتنة كلَّ جديد طارف
حنناه الى كتاب اسماه « البدائع والطرائف » فاذا هو بعون الله
ابدع مجموعة ظهرت له فيها كل حكمة ساطعة وكل قول جيل
لعلنا قمنا بواجب نحو هذه اللهة الشريفة وقراءتها الكرام ۰

بروف ثورما البستاني
صاحب مكتبة العرب بالقاهرة بمصر

جبران خليل جبران

ابدع جبران لنفسه طريقة في الكتابة أكتسب بها اعجاب الجمهور وأمتلك قلوب القراء بمواضيعه الشائقة فتحداه في أسلوبه كثيرون من الكتب المعاصرین ولكن شيئاً ما بين الثريا والثرى

وُلد جبران سنة ١٨٨٣ في بيري من أعمال لبنان (ويقال بل في بومباي الهند) وترعرع في شمالي لبنان تحت سمائه الخرة وفوق اقاض العصور السالفة . ثم تلمذ في مدرسة الحكمة في بيروت فتلقن فيها العربية . وهناك بدأ قلمه السياط باظهار ما تكتنه نفسه الكبيرة من أسرار البلاغة والبيان . ولم يلبث بعد خروجه من المدرسة ان هاجر الى باريز فأقام فيهاأشهراً . ثم جاء الولايات المتحدة فقطن بوسطن مدينة العلم زماناً اشتغل فيه بالكتابة والتصوير . ثم عاد الى باريس سنة ١٩٠٨ لينهي فيها دروسه الفنية فأقام فيها تلات سنوات حاز في آخرها شهادة الامتياز في كلية الفنون الافرنسية مبرزاً على اربعينه من أرفاقه المصورين المختلف الجنسي . وقبلت رسومه في المعرض الاممي السنوي . وسي عضواً في جمعية الفنون الافرنسية . ونال عضوية الشرف في جمعية المصورين الانكليزية . ثم عاد الى الولايات المتحدة واتخذ نيويورك مسكنًا له . وهو الآن عضو في جمعيات فنية وشعرية عديدة .



جبران خليل جبران

ومعرضه التصويري (١)

اسم جبران خليل جبران في الآداب العربية يستنزل على قلب من يعرفه بهجة
عية واعجاً ومحرك في قلبه شاعر غزيرة صافية تتدفق من نفس وجدت في كتاباته
راجحها ونورها وطريقها المؤدية إلى قم الحقيقة والفجر الروحي .

ولكن لجبران اسمًا في غير الآداب ، ولخيانته الروحية أنهاً غير الكتب والدواين .
أن له عدا ذلك اسمًا عاطراً وصيّتاً ذاتهاً في فن التصوير . وله من الآثار في هذا الفن
الشريف ما جعل له مكانة سامية في عالم الفن الأميركي (ومن لي بأن أقول السوري ؟)
يعترف بها الناقدون والخبرون

يقيم جبران كل سنة معرضاً يجلو به صوره الجديدة شأن كبار المصورين وقد أقام
من عهد قريب معرضاً لصوره الصغيرة آناح لنا الحظ ان نكون في جملة من استعرضوها
في قاعات كنودل الشهيرة في نيويورك .

دخلنا الحجرة المخصصة لصور جبران خاشعين . وجلنا تأمل صوره الأربعين
مستفسرين غواصتها مستجلين رموزها في سكينة طيبة غامرة لم يذكرها وجود
للترفين . فرأينا روح جبران السامية متجليّة في رسومه كما كنا نراها في تصاعيف
سطور مقالاته .

معرض جبران يهمنا نحن السوريين كثيراً لاه جل ما عندنا من الفن الفني ان لم
يكن كله . فليس من يمثلنا في هذا الفن الجليل الجميل سوى جبران — وقد يذكر
غيرنا واحداً أو اثنين سواه من الذين لا يزالون مجاهلين عندنا — فلذلك يستدعي هذا
المعرض قول كلمة نقدر منا تقيّه حقه من وجهته الفنية والوطنية المتعلقة بنا . ولكن لا نرى
من نفوسنا أهلية واستحقاقاً لأن نخترط في عداد متقددي التصوير . ولهذا نستعين على

(١) من مقالة لجلة الفنون التي كانت تصدر بنيوبريك

غرضنا باباً بعضاً ما قاله الصحفة الاميركية في هذا المعرض — وقد قالت فيه كثيراً —
وانما تقتضي مما وقع تحت أعيننا في الصحف التي اعتدنا مطالعتها .

قالت جريدة « نيو يورك اميركان » تحت عنوان « رؤى مصور شاعر » —
« رسوم جبران تُشغل احدى الغرف في معرض كنودل وتلبس تلك الحجوة حلقة غرابة
قصيبها عما حولها من الاعتيادييات . وذلك لأن جبران شاعر مثلاً هو مصور ، ولا يلاقه
سكون تلك الحجوة كان مكتظاً بمخلوقات مخيلته . وكأنني بالتأمل فيها يدخل إلى خُصُوصِيَّةِ
النفس البشرية فيجد بها مسكنة باشباح التذكريات والاحلام والشاعر
هناك رهط من القنطوري (١) يتلهون بالانسان كأنه لعبة وهناك بشر مستفرقون
في وحدتهم . وأخرون أقل وحدة منهم يعانق بعضهم بعضاً . وهناك وجوه مستفرقة في
هواجسها استفراقاً عيناً حتى لا تكاد تحس بها نائمة . وهناك هدوء تام حتى أنك لتحسب
المواه فارغاً تسكنه أرواح هي أشواق وزنوات صامتة يتساءل عنها الفؤاد قائلاً : أهي
يا ترى نتيجة شواعر لم تنطبق على الواقع أم هي خبرة لم تكن سوى اغترار ؟ وما أهيب
هذا المكان وقد أبكمه القموض ونابت فيه الشهوة عن الارادة ووضع القدر الاعمى الشهوة
تحت أمره .

أجل ان القدر الاعمى ليرف فوق كل شيء هناك بطريقاً في عمله كأنه يتلمس
طريقه وائقاً بقوته أكثر من ونقه بقصده ، بينما الانسانية تخضع امامه ذليلة متربعة
غير الحرية ليحل قيودها ويطلق سراحها ويفتح عينيها للنور وينبع روحها جناحاً
ويسعها لتقلب نفسها بنفسها فتسود على القدر الذي كان لها سيداً .

وكأنني بالترقب المتور قد حصر النظر في وجه من الوجوه بين تلك الصور . وهو
وجه امرأة دقيق الرسم لطيف الملامح قد علا فوق الارض والصخور حيث تولدت أشكال
مبهمة غير كاملة ولم ينفصل عنها تماماً بل لا يزال مربوطاً بها صلات القرابة . ارتفعت
الامرأة نحو الاعالي ووجهها يتائق بنور ناعم لين كالقمر في ظلال الفجر وأجهفانها قد أخذت

(١) القنطورس حيوان خرافي نصفه الاعلى انسان ونصفه الاسفل حسان

بالانفتاح لاقبال نسمة الروح . وقد دعا المصور هذه الصورة الجميلة الموضحة مظيراً وائماً غريباً من الاحتمال والشوق باسم « السكينة »

وفي المكان نفسه فوق بقية الرسوم صورة جسم طائر لا جناح له يعتمد في طيرانه على قوته الغيرية في العوم والحركة . وذلك الجسم قد ابسط عارياً ابساطاً حرّاً مطلقاً على بياض الورق . وبين هذا الجسم والخلاء من المناسبة في الدقة والنعومة ما ينتقل بمحملة الناظر رغمما وراء حدود القرطاس . فيخيل له ان ذلك الجسم يتحرك باستقلال في عباب الانهاية »

وقالت جريدة « كرسشن ساينس مونيتور » — « لم يرق من التأثيرات العديدة المختلطة التي علقت بذهننا اثناء زيارة سريعة للمعارض التصويرية ما هو أشد صراحة من التأثير الذي احدثه فيما رسوم جبران المعروضة في معرض كنودلر .

جبران سوري ولد في متحدرات لبنان الفنان العريق في القدم . والظاهر ان التخيلات الشعرية الشرقية بفوائضها الباطنية ثبتت فيه رغم التغيرات الجوهرية التي انتقل اليها اثناء درسه الادب وتعاطيه التصوير سنين عديدة في باريس ونيويورك

وقالت مجلة « اميركان آرت نيوز » — « تُعرض في مرض كنودلر رسوم جبران خليل - جبران ينتهي عرضها في العاشر من شباط . هذه الرسوم وان كانت تنم عن تأثير فن « رودان » في جبران ، فهي تبرهن على مقدرة الاخير وتفنته . . . وبعض هذه الصور خيالية غريبة . وتستحق دون شك التفاتات القوم . »

وقالت جريدة « التايمز » في مجلتها الاحادية — « في مرض كنودلر رسوم جبران تسبب لذة عظمى للجمهور الميال الى هذه الاساليب من الفن ، معلوم ان نية المصور تقاس باهمية رسومه . فاذا تعمق حتى وصل الى جوهر موضوعه وعرض علينا ما يراه مقتبساً اغبياط من يكتشف شيئاً جديداً ، فهو المصور الحقيقي مها عرض له اثناء ابحاثه المنيفة في عمله الدقيق ، ويالذ لانا ان نرى ان كثيرين من المصورين الذين يستمبلهم التعمق في منهجهم يصدرون احياناً كثيرة الى البساطة ويجدون راحة في العود الى التصوير بالفحم او بالقلم . »

وقالت جريدة «التربيتون» النيو يوزكية — «رسوم جبران المعروضة في متحف كنودلر تبلغ الأربعين عدًّا . وهي حديثة الطرز بمعناها أكثر منها بمعناها . وتذكر باسلوب تصاوير رودان الشهير — على أن جبران يعني في رسومه أكثر منه ويرسم المئات مستعملاً خطوطاً كثيرة حيث لا يستعمل رودان إلا خطًا واحدًا — وجبران خيالي ورمزي و «مفكرة زين»

ونشرت مجلة «الفنون السبعة» مقالة ضافية تحت عنوان «فن جبران خليق» . جبران « بقلم أحدى شهيرات المتقدرات الأميركيات فاعطت وطنينا حقه من التقدير والمدح . ولقد كنا نود تعريتها بكمالها لنطلع قراءنا على ما جبران من المكانة في عالمي الفن والأدب الأميركي لو لا ضيق الفسحة فلذلك نكتفي بإيراد بعض جمل منها — «فن جبران رمزي سامي المغازي ، لأن اصوله ليست في التصويرات بل في تلك الحقائق الجوهرية التي تظل ثابتة في كل العصور والتجارب

جبران بهم في فنه ليس بتاريخ الإنسان فقط بل بتاريخ الحياة أجمع . ويهمه منها ليس وصفها وتصویرها فقط بل فوق ذلك مقاسمتها عراً كها الابدي . فنه عصري كروح عصرنا الحديث ، وقد يمتد كالزمان

هذا هو جبران المتقن كما يقدره الأجانب ومن الغبن والجحيف المدهش ان نرى صحافتنا لم تكتثر بمعرضه ولم تقه حقه من النقد والذكر . فكأن الفن في عرفها لا يستحق تهويهًا بازاء مواضيعها الدنيوية ، ولذلك تركت للأميركيين حق الافتخار بمصور شرقي نحن أحق بأكرامه من الأجانب ولكن ربما صدق فيما القول المأثور «ليس النبي كرامته في وطنه»

القشوبر واللباب

ما شربت كأساً علقمية الا كانت عالها عسلا .

وما صعدت عقبة حرجه ألا بلغت سهلا اخضر .

وما اضعت صديقاً في ضباب السماء الا وجدته في جلاء الفجر .

وكم مرة سرت المي وحرقتي برداء التجلد متوجهان في ذلك الاجر والصلاح ، ولكنني لما خلعت الرداء رأيت الام قد تحول الى بهجة والحرقة قد اتقلبت برداء وسلاما .

وكم سرت ورفيقي في عالم الظهور فقلت في تقسي ما احقه وما ابلده ، غيراني لم ابلغ عالم السرحتي وجدتني الجائز الظالم والفيته الحكيم الظريف .

وكم سكرت بخمرة الذات فحسبتني وجليسى حملاً وذئباً ، حتى اذا ما صحوت من نشوتي رأيتني بشراً ورأيته بشراً .

انا واتم ايها الناس ماخوذون بما بان من حالنا ، متعامون عما خفي من حقيقتنا ،
فإن عثر احدنا قلنا هو الساقط ، وإن تماهل قلنا هو الخائن التلف ، وإن تلائم قلنا هو
الآخر ، وإن تأوه قلنا تلك حشرجة النزع فهو مائت .

انا واتم مشغوفون بقشور «انا» وسطحيات «اتم» لذاك لأننصر ما اسره الروح الى
«انا» وما اخفاء الروح في «اتم» .

وماذا عسى تفعل ونحن بما يساورنا من الغرور غافلون عما فينا من الحق ؟

اقول لكم ، وربما كان قولي قناعا يغشى وجه حقيقتي ، اقول لكم ولنفسى انت
ما نراه باعيننا ليس بأكثر من غمامه تحجب عنا ما يجب ان نشاهده يصادرنا ، ومانسممه
باداننا ليس الا طنطنة تشوش ما يجب ان نستوعبه بقلوبنا . فان رأينا شرطيا يقود رجلا
إلى السجن علينا الا نجزم في ايها الجرم . وإن رأينا رجلا مضرجا بدمه وأخر مخضوب
ثالدين فمن الحصافة ألا نختم في ايها القاتل وايها القتيل . وإن سمعنا رجلا ينشد وأخر
يندب فلن慈悲 ريهما تشتت ايها الطروب .

لا ياخى لا تستدل على حقيقة امرىء بما بان منه ، ولا تتخذ قول امرىء او عملاً من اعماله عنواناً لاطويته . فرب من تستجهله لائق في لسانه وركاً كفي لهجته كان وجده انه منهجاً للغطان وقلبه مهبطاً للوحى ورب من تختقره لدمامة في وجهه وخساسة في عيشه كان في الارض هبة من هبات السماء وفي الناس نفعه من نفحات الله .

قد تزور قصراً وكوخاً في يوم واحد فتخرج من الاول متاهياً ومن الثاني مشفقاً ، ولكن لو استطعت تمزيق ما تحوكه حواسك من الفواهر لتفلص تهبيك وعبط الى مستوى الاسف ، وانبدلت شفقتك وتصاعدت الى مرتبة الاجلال .

وقد قلتني بين صباحك ومسايك برجلين فيخاطبتك الاول وفي صوته اهاز في العاصفة وفي حركة هول الجيش اما الثاني فيحذلك متخففاً وجلاً بصوت مرتعش وكلمات متقطعة ، فتعزو العزم والشجاعة الى الاول ، والوهن والجن الى الثاني ، غير انك لو رأيتها وقد دعتها الايام الى لقاء المصاعب ، او الى الاستشهاد في سبيل مبدأ ، لعلمت ان الوقاحة المهرجة ليست ببسالة والتججل الصامت ليس بجمالية .

وقد تنظر من نافذة منزلك فترى بين عابري الطريق راهبة تسير يميناً ومومساً تسير شهلاً ، فتقول على انفور « ما انبل هذه وما اقبح تلك ! » ولكنك لو اغمضت عينيك واصغيت هنيهة لسمعت صوتاً هاماً في الاثير قائلاً « هذه تنشدني بالصلة وتلك ترجوني بالالم وفي روح كل منها مظلة لروحى »

وقد تطوف في الارض باحثاً عما تدعوه حضارة وارقاء ، فتدخل مدينة شاهقة التصور خمة المعاهد رجبة الشوارع ، والقوم فيها يتشارعون الى هنا وهناك فذا يخترق الارض وذاك يحلق في القضاء ، وذلك يمتنق البرق ، وغيره يستجوب الهوا ، وكلهم يلبس حسنة الهندام ، بدبة الطراز ، كلهم في عيد او مهرجان .

وبعد ايام يبلغ بك المسير الى مدينة اخرى حقيقة المنازل ضيقه الاذقة اذا امطرتها السماء تحولت الى جزر من المدر في بحر من الاوحال . وان شخصت بها الشمس اقلبت غيمة من الغبار . اما سكانها فما برحوا بين القطرة والبساطة كوتر مسترخ بين طرقى القوس ، يسيرون متباطئين ويعملون متاهلين ، وينظرون اليك كأن وراء عيونهم عيونه

تحدق بشيء بعيد عنك ، فترحل عن بلدك ماقتًا مشتملًا قائلًا في سرك « إنما الفرق بين ما شهدته في تلك المدينة وما رأيته في هذه هو كالفرق بين الحياة والاحتضار ، فهناك القوة بعدها وهنا الضعف بعجزه ، هناك الحجد ربيع وصيف وهنا الخمول خريف وشتاء »
هناك اللجاجة شباب يرقص في بستان وهذا الوهنشيخوخة مستلذية على الرماد »
ولكن لو استطعت النظر بنور الله الى المدينتين لرأيتها شجرتين متجانستين في حديقة واحدة . وقد يمتد بك التبصر في حقيقتها فترى ان ما توهنته رقى في احداهما لم يكن سوى ففاقع لامعة زائلة وما حسبته خولا في الاخرى كان جوهرها خفيًا ثابتًا .
لا ليست الحياة بسطوحها بل بخفائها ، ولا المرئيات بقشورها بل بليابها ، ولا
الناس بوجوههم بل بقلوبهم .

لا ولا الدين بما نظيره المعابد وتبينه الطقوس والتقاليد ، بل بما يختبئ في النفوس
ويتجوهر بالنيات .

لا ولا الفن بما تسمعه باذنيك من نبرات وخفاضات اغنية ، او من رنات اجراس الكلام في قصيدة ، او بما تبصره بعيونيك من خطوط والوان صوره ، بل الفن بذلك المسافات الصامتة المرتعشة التي تجسيء بين النبرات والخفاضات في الاغنية ، وبما يتسرّب اليك بواسطة القصيدة مما بقي ساكتا هادئا مستوحشافي روح الشاعر ، وبما توحيه اليك الصورة فترى وانت محدق بها ما هو ابعد واجمل منها

لا يا اخي ، ليست الايام والليلي بظواهرها ، وانا ، انا السائر في موكب الايام والليلي
لست بهذا الكلام الذي اطرحه عليك الا بقدر ما يحمله اليك الكلام من طويقى
الساكتة . اذن لا تحسبني جاهلا قبل ان تفحص ذاتي الخفية ، ولا توهمني عقري يأقبل
ان تجدرني من ذاتي المقتبسة . لا تقل هو بخيل قابض الكف قبل ان ترى قلبي ، او هو
ال الكريم الججاد قبل ان تعرف الوازع الى كرمي وجودي . لا تدعوني عجبا حتى يتجل لك
حي بكل ما فيه من النور والنار ، ولا تدعني خليا حتى تلمس جراحى الدامية .

نفسي مشقة بأعماresها .

نفسي مشقة بأعماresها فهل من جائع يجني ويأكل ويشبع ؟
اليس بين الناس من صائم رؤوف يفطر على نتاجي ويرجني من اعباء خصبي
وغراري ؟

نفسي رازحة تحت عبء من التبن واللجن فهل بين الناس من يعلأ جبوته وينهض
عن حمل ؟

نفسي طاغة من خمرة الدهور فهل من ظامي يسكب ويشرب ويرتوي ؟
هذا رجل واقف على قارعة الطريق يسطع نحو العابرين يداً مفعمة بالجواهر ،
ويناديهم قائلاً : « الا فارحوني وخذوا نفي . اشقو علي وخذوا ما معك » اما الناس
خسيرون ولا يلتقطون

الا ليته كان شحاذًا متسللاً يدأ من تعشة نحو العابرين ويرجمها فارغة من تعشة
ئيته كان مقعداً اعمى يمر به الناس ولا يحفلون

هذا مثر جواد نصب خيامه بين مجاهم البيداء وخلف الحيل ، يوقد نار القرى
كل ليلة ويبعث عبيده ليرصدوا السبل لعلمهم يقودون اليه ضيقاً يقرنه ويكرمه ، ولكن
السبل بخيلة لا تجود على هباته بمرتفق ، ولا تبعث الى هباته بطالب
الا ليته كان صعلوكاً منبذاً !

ليته كان عياراً متشرداً يطوف البلاد وفي يده عكاز وفي كوعه دلو ، فاذا ما جاء
المساء جمعته ملتويات الازقة بزملاته العيارين المترددين في مجلس بقربهم ويفقسمهم
خizer الصدقة !

هذا ابنة الملك الاعظم قد استيقظت من رقادها وهبت من مضجعها وقامت
فتردت بالرجوانها وبرفيرها وتزييت بلؤلؤها وياقوتها وتنرت المسك على شعرها وغمست
يذوب العنبر اصابعها ثم خرجت الى حديقتها ومشت و قطرات الندى تبل اطراف بوتها .

في سكون الليل سارت ابنة الملك الأَكْبَر في جنّتها تبحث عن حبيبها، ولكن لم يكن
في مملكة ابها من يحبها الا لپها كانت ابنة ورطاع ترعى اغنام ابها في الاودية وتعود مساء الى كوخ ابها
وعلى قد ابها عبار المعرفات وبين طيات ثوبها رائحة الكروم . حتى اذا ما جن الليل
ونام سكان الحي اختلست خطواتها الى حيث يترقبها حبيبها
ليتها كانت راهبة في الدير تحرق قلبها بخوراً فينشر الهواء عطر قلبها . وتقد روحها
شمعاً فيحمل الاثير نور روحها : وركع مصلية فتحمل اشباح الخفاء صلواتها الى خزانة
الزمن حيث تصان صلوات المتبعدين بجانب حرقة الحبين وهو جس المستوحدين !
ليتها كانت عجوزاً مسنة تجلس مستدفنة في اشعة الشمس بن تقاسوا صباها
فذاك خير من ان تكون ابنة الملك الأَكْبَر وليس في مملكة ابها من يأكل قلبها .
ويشرب دمها خمراً !

* * *

نفسي مشقة بآمارها
نقسي مشقة بآمارها فهل في الارض جائع يجني ويأكل ويشبع ؟
نفسي طاحنة بخمرها فهل من ظامي ، يسكب ويشرب ويرتوى
الا ليتنى كنت شجرة لازهر ، ولا تشر ، فلام الخصب امر من الم العقم ، واوجاع
ميسور لا يؤخذ منه لاشد هولا من قنوط فقير لا يرزق
ليتنى كنت هرأاً جافة والناس ترمي بي الحجارة فذلك اهون من ان اكون ينبوغ
ماء حي والظامئون يحتازونني ولا يستقون
ليتنى كنت قصبة مرضوضة تدوسها الاقدام فذاك خير من ان اكون قيثارة فضية .
الاوخار في منزل ربه مبتور الاصابع واعله طرشان ١

حُفَنْتَ مِنْ رِمَالِ الشَّاطِئِ

كَآبَةُ الْحُبُّ تَرَمَّ . وَكَآبَةُ الْمُرْفَةِ تَكَلَّمَ . وَكَآبَةُ الرَّغَائِبِ تَهْمَسَ . وَكَآبَةُ الْفَقْرِ
تَهْدِبَ . وَلَكِنْ هُنَاكَ كَآبَةٌ أَعْقَى مِنَ الْحُبِّ وَأَنْبَلَ مِنَ الْمُرْفَةِ . وَأَقْوَى مِنَ الرَّغَائِبِ .
وَأَمْرَ مِنَ الْفَقْرِ . غَيْرَ أَنَّهَا خَرْسَاءٌ لَا صَوْتَ لَهَا إِمَّا عَيْنَاهَا فَشَمَشَتَانَ كَالْمُجُومِ
عِنْدَمَا تَشَكُّو مَصَابَّاً جَارِكَ . تَهْبِهُ جَزِئاً مِنْ قَلْبِكَ فَإِنْ كَانَ كَبِيرَ النَّفْسِ شَعْزَكَ .
وَإِنْ كَانَ صَفِيرَهَا احْتَرَكَ .

لِيْسَ التَّقْدِيمُ بِتَحْسِينِ مَا كَانَ بَلْ بِالسَّيْرِ نَحْوِ مَا يُسَيْكُونَ
الْمَسْكَنَةَ تَهَابُ يَخْفِي مَلَامِحَ الْكِبْرِيَّةِ . وَالْدَّاعِيُّ قَنَاعٌ يَفْشِي وَجْهَ الْبَلَاءِ
عِنْدَ مَا يَجْمُوعُ الْمَوْهُشِ يَقْطُفُ ثُمَّةً مِنْ شَجَرَةِ وَيَأْكُلُهَا وَعِنْدَمَا يَجْمُوعُ الْمَتَمَدِنِ يَشْتَرِي
ثُمَّةً مِنْ اشْتَرَاهَا مِنْ اشْتَرَاهَا مِنْ قَطْفَهَا مِنْ الشَّجَرَةِ
الْفَنِّ خَطْوَةً مِنَ الْمَعْرُوفِ الظَّاهِرِ نَحْوَ الْمَجْهُولِ الْخَفِيِّ
بَعْضُ النَّاسِ يَسْتَحْوِنُونِي عَلَى الْأَمَانَةِ إِلَيْهِمْ لِيَتَمْتَعُوا بِلَذَّةِ السَّماَحِ عَنِ
مَا أَدْرَكَتْ طَوِيلَةً اسْرَى إِلَّا وَحْسِبِيْ مَدِيْونَا لَهُ
تَنْفَسَ الْأَرْضَ فَنَوْلَدُ ثُمَّ تَسْتَرِيجُ اَنْفَاسَهَا فَنَمُوتُ
عَيْنُ الْأَنْسَانِ مجْهُرٌ بَيْنَ لَهِ الدُّنْيَا أَكْبَرُ مَا هِيَ حَقْيَةً
إِمَّا بَرِيءٌ مِنْ قَوْمٍ يَحْسِبُونَ الْفَحْةَ شَجَاعَةً . وَالَّذِينَ جَبَانُوا
وَإِنَّا بَرِيءٌ مِنْ يَوْمِ التَّرْثِيَّةِ مَعْرِفَةً وَالصَّمْتُ جَهَالَةً وَالتَّصْنِعُ فَنَّا
قَدْ يَكُونُ فِي اسْتَصْعَابِنَا الْأَمْرُ أَسْهَلُ السَّبِيلِ إِلَيْهِ يَقُولُونَ لِي (إِذَا رَأَيْتَ عَبْدَأَنَّمَا)
هَلَّا تَنْبَهَ لِعَلَمِ بَحْرِيَّتِهِ) وَاقُولُ لَهُمْ (إِذَا رَأَيْتَ عَبْدَأَنَّمَا نَبَهْتُهُ وَهَدَثْتُهُ عَنِ الْحَرِيَّةِ)
الْمَعَاكِسَةَ أَدْنَى سَرَاتِبَ الْذِكَاءِ
الْجَيْلَ يَأْسِرُنَا إِمَّا الأَجْلُ فَبَعْتَقْنَا حَتَّىٰ وَمَنْ ذَاهَ

الحاسة بركان لاتبنت على قبّه اعشاب التردد . يظل النهر جاداً نحو البحر انكسر
حولاب المطحة ثم لم ينكسر .
صنع الاربيب من الفكر والعاطفة ثم وهب الكلام . أما الباحث فقد صنع من
الكلام ثم أعطي قليلاً من الفكر والعاطفة
فأكل مسرعاً وتمشي متباطئاً فهلا أكأت برجلك ومشيت على كفليك
ما تمازلم فرحك أو حزنك الا وصفرت الدنيا في عينيك
• • • **العلم** يستبّت بنورك ولا يلاني بك إنروا ما ابغضت الا وكان البعض سلاحاً أدافع
جه عن نفسى ولكن لوماً كن ضعيفاً لما اخترت هذا النوع من السلاح
لو علم جد جد يسوع ما كان مختبئاً في شخصه لوقف خاشعاً متاهياً امام نفسه
الحب سعادة ترتعش
يمحسبونني حاد النظر ثاقبه لانني أراهم من خلال شبكة الغربال
لم أشعر بألم الوحشة حتى مدح الناس عيوبي الثرارة وطعنوا في حسنائي الخرساء
بين الناس قلة لم يسفكوا دماً قطُّ ولصوص لم يسرقوا شيئاً البتة وكذبة لم يقولوا
اللا الصحيح
الحقيقة التي تحتاج الى برهان هي نصف حقيقة الا باعدهوني عن الحكمة التي
لا تبكي وعن الفلسفة التي لا تضحك وعن المظمة التي لا تحنني رأسها امام الاطفال
ايتها الكون العاقل . المحجوب بظواهر الكائنات الموجود بالكائنات وفي الكائنات
والكائنات انت تسمعني لانك حاضري ذاتي . وانك تراني لانك بصيرة كل شيء
حي . الق في روحي بذرة من بذور حكمتك لتثبت نسبة في غابتكم وتمطى ثماراً من
أثمارك . آمين

سفينة في ضباب

هذا حديث رجل جمعنا في منزله المنفرد القائم على كتف وادي قد يشاهد ليلة مغمورة
باثلوج مرتعشة بالآهوا

قال محدثنا وهو ينش رماد الموقد بطرف قضيب كان بيده :
« تريدون ، يارفاقي ، ان اعلن لكم سر كآ بي .

تريدون ان احدثكم عن المأساة التي تعيذ الذكرى تمثيلها في صدرى كل يوم وكل ليلة .

لقد ملتم سكوتى وتكلتى . وضجرتم من تنهى وتعلمنى . وقال بعضكم لبعض اذا كان لا يدخلنا هذا الرجل الى هيكل اوجاعه فكيف نستطيع الدخول الى بيت موته . انت مصييون يارفاقي . فمن لا يساهمنا الالم لن يشركنا في شيء آخر . فاسمعوا اذن حكايتها . اسمعوا ولا تكونوا مشفقين فالشفقة تجوز على الضعفاء وإنما ازل قوياب كآ بي .

منذ بغير شبابي وانا ارى في احلام يقطنني واحلام نومي طيف امرأة غريبة الشكل والزياء . كنت اراها في ليالي الوحدة واقفة قرب مضجعى . وكنت اسمع صوتها في السكينة . وكانت في بعض الاحيان اغضض عيني واشعر باللامس اصابعها على جبهتي فافتح عيني واهب مذعورا مصغيا بكل ما بي من المسامع الى همس اللاشيء .

وكنت اقول لذائي هل تطوح بي خيالي حتى ضمت في الضباب ؟ . هل صنعت من الجنة احلامي امرأة جميلة الوجه عذبة الصوت لينة الملams لتأخذ مكان امرأة من الهيلوى ؟ . هل خولط بعقلي فلتخدلت من اظلال عقلي وفيقة احبها واستأنس بها واركن اليها وابتعد عن الناس لا قرب منها ولغلق عيني ومسامي عن كل ما في الحياة من الصور والاصوات لاري صورتها واسمع صوتها ؟ . اجنون انا ياترى ؟ اجنون لم يكتفى بالانصراف الى العزلة بل ابتدع له من اشباع العزلة رفيقة وقرينة ؟

قلت «قرينة» واتّم تستغرّون هذه اللحظة ولسّكُن هناك بعض الاختبارات التي تستغرّ بها بل وتنكرها لأنّها تظهر لنا بظاهر المستحيل ولكنّ استغراً بنا ونذكر أنّنا لا نمحون حقيقتها في نفوسنا . لقد كانت تلك المرأة الخيالية قرينة لي ، تساهمي وتبادرني كلّ مافي الحياة من الاموال والمنازع والافراح والرغائب فلم استيقظ صباحاً الا ورأيتها متّكئة على مساند شريري وهي تنظر إلى عينين يملأهما طور الطفولة وعطف الأمومة . ولم احاول عملاً الا وساعدتني على تحقيقه . ولم اجلس إلى مائدة الا وجلست قبالي تحدّثني وتبادرني **الآراء والافكار** . وما جاء مساء الا واقربتْ معي قائلة « قم بنا نسر بين التلول والمنحدرات كفانا الاقامة في هذا المنزل » فاترك اذ ذاك عملي واسير قابضاً على اصابعها حتى ادا ما بلغنا البرية المتشحة بنقاب المساء المغمورة بسحر السكون نجلس جنباً إلى جنب على صخرة عالية مهددين بالشفق البعيد . فكانت تارة توميء إلى الفيوم المذهبة باشعة الغروب وطوراً تسترعى سمعي إلى تغريد الطائر يبعث صوته تسبيحة شكر وطمأنينة قُبيل ان يلتجمئ إلى الأغصان للمميت .

وكم مرّة دخلت علىّ وانا اشتغل في غرفتي قلقاً مضطرباً فلا تلمحها عيني حتى يتحول قافي إلى المهدوء وانظر أي ان الانطلاق والاستئناس .

وكم لقيت الناس وفي روحه جيش يزحف متّمرداً على ما أكرهه في نفوسهم ولكنّي ما تبيّنت وجهها بين وجودهم الا وانقلب الزوعة في باطنني إلى انقام علوية .

وكم جلست منفرداً وفي قلبي سيف من ألم الحياة ومتاعها وحول عنقي سلاسل من مشاكل الوجود ومضلاله ثم التفت فاراها واقفة امامي محدقة بي عينين تفيضان نوراً وبهاء فتشق غيموي ويتهلل قلبي وتبعد الحياة بصيرتي جنة افراح وسرات .

واتّم تأسّلون ، يا رفاقي ، ما اذا كنت مقتنعاً بهذه الحالة الشاذة الغريبة — تأسّلون ما اذا كان المرء وهو في عنفوان شبابه يستطيع الاكتفاء بما تدعونه وهو خيالاً وحلماً بل وعلمه نفسيّة ؟

اقول لكم ان الاعوام التي صرّقها في تلك الحالة هي زبدة ما عرفته في الحياة من الجمال والسعادة واللذة والطمأنينة . اقول لكم انني كنت ورفقتي الاثيرية فكرة مطلقة

مجرد تعزف في نور الشمسم وتطفو على وجه البحار وتسعى في الليالي المقدمة وتنهل
باغان . ما سمعتها اذن وقف امام مشاهد ما ورأها عين . ان الحياة ، كل الحياة هي في
ما تخبره بارواحنا . والوجود ، كل الوجود ، هو في ما نعرفه وتحقيقه فتبهج به أو تتوجع
لاجله . وانا قد اختبرت امرأً بروحي ، اختبرته كل يوم وكل ليلة حتى بلفت الثلاثين
من عمري .

ليئني لم ابلغ الثلاثين . ليئني مت الف مرة ومرة قبل ان ابلغ تلك السنة التي
سلبني بباب حيائي واستنزفت دماء قلبي ووقفتني امام الايام والليالي شجرة يابسة عارية
مستوحة فلا ترقص اغصانها لاغاني الهوا ولا تحوك الاطيارات اعشاشها بين اوراقها او زهارها .
وسكت محدثنا دقيقة وقد الوى رأسه واغمض عينيه وارخي زندية الى جانب مقعده
فيان كأنه اليأس مجسماً . أما نحن فبقينا صامتين متربعين استماع تتمة حديثه ثم فتح اجفانه
وبصوت متقطع خارج من اعماق كيان مكلوم .

قال :

تذكرون ، يا رفيقي ، انه منذ عشرين سنة بشني حاكم هذا الجبل بمهمة علمية الى
مدينة البندقية واصحبني برسالة الى محافظ تلك المدينة الذي كان قد عرفه في الفلسطينية
ترك ليبنان والبحرت على سفينة ايطالية وقد كان ذلك في شهر نيسان وروح الريح
ترتعش بين ثنيا الهواء وتناثر مع امواج البحر وتمثل بصور جليلة متقلبة في الغيوم البيضاء
المتبدلة فوق الافق . كيف اصف لكم تلك الايام وتلك الليالي التي صرفتها على ظهر
السفينة ؟ ان قوة الكلام المتعارف بين البشر لا تتجاوز ما تحویه مدارك البشر وما
يشعرون به . وفي الروح ما هو ابعد من الادراك واديق من الشعور فكيف ارسمها لكم بالكلام ؟
 لقد كانت تلك السنون التي صرفتها مع رفيقي الاخيرية من منطقة بالانس والآلهة ،
ممودة بالسکينة والرضى فلم يدر في خلدي ان الألم رايب لي وراء حجب سعادتي وان
المراة عالمة راكرة في اعماق كاسي . لا ، لم اخش فقط ذبول زهرة نبتت فوق الغيوم
واضمحلال انشودة ترمنت بها عرائس الفجر . ولما تركت هذه النهل والأودية كانت
رفيفي جالسة بقربي في المركبة التي حملتني الى الساحل . وفي ثلاثة ايام التي قضيتها في

بيروت قبيل سفري كانت قرني تذهب حيثما اذهب وتفقد عند ما اقف فلم اجتمع بصديق الا ورأيتها تبتسم له ولم ازر مهدا الا وشعرت يدها قابضة على يدي ولم اجلس نسأء في شرفة الزل مصفيماً الى اصوات المدينة الا وشاركتني في التأمل وساهنتي الفكر . ولكن لما فصلتني الزورق عن ميناء بيروت ، في الدقيقة التي وطئت فيها ظهر السفينة ، شعرت بتغير في فضاء روحني ، شعرت يد خفية قوية تمسك بساعدني وسمعت صوتاً عجيباً يهمس في اذني قائلاً « ارجع ، ارجع ، من حيث اتيت . انزل الى الزورق وعد الى شواطئ بلادك قبل ان تبحر السفينة . »

وبحرت السفينة وانا على ظهرها اشبه شيء بعصفور بين مخالب باشق يسبح ملقاً في الليل . ولما جاء المساء وقد انحجبت قمم لبنان وراء ضباب البحر رأيتها واقفاً وحدى على مقدمة السفينة وفقة احلامي الامرأة التي احبها قلبي ، الامرأة التي رافقت شبابي ، لم تكن معي . الصبية ، العذبة التي كنت ارى وجهها كلما حدقت بالفضاء واسمع صوتها كلما اصفيت الى السكينة والمس يدها كلما مددت يدي الى الامام ، لم تكن على ظهر تلك السفينة . ولاؤل مرة ، لاؤل مرة ، وجدتني واقفاً وحدى امام الليل والبحر والفضاء . وبقيت على هذه الحالة انتقل من مكان الى مكان مناديا رفيقتي في قلبي نظراً الى الامواج المتقلبة لعلي ارى وجهها في بياض الليل .

وعند ما اتصف الليل وقد التجأ ركب السفينة الى مراقد هم وبقيت انا وحدى هائماً ضائعاً مضطرباً ، التفت بفتحة فرأيتها واقفة في الضباب على بعد بعض خطوات فاتفاضت عرقصاً ومددت يدي اليها هاتفنا « لم ترکتنی ؟ ... لم ترکتنی في وحدتني ؟ الى اين ذهبت ؟ اين كنت يا رفيقتي ؟ اقترب ، اقترب مني ولا تتركني بعد الان » .

فلم تدع مني . بالظات جامدة في مكانها بدت على وجهها سيماء توجه ولهفة مارأيت اهل منها في حياتي . وبصوت خافت ضئيل قالت « جئت من اعماق اللجة لاراك لجة ، لجة واحدة . وها انا راجعة الى اعماق اللجة . ادخل مخدعك وارقد واحلم » . قالت هذه الكلمات وابتزجت بالضباب واضمحللت . فطفقت اناديها بلجاجة الطفل الجائع وابسط ذراعي الى كل ناحية فلا اقبض الا على الهواء المثقل بندى الليل .

دخلت مخدعى وفي روحي عناصر تقلب وتصارع وتهبط وتحماد ، فكنت في جوف تلك السفينة سفينة أخرى في بحر من اليأس والالتباس . وللغرابة إنني لم أقِ رأسي على وسائله مضجعي حتى احسست بثقل أجناني وبحدر في جسدي فنمّت نوماً عميقاً حتى الصباح . ولقد رأيت في نومي حلاماً . رأيت رفيقي مصلوبة على شجرة قفال مزهرة و قطرات الدماء تسيل من كفيها وقد미ها على غصني الشجرة وعدها ثم تذكّر على الأعشاب ومتزوج بازهار الشجرة المنشورة .

وطلت السفينة تسع الأيام والليالي بين اللجنين وانا على ظهرها لا ادرى ماذا . كنت بشراً مسافراً إلى بلد بعيد بهمة بشرية ام شبحاً تائماً في فضاء خالٍ الا من الضباب فلم اشعر بتراب رفيقي ولم المح وجهاً في اليقطة او في المنام وباطلاً كنت انادي مصليله مبتهلاً لقوى الخفية لتسمعني مقطعاً من مقاطع صوتها أو لترىني ظلاً من اظلالها او لتجعلني اشعر بالامس اصابعها على جبهتي .

ومن اربعة عشر يوماً وانا في هذه الحالة . وعند طوبيرة اليوم انخاس عشر ظهرت عن بعد شواطئ ايطاليا وفي مساء ذلك النهار دخلت السفينة مينا البندقية وجاء قوم بزوارق مطلة بالوان ورسوم بهجة لينقلوا الركاب وامتعتهم الى المدينة .

انتم تعلمون ، يا رفيقي ، ان مدينة البندقية قائمة على عشرات من الجزر الصغيرة المتقاربة فشوارعها ترع ومنازلها وقصورها مبنية في الماء والزوارق هناك تقوم مقام المركبات .

لما نزلت من السفينة الى الزورق سألني النوري قائلاً :

« الى اين يريد سيدى ان يذهب ؟ »

فلما ذكرت اسم محافظ المدينة نظر إلى باهتمام واحترام واخذ يضرب الماء بقذفه سار بي الزورق وكان قد جاء الليل والقى رداءه على المدينة فظهرت الانوار في نوافذ القصور والمعابد والمعاهد فانكسرت اشعتها في الماء متلاصقة مرئية بفانات البندقية كل شاعر يقتنه الغريب من المشاهد والوهمي من الاماكن . ولم يبلغ بي زورق الى منعطف تول ترعة حتى سمعت رنين اجراس لا عدد لها تملأ الفضاء بآياتٍ محنةٍ متقطعةٍ هائلةٍ

محيفة . ومع اني كنت في غيبة نفسية تفصلني عن كل المظاهر الخارجية فقد كانت تلك الطنطس النحاسية تخترق لوح صدري كالسامير .

ووقف الزورق بجانب سلم حجري تصاعد درجاته من الماء الى الرصيف فالتقت البحري اليه وأشار بيده نحو قصر قائم في وسط حديقة وقال « هذا هو المكان » فصعدت من الزورق وسررت مبطئا نحو المنزل والبحري يتبعني حاملاً حقيبتي على كتفه حتى اذا بلغت باب المنزل ناولته اجرته وصرفته ثم طرقت الباب ففتح لي واذا ما امام رهط من الخدم مطاطئ ارؤوس وهم يكعون وينحون ويتأتون باصوات منخفضة فاستقر بت هذا المشهد واحتارت باعري .

وبعد هنيمة تقدم معي خادم كهل ونظر اليه من وراء اجفان مقرودة وسألني متنهداً :
« ماذا يريد سيدتي ؟ » فقلت اليه هذا منزل محافظ المدينة ؟
خني رأسه ايجايا .

فاخترت ، اذ ذاك ، ارسالة التي اصحبني بها حاكم لبنان وناولته اياتها فنظر في عنوانها
حاماها ثم راح متعالا نحو باب في مؤخر ذلك المدخلين .

جرى كل ذلك وانا بدون فكر ولا ارادة . ثم دنوت من خادمة صبية وسألتها عن
سبب حزنهم ونواهم فاجابت متوجعة . « عجباً ألم تسمع ان ابنة المحافظ قد ماتت
اليوم ؟ »

ولم تزد على هذه الكلمات بل غمرت وجهها بكفها واستسلمت الى البكاء .

تأملوا يارفاقي ، في حالة رجل قطع البهار وهو كفكرة سديمية متبعة اضاءتها جبار
من جباررة الفضاء بين الامواج المزبدة والضباب الرمادي . صوروا لنفسكم حالة فتى
سار اسبوعين بين عویل اليأس وصراخ اللجة ولما بلغ نهاية الطريق وجد نفسه واقفاً في
باب منزل تمشي في جنباته اشباح التفجع وتغلأ قرانيه انت اللوعة . صوروا لنفسكم ،
يارفاقي ، رجلاً غريباً يطلب الضيافة في قصر تحيط عليه اجنة الموت .

وعاد الخادم الذي حمل الرسالة الى سيده وانحنى قائلاً « تفضل يا سيدى فالمحافظ
يعتذر لك »

قال هذا ومشى أمامي فاتبعته حتى إذا مابلقينا بباباً في نهاية الممشى أوما إلى أن ادخلت قاعة واسعة عالية السقف منارة بالشمع وقد جلس فيها بعض الوجها والكمان وكلهم في سكوت عميق . فلم أكدر أخطو بضم خطوات إلا وقام من صدر القاعة شيخ ذو لحية بيضاء وقد حنت ظهره الاشجان وثلت وجهه الاوجاع وتقدم نحوه وأخذ ييديه قائلاً : « يعز علي أن تأتي من بلاد بعيدة وتحبني مصابين باحرب مالدينا . ولكنني ارجو ان لا يكون مصابنا حائلاً دون اتمام الفرض الذي جئنا من أجله فكن طمئن البال يا ولدي » .

فشكت له عطفه مظهراً اسفي لمصادبه ببعض الافاظ المشوша . وقدني الشيخ الى كرسي بجانب مقعده فجلست صامتاً مع الجلاس الصابرين انظر خلسة الى وجوههم الكثيبة واسمع تأوههم فتولد في صدري كتلات من الضيم والاهفة . وبعد ساعة انصرف القوم الواحد تلو الآخر ولم يبق سويف مع الوالد الحزين في تلك القاعة انخرسأ فوقفت اذ ذاك وتقدمت اليه قائلاً : « اسمح لي ياسيدى بالانصراف » فقال ممانعاً « لا ياصديقى . لا تذهب . كن ضيفنا إن كان بإمكانك احتمال النظر الى كآبتنا واستماع آلة لوعتنا » فاخجلني كلامه وحننت رأسى امثالاً . ثم عاد وقال : « اتم البنانين ابر الناس بالضيوف فهلا بقيت عندنا انرىك ولو قليلاً مما يلقاه الغريب في بلادكم » .

وبعد هنئة قرع الشیخ المنکوب جرساً فضياً فدخل علينا حاجب بملابس مزركشة مقصبة فقال له الشیخ مشيراً اليه « سر بضيفنا الى الغرفة الشرقية وانظر بشأن ما كلمه ومشربه وتول بنفسك شؤونه وكن ساهراً على راحته » .

قادني الحاجب الى غرفة رحبة بدینة الهندسة خفة الرئيس تغشى جدرانها الرسوم والمنسوجات الحريرية في وسطها سرير فنيس مفطى باللحف والمساند المطرزة .

تركني الحاجب فارتميت على مقعد افكر بنفسي ومحبطي وبغربتي ووحدتي وما تي لول ساعة صرفتها في بلاد قصبة عن بلادي .

وعاد الحاجب يحمل طبقاً عليه الطعام والشراب ووضعه أمامي فأكلت قليلاً ولكن
بدون رغبة ثم صرفت الحاجب

ومرت ساعتان وإنما نشى تارة في تلك الغرفة وطوارئ أقف في جوانب الحدي
نوافذها محدقاً بالفضاء مصفيها إلى أصوات البحارة وخفق مقاذيفهم في الماء حتى إذا ما
أنهكتني السهر وتضعضعت فكري بين مظاهر الحياة وخفاياها ارتميت على السرير مستسلاً
إلى غيوبه تآلف فيها سكرة الهجوع وصحوة اليقظة ويتقلب فيها التذكار والأنسيان مثلاً
يتناوب الشواطئ مسال البحر وجزره فكانت كساحة حرب صامتة تتناضل فيها في الماء
صامتة ويجندل الموت فرسانها فيقضون صامتين .

لا ، لا ادري يارفافي ، كم ساعة صرفتها وأنا في هذه الحالة . إن في الحياة
فسحات تجتازها أرواحنا ولكتنا لا نستطيع أن تقيسها بالمقاييس الزمنية التي ابتدعها
فكرة الإنسان .

لا ، لا اعرف كم ساعة بقيت في هذه الحالة . كل ما عرفته اذ ذاك وكل ما أعرفه
الآن هو ابني بينما كنت في تلك الحالة الملتبسة شعرت بيكان حي وائف بقرب سريري
شعرت بقوة ترتعش في فضاء الغرفة . شعرت بذات اثيرية تناذيني ولكن بدون صوت
وتسفرني ولكن بدون أشارة فنهضت على قدمي وخرجت من الغرفة إلى الدهليلز مدفوعاً
مأموراً بمحذوباً بعامل قاهر ضابط كلي . سرت ولكن بغير ارادتي ، سرت كمن يسير
وهو نائم ، سرت في عالم مجرد عما تحسبه زماناً ومسافة حتى اذا ما بقلت نهاية الدهليلز
دخلت قاعة كبيرة في وسطها نعش تنيره كوكبتان من الشموع وتحيط به الأزهار .
فتقدمت وركعت بجانبه ونظرت ، نظرت فرأيت وجه رفيقني . رأيت وجه رفيقة
أحلامي وراء ثقب الموت . رأيت الامراة التي أحبيتها جداً فوق الحب . رأيتها جثة
هامدة بيضاء بألباب بيضاء بين أزهار بيضاء تخيم عليها سكينة الدهور ورهبة الأزل
يا الهي . يا الله الحب والحياة والموت ، انت الذي كونت أرواحنا ثم سيرتها في هذه
الأنوار وهذه الظلمات . انت الذي فطرت قلوبنا ثم جعلتها تنبض بالأمل والألم .
انت ، انت الذي أريتني رفيقتي جسداً بارداً . انت الذي قدتني من ارض الى ارض

لتظهر لي صراد الموت بالحياة ومشيئه الوجع بالفرح . انت الذي انبتَ في صحراء وحدتي
وانفرادي زنقة يضاء ثم سيرتني الى واد بعيد لتبيينها لي زنقة ذاكرة ذاوية فانية !
نعم ، يا رفيقي ، يا رفاق وحشتي واغترابي ، ان الله قد شاء فسقاني الكأس العلقمية
لتكن مشيئه الله . نحن البشر ، نحن المذرات المرتعشه في خلاء لا حد له ولا مدى ، نحن
لا نستطيع سوى الخضوع والامتثال . فان احبينا خبنا ليس منا وليس لنا . وان سررنا
فسرورنا ليس فيما بل في الحياة نفسها . وان تألمنا فالا لم ليس بكاؤمنا بل باحشاء الطبيعة
باسرها

لم اقصَ عليكم حكاياتي شاكياً . ان من يشكو يشك في الحياة وانا من المؤمنين .
اومن بصلاحية هذه المرأة التي تمازج كل رشفة أرتشفها من كؤوس الليالي . اومن
بجمال هذه المسامير التي تخترق صدري . اومن برافة هذه الاصابع الحديدية التي تمرق
غضاء قلبي .

هذه حكاياتي فكيف اصل الى نهايتها وهي بدون نهاية . لقد بقيت راكعاً امام
نعش الصبية التي احببها في احلامي محدقاً بوجهها حتى وضع الفجر يده على بلور النوافذ .
ففقطت اذ ذلك وعدت الى غرفتي متوكلاً على اوجاع الانسانية منحنياً تحت اعباء الابدية .
وبعد ثلاثة اسابيع تركت البندقية ورجعت الى لبنان رجوع من صرف الف جيل
في اعماق الدهر . رجعت رجوع كل لبني من غربة الى غربة .

سامحوني ، يا رفيقي ، فقد اطلت حديثي . سامحوني !



ابو الطيب المتنبي — جبرانه حليل جبرانه
انا الذي نظر الاعمى الى ادي واسمعت كلاني من به صمم
الخييل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

يوم مولدي

كُتِبَتْ فِي بَارِيسْ فِي ٦ ذَانُورِ الدُّولَةِ ١٩٠٨

فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ وَلَدْتِنِي أُمِّي
 فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ ، مِنْذُ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً ، وَضَعْتِنِي السَّكِينَةُ بَيْنَ أَيْدِي هَذَا
 الْوُجُودِ الْمَلُوءِ بِالصَّرَاخِ وَالنَّزَاعِ وَالْعَرَاقِ
 هَا قَدْ صَرَّتْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً حَوْلَ الشَّمْسِ ، وَلَا أَدْرِي كَمْ مَرَّةً سَارَ الْقَمْوُ
 حَوْلِي ، لَكُنِي لَمْ أُدْرِكْ بَعْدَ أَسْرَارِ النُّورِ ، وَلَا عَرَفْتُ خَفَايَا الظَّلَامِ
 قَدْ سَرَّتْ خَمْسًا وَعِشْرِينَ مَرَّةً مَعَ الْأَرْضِ وَالْقَمْرِ وَالشَّمْسِ وَالْكَوَافِرِ حَوْلِ
 النَّامُوسِ الْكَلِيلِ الْأَعْلَى ، وَلَكِنْ هُوَ ذَا نَفْسِي تَهْمَسُ إِلَيْنَا آنَاسِهِ ذَلِكَ النَّامُوسُ مِثْلَهُ
 يُوْجِعُ الْكَهْوَفَ صَدِيَّ أَمْوَاجِ الْبَحْرِ ، فَهِيَ كَائِنَةٌ بَكِيرَتِهِ ، وَلَا تَعْلَمُ مَاهِيَّتِهِ ، وَتَنْتَرِنُ بِأَغْانِيهِ
 مَدَهُ وَجْزِهِ وَلَا تُسْطِيعُ ادْرَاكَهُ

مِنْذُ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً خَطَّتِنِي يَدُ الزَّمَانِ كَلَمَةً فِي كِتَابِ هَذَا الْعَالَمِ الْغَرِيبِ الْهَائلِ ،
 وَهَا أَنَّذَا كَلَمَةً مَبْهَمَةً ، مَلْتَبِسَةً الْمَعْانِي ، تَرْمِنُ تَارِيَّةً لِي لَا شَيْءٌ ؛ وَطُورَأً إِلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ
 إِنَّ التَّأْمِلَاتِ وَالْأَفْكَارِ وَالْتَّذَكَارَاتِ تَتَزَاحِمُ عَلَيْنِي فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ مِنْ
 كُلِّ سَنَةٍ ، وَتَوْقِفُ أَمَامِي مَا كَبَ الأَيَّامِ الْفَاغِرَةِ ، وَتَرْيِنِي أَشْبَاحَ الْلَّيَالِي الْمَاضِيَّةِ ، نَمْ
 قَبْدَهَا كَمَبْدَدِ الرِّيَاحِ بِقَيَايَا الْغَيْوَمِ فَوقَ خَطِ الشَّفَقِ ، فَتَضَمَّنَلِي زَوَاياً غَرْفَتِي اضْمَحَّلَّا
 أَنَّاشِيدَ السَّوَاقِيِّ فِي الْأَوْدِيَّةِ الْبَعِيدَةِ الْخَالِيَّةِ

فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ مِنْ كُلِّ سَنَةٍ تَجْبِيَّهُ الْأَرْوَاحُ الَّتِي رَسَّمَتْ رُوحِي مَتَراَكِضَةً نَحْوِيِّ
 مِنْ جَمِيعِ أَطْرَافِ الْعَالَمِ ، وَتَحْيِطُ بِي مِرْتَلَةً أَغَانِيَ الذَّكْرِيِّ الْمُحْزَنَةِ ، ثُمَّ تَرَاجِعُ عَلَيْهِ مَهْلَكَهُ
 وَتَخْتَفِي وَرَاءَ الْمَرَيَّاتِ ، كَأَنَّهَا أَسْرَابٌ مِنَ الطَّيْرِ هَبَطَتْ عَلَيْهِ يَدُرِّ مَهْجُورَ فَلَمْ يَجِدْ بِذُورَهُ
 تَلْتَقطُهَا ، فَرَفَرَتْ هَبَبَهُ ثُمَّ طَارَتْ سَابِحةً إِلَى مَكَانٍ آخَرَ
 فِي هَذَا الْيَوْمِ تَنْتَصِبُ أَمَامِي مَعَانِي حَيَايِي الْفَاغِرَةِ ، كَأَنَّهَا مَرَأَةٌ ضَئِيلَةٌ أَنْظَرَ فِيهَا

طويلاً فلأرى سوى أوجه السنين الشاحبة كأوجه الاموات ، وملامح الآمال والاحلام
والاماني المتجمدة كلامح الشيوخ ، ثم أغمض عيني ونظر ثانية في تلك المرأة ، فلا أرى
غير وجهي ، ثم أدق بوجهي فلا أرى فيه غير الكآبة ، ثم استنطق الكآبة فأجدتها
خرساء لاتتكلم ، ولو تكلمت الكآبة ل كانت أكثر حلاوة من النبطة

في الخمس والعشرين سنة الفايرة قد أحببت كثيراً . وكثيراً ما أحييت ما يكرهه
الناس وكرهت ما يستحسنونه والذي أحببته عند ما كنت صبياً ما زلت احبه الآن .
والذي أحبه الآن ساحبه الى نهاية الحياة ، فالمحبة هي كل ما أستطيع ان احصل عليه ،
ولا يقدر أحد ان يعقدني ايام

قد أحببت الموت مرات عديدة ، فدعوته باسماء عذبة وتشبيبته سراً وعلناً ، ولئن
لم أصلُ الموت ولا تقضت له عهداً ، فانني صرت أحب الحياة أيضاً . فالموت والحياة قد
تساويا عندي بالجمال ، وتضارعا باللذة ، وشاركا بانماء شوقي وحنيني ، وتساهما
محبتي وانعطافي

وقد أحببت الحرية فكانت محبتي تنمو بنمو معرفتي عبودية الناس للجور والهوان ،
وتنسع باتساع ادراكي خصوصهم للاصنام الخفية التي يختتمها الاجيال المظلمة ، ونصبها
الجهالة المستمرة ، ونعمت جوانبها ملams شفاه العبيد ، لكنني كنت أحب هؤلاء
العبيد بمحبة الحرية ، وأشفق عليهم ، لأنهم عميان يتبلون أحناك الضواري الدامية ولا
يبحرون ، ويتصدون هات الافاعي الخبيثة ولا يشترون ويحفرون قبورهم بأظافرهم ولا
يعلمون . قد أحببت الحرية أكثر من كل شيء لاني وجدتها فتاة قد أضناها الانفراد ،
وأنحلها لاعزال ، حتى صارت خيالاً شفافاً يمر بين المنازل ، ويقف في منعطفات
الشوارع ، وينادي عابري الطريق ، فلا يسمعون ولا يلفتون

وفي الخمس والعشرين سنة قد أحببت السعادة مثل جحيم البشر ، فكنت أستيقظ
كل يوم وأطلبها كما يطلبونها لكنني لم أجدها قط في سبيلهم ، ولا رأيت أثر أقدامها
على الرمال الحبيطة بقصورهم ، ولا سمعت صدى صوتها خارجاً من نوافذ هياكلهم . ولما

أنفرد بطلبيها سمعت نفسي تهمن في اذني قائلة : « السعادة صبية تولد وتحيا في
أعماق القلب ولن تنجي إليه من محيشه . » وما فجعت قلبي لكي أرى السعادة وجدت
هناك صرآتها وسريرها وملابسها . لكنني لم أجدها

وقد أحبيب الناس — أحبنهم كثيراً — والناس في شرعاً ثلاثة :
واحد يلعن الحياة ، واحد يباركها ، واحد يتأملها ، فقد أحبيب الأول لتعاسته ،
والثاني لساحتته ، والثالث لمداركه

هكذا اقضت الخمس وعشرون سنة . وهكذا ذهبت أيامي ولبابي متتسارعة ،
متتابعة ، متتساقطة من حياتي ، مثلما تذائر أوراق الشجر أمام رياح الخريف
والاليوم ، قد وقفت متذكرة ، وقف سائر متعب بلغ متتصف العقبة ، انظر إلى
كل ناحية فلا أرى الماضي حياني أثراً أستطيع أن أوصي إليه أمام وجه الشمس قائلاً :
« هذا لي » ولا أجد لفصول أعمامي غلة سوى أوراق مخضبة ب قطرات الخبر السوداء
ورسم غريبة مبعثرة مملوءة خطوطاً ولواناً متباعدة متناسقة . في هذه الأوراق المشورة
والرسوم المبعثرة ، قد كفحت ودفت عواطفي وأفكاري وأحلامي ، مثلما يدفن الزارع
البذور في بطن الأرض ، ولكن الزارع الذي يخرج إلى الحقل ويلقي البذور بين ثناباً
التراب يعود إلى بيته في المساء آلاً راجياً متظراً أيام الحصاد والاستغلال

أما أنا فقد طرحت حبات قلبي بلا أمل ، ولا رجاء ، ولا انتظار

والآن ، وقد بلغت هذه المرحلة من العمر ، فتراءى لي الماضي من وراء ضباب
التنهيد والاسي ، وبان لนาكري المستقبل من وراء نقاب الماضي ، أقف وأنظر إلى الوجود
من خلال بلوغ نافذتي ، واري وجوه الناس واسمع أصواتهم متتصاعدة إلى الفضاء ،
وأعي وقع أقدامهم بين المذازل ، وأشعر بلامس أرواحهم وتجوّات أميالهم ونبضات
خلوبهم . انظر ، فأرى الأطفال يلعبون ويتراءكون ويدرون التراب بعضهم في وجوه
بعض ضاحكين مقهقحين ، وأرى الفتيان يسرون بعزم رافعين رؤوسهم كأنهم يقرأون
قصيدة الشباب مكتوبة بين حواشي العيون المبطنة باشعة الشمس ، وأرى الصبايا

يخترن وينتبن كالاغصان ويتبسم كالازهار وينظرن الى الفتى من وراء جفونه .
 ترتعش بالليل والانعطاف ، واوى الشووخ يمشون على مهل محدودي الظهور ، متوكئين
 على العصيّ محدقين بالارض كأنهم يبحثون بين دقائق التراب عن جواهر أضاعوها .
 أقف بجانب نافذتي وأنظر متأملاً بجميع هذه الصور والاشباح الساكنة بسيرها المتطرارة
 بديتها في شوارع المدينة وأزقتها ، ثم أنظر متأملاً بما وراء المدينة ، فرأى البرية بكل
 ما فيها من الجمال الرهيب ، والسكنية المتکامة ، واللول الباسقة ، والأودية المنخفضة ،
 والأشجار النامية ، والاعشاب المتمايلة ، والازهار المعطرة ، والانهار المترنة ، والاطياد
 المفردة ، ثم أنظر الى ما وراء البرية ، فرأى البحر بكل ما في أعماقه من الغرائب
 والعجبات والمدافن والاسرار ، وما على سطحه من الامواج المزبدة ، الفوضوية ،
 المتسرعة ، المتهاونة ، والابخرة المتتصاعدة ، المتبددة ، المتتساقطة ، ثم أنظر متأملاً بما
 وراء البحر ، فرأى الفضاء غير المتناهي بكل ما فيه من العالم السابحة ، والكوناكب
 اللامعة ، والشموس ، والاقار ، والسيارات وانثوابت ، وما ينبعها من الدوافع والجواذب
 المتسالمة ، المتنازعة ، المتولدة ، المتحولة ، المتسككة بناموس لا حد له ولا مرى ، الخاضعة
 لشرع كلي ليس ابدئه ابتداء ولا لنهايته نهاية . أنظر وتأمل بجميع هذه الاشياء من
 خلال ببور نافذتي فأنسى الحس والعشرين وما جاء قبلها من الاجيال وسيأتي بعدها
 من قرون ، ويظاهر لي كياني ومحيطي بكل ما أخلفه وأعلنه كذرة من تهدة طفل ترنجف
 في خلاء أزلي الاعماق ، سرمدي الملو ، أبيدي الحدود . لكنني أشعر بكيان هذه
 الذرة - هذه النفس - هذه الذات التي أدعوها «أنا» . أشعر بحراً كها وأسمع ضجيجها .
 فهي ترفع الآن أجنتها نحو العلا . وتدريجها الى كل ناحية . وتنمیل صرفة في مثل
 اليوم الذي أبانها للوجود ، وبصوتٍ متتصاعد من قدس أقدسها ، تصرخ قائلة : «سلام
 أيتها الحياة سلام أيتها اليقظة ، سلام أيتها الرؤيا ، سلام أيتها النهار الغامر بنورك ظلة
 الارض ، سلام أيها الليل المظور بظلمتك أنوار السماء ؟ سلام أيتها الفصول ، سلام أيها
 الربيع المعيد شبيبة الارض ، سلام أيها الصيف المذيع مجداً الشمس ، سلام أيها الخريف
 الواهب ثمار الاتعاب وغلة الاعمال ، سلام أيها الشتاء المرجم بثوراتك عزم الطبيعة » .

سلام أيها الاعوام الناشرة ما أخفته الاعوام ، سلام أيها الاجيال المصلحة ما أفسدته
الاجيال ، سلام أيها الزمن السائر بنا نحو الكمال ، سلام ايها الروح الضابط أعنـة الحياة ،
المحجوب عنا بنقاب الشمس ، وسلام لك أيها القلب ، لأنك تستطع أن تهدى بالسلام
حوائـت مغمور بالدموع ، وسلام لك أيتها الشفاه ، لأنك تتلقظين بالسلام وأنت تذوقين
طعم المرأة »

امراحل السبع

شجيت نفسي سبع مرات . المرة الأولى لما حاولت الحصول على الرفة عن طريق
الضفة . والمرة الثانية لما عرجت امام المقددين . والمرة الثالثة لما خيرت بين الصعب
وحالين فاختارت الحالين . والمرة الرابعة لما أخطأت فتعزت بخطا غيرها . والمرة الخامسة لما
تمجلدت عن ضعف وعزت جلدها الى القوة . والمرة السادسة لما لمت أذيالها عن أوحال
الحياة . والمرة السابعة لما وقفت مرتبة امام الله وحسبت الترتيل فضيلة فيها





الخنساء

میرانہ فلیل میرانہ

يذَّكُرُني طلوعُ الشَّمْسِ صَحْرًا
وأذَّكُرُهُ لِكُلِّ طلوعِ شَمْسٍ
ولولا كثرة الباكيين حولي
على إخوانهم لقتلت نفسي

جبران العاشق

بقلم هيرأية

أينك عنواي ؟

أويجعل عينيك تبرقان ؟

او يوقظ فيك الميل الى الغيل والقال ؟

انت تريد ان تعرف شيئاً عن جبران — جبران المنشرد ؟

وانت ت يريد ان تدخل الى قدس اقداسه زفناً لي كشف ينابيع كنوزه ؟

وانك لترغب في الوصول الى حريريته وألوانه

ولقد تحذثك النفس بأنك بعد هذا ستسمع شيئاً عن ولدان

انك لمصيب بذلك ؟

انه وله — وله عميق ذو عاصفة هوجاء — وله يثير اعماقه ويأتي بافكاره اللاؤائية

والوانه النادرة واخيلته التي لا مثيل لها وخطوطه الى لاتنسى

جبرانا — جبران ملحد . لا يقنع بحب واحدة بل يجب كثیرات وهؤلاء في حريمه

هن — استيهن لك — خواطر ، تصورات ، الوان ، انوار ، قدود ، جمال

هؤلاء هن المحراث الذهول الملهب ، والرشاقة الشعرية ، والتعميد في التعبير

اما الخواطر فسلطاته وهي ناضجة بت الخبرة . فتئاته ذات صوت ذهبي كاملة

المهندام . ترفل بالاطالس . وتسطع بالجواهر . معطرة بالشرق القديم والغرب الجديد

واما التصورات فحبه وهي الاعته التي تشارطه الوحدة في انفراده وتدنن مهمهمة

لشجونه وتداعب مؤاسة نجاحه وهي التي تجعله حلاماً بخياله وعائشاً لاحلامه وهي هي التي

جعلت رؤياه حقيقة بينة ومنحه قوة صبره وثبتته وجهلت السنين تمشي امام خياله

واما الالوان فساحرته وهي خمرة تذيب الجواهر التي قدمتها الاجيال الى الساحرة

ثم وهبها لجبران . وان الالوان التي تظهر باردة قاسية لغيره من الرسامين هي لينة وذائبة

عنه . فاخضره من الزمرد وأزرقه من الألزورد وأحمره من الياقوت . وهذه الألوان
التي تبدو على سطوح رسومه هي مما لا يستعار الا من لؤلؤة
وأما الأنوار فرفيقته الانيسة توئي إليه وتبهره وبواسطتها يقبض على كل أسرار
الحياة الداخلية التي هي عنده أصل الجمال وروحه
وأما القدود فهي عروسه الفتاة التي عرّاها من كل التقاليد وأنشأها كما يريد وهذا
فهي لا تعرف مسرات الحياة خالية من الطياشة بعيدة عن الحيوانية وعن كل ما هو ليس
معقولاً ولكنها محملة بالافكار مشبعة بالأحلام . وهي روحانية رؤوفة رغم أنها مجردة .
ومع ذلك فهي أبداً متجلبية بروح الله
وأما الجمال فالآهته ولاجلها قد شاد مذبحاً للإعانت والوفاء والشرف والجلالة .
وعليه احرق كايحرق البخور ما آتى أيامه ، أحلام لياليه ، ماضيه وحاضره
يسود في حريمه هذا السلام والسعادة الكاملان لأنه يؤكّد خلال سحره
ونعطاشه البليغة لكل حسب تحقيق امله الواجف بالمبارات الناطق بانعام الله تعالى



العلامة ابن خلدون
جبرانه غليل ميرانه

فیلسوف المؤرخین . ولد في تونس القرب سنة ٧٣٢ هـ ١٣٣١ م

وَتَوَفَّى فِي الْقَاهِرَةِ سَنَةُ ٨٠٨ هـ

الشاعر

أنا غريب في هذا العالم

أنا غريب وفي الغربة وحدة قاسية ووحشة موجعة غير أنها تجعلني أفكر أبداً بوطن
سجيري لا أعرفه وتعلّم أحلامي بأشباح أرض قصبة ما رأتها عيني
أنا غريب عن أهلي وخلاني . فإذا ما لقيت واحداً منهم أقول في ذاتي « من هذا
وكيف عرفته وأي ناموس يجمعني به ولماذا أقترب منه وأجالسه »

أنا غريب عن نفسي فإذا ما سمعت لسانى متكلماً تستغرب اذنی صوتي . وقد
أرى ذاتي الخفية ضاحكة باكية . مستسللة خائفة . فيعجب كياني بكيني وتتسفسر
روحى روحي . ولكنني أبقى مجھولاً . مستتراً مكتنفاً بالضباب محجوباً بالسکوت
أنا غريب عن جسدي ، وكلما وقفت أمام المرأة أرى في وجهي مala تشعر به
نقسي ، وأجد في عيني مالا تكتنه أعمقى ، أسير في شوارع المدينة فيتبعني الفتىان
صارخين « هوذا الأعنى فلانطه عكازاً يتوكأ عليه » فأهرب منهم مسرعاً . ثم التقى
بسرب من الصبيا يا فيتشيشن بأذىالي قاتلات « هو أطرش كالصخر فلأنملاً أذنيه بأنقام
الفنل « فأتركهن راكضاً . ثم التقى بجماعة من الكهول فيقرون حولي قاتلين « هو
آخر كالقبر فتعالوا نقوم اعوجاج لسانه » فاغادرهم خائفاً . ثم التقى برهط من
الشيخ فيومئون نحوى بأصابع مرتعشة قاتلين « هو مجانون أضاع صوابه في مسارح
الجين والغيلان »

أنا غريب في هذا العالم

أنا غريب وقد جئت مشارق الارض ومغاربها فلم أجد مسقط رأسي ولا لقيت
من يعرفي ولا يسمع بي

استيقظ في الصباح فأجدني مسجوناً في كهف مظلم تتدلى الافاعي من سقفه وتدبُّ
الحشرات في جنباته ثم أخرج إلى النور فيتبعني خيال جسدي . أما خيالات نفسي
فتسير أمامي إلى حيث لا أدرى باحثة عن أمور لا أفهمها قابضة على أشياء لا حاجة لي

بها وعندما يجيء المساء أعود وأضطجع على فراشي المصنوع من رئيس النعام وشك
القتاد فتراودني أفكار غريبة وقناولني أميالاً من عجة مفرحة لذيدة وحين ينتصفه
الليل تدخل عليَّ من شقوق الكهف أشباح الأزمنة الغابرة وأرواح الأمم المنسية فأخذت
بها وتحدق بي وأخاطبها مستفهمًا فتجيبني بسمة ثم أحاول القبض عليها فتسارعه
مضمحة كالدخان

أنا غريب في هذا العالم

أنا غريب وليس في الوجود من يعرف كلمة من لغة نفسي
أسير في البرية الخالية فأرى السوافي تصاعد متراكمة من أعماق الوادي حتى تفتق
الجبل وأرى الاشجار العارية تكتسي وتزهو وتشمر وتنثر في دقيقة واحدة ثم تهبط أغصانها
إلى الحضيض وتحول إلى حبات رقطاء صرمشة وأرى الاطياف تنتقل متصاعدة
هابطة مفردة مولولة . ثم تقف وتفتح أجنحتها وتنقلب نساء عاريات محلولات الشعر
ممدودات الاعناق ينظرنَ اليَّ من وراء أخفان مكحولة بالعشق ويتسنم لي بشفاه
وردية مغمومة بالعسل . ويهددن نحوِي أيادي بيضاء ناعمة معطرة بالمن واللبان . ثم
ينتفضن وينتففين عن ناظري ويضمحلن كالضباب تاركات في الفضاء صدى ضحكتهن
مني واستهزأُهن بي .

أنا غريب في هذا العالم

أنا شاعر أنظم ما تنشره الحياة وأنثر ما تنظمه . ولهذا أنا غريب وسابقي غريبياً
حتى تخطفني المنايا وتحملني إلى وطني

عندما يذبل الشعور يصير فكراً

الشعراء اثنان ذكي ذو ذاتية مقتبسة . ومثلهم كان ذاتاً قبل ان يصير بشراً . والفرق
بين الذكاء والالهام في الشعر هو الفرق بين أظافر محددة تحكُّ الجلد الحبراء وشفاه
أميرة تقبل القروح فتشفيها .

جريدة خليل جران

* تريل نيويورك *

حمدمة محتاله

نيويورك في ٦ أكتوبر (تشرين أول) سنة ١٩١٢

عزيززي سركيس اندى

باعت اليك بحكاية او حثها الى عرائس الحان لتكريم خليل اندى مطران وهي
كما تراها قصيرة بجانب هيبة الامير العظيم والشاعر الكبير وطوبيلة بجانب مقتضبات
الكتاب والشعراء الذين يملون بالطبع الى ما قل ودل خصوصاً في الحفلات الاكرامية
ولكن ما العمل وعرايس الحان قد بعن الى موضوع يستدعي قليلاً من الاسباب؟
تفضل بقبول شكري وامتناني للدعوك ايدي الى الاشتراك بتكريم شاعر كبير
يسكب روحه خمراً في كؤوس النهضة العربية الحاضرة ويحرق قلبه بخوراً امام القطرين
فيجعلها أكثر تحبياً وأشد علاقة.

وتكرم بقبول تحبي المشفوعة باحترامي واعجابي

الشاعر البعلبكي

« ١ »

في مدينة بعلبك سنة ١١٢ قبل الميلاد

جلس الامير على عرشه الذهبي ، المحاط بالمسارج المشتعلة ، والماخر المتقدة ،
تجلس القواد والكهان عن يمينه وشماله ، ووقف الجنود والعييد امامه ، وقف الانصاب
ناماً وجه الشمس

* بث بها الى مجلة سركيس بمناسبة الحفلة الاكرامية التي أقيمت لخليل بك مطران بالجامعة
المصرية في ١٣ ابريل سنة ١٩١٣

بعد هنีهة ، وقد اتهى المرتلون من انشادهم ، وتوارت انفاسهم بين طيات ثواب الليل ، وقف كبير الوزراء امام الامير ، وقال بصوت تهدّجه ضاللة الشيخوخة « أيها الامير العظيم ، قد جاء المدينة بالامس حكيم من حكاء الهند ذو اطوار غريبة ومذاهب جديدة لم نسمع قط يمثلها فهو يدعو الناس الى الاعتقاد بتقمص الارواح من جسد الى جسد ، وانتقال النفوس من جيل الى جيل حتى تبلغ الكمال ، وتصير الى مصف الالهة . وقد جاء الليلة طالبا الدخول عليك ليبسط تعاليمه امامك » فهزَّ الامير رأسه وقال مبتسماً :

« من بلاد الهند تأتي الغرائب والعجبات فادخلوه لنسمع حجته »
ولم تمر دقيقة حتى دخل القاعة كهل اسمر اللون ، مهيب المنظر ، ذو عينين كبيرتين ، ولامع منفرجة ، تكلم بلا نطق عن اسرار عميقة ، واموال غريبة . وبعد ان اخنى مستاذنا ، رفع رأسه وتلمست عيناه وطفق يتكلم عن بدنته ، مظهراً كيف تنتقل الارواح من هيكل الى هيكل ، مرتبة بعوامل الوسط الذي تختاره . متدرجة بتأثيرات الامور التي تختبرها ، مهابية مع الاجداد التي ترعنها وتغويها ، نامية مع الحب الذي يدعها ويشقيها . . . ثم نطرق الى كيفية انتقال النفوس من مكان الى مكان ، باحثة عما تحتاج اليه من الكماليات ، مكفرة في حاضرها عن ذنب اقترفتها في ماضيها ، مستغلة في بلد مازرعته في بلد آخر .

ولما طال الكلام ، وقد بدت على ملامح الامير سما الملل والضجر ، اقترب كبير الوزراء من الحكيم وهمس في اذنه قائلاً « كفى الان فدفع البحث الى فرصة نائية » فتراجع الحكيم الى الوراء وجلس بين الكهان مطبقاً اجفانه كأن عينيه قد تعينا من التحديق في خفايا الوجود واسراره

وبعد سكينة شبيهة بغيبة الانبياء ، تلقت الامير الى المين واليسار ثم سأله قائلاً « اين شاعرنا فقد مر زمن ولم نره . . ماذا حل به وقد كان يحضر مجلسنا كل ليلة ؟ » فقال احد الكهان « قد رأيته منذ اسبوع جالساً في رواق هيكل عشتروت وهو ينظر بعينين جامدين كثيتين نحو الشفق البعيد كأنه اضاع بين الفيوم قصيدة من قصائده »

وقال أحد القواد « قد رأيته بالامس واقفاً بين اشجار السرو والصفصاف فحياته ولم يبرد التحية بل ظل غارقاً في بحر افكاره واحلامه »
وقال رئيس الخصيان « قد رأيته اليوم في حديقة القصر فدنوت منه فوجده اصفر اللون ، شاحد الوجه ، تراود الدموع اجفانه وتتلاub الفصات بانفاسه »
قال الامير بصوت تلاحمه اللهم « اذهبوا وابحثوا عنه وعودوا به مسرعين فقد اشغل بانا امره »

خرج العبيد والجنود يبحثون عن الشاعر وظل الامير واعوانه صامتين حائرين متربعين . كان نفوسهم قد شعرت بوجود شبح غير منظور متصلب في وسط تلك القاعة .
وبعد هنيمة عاد رئيس الخصيان وارتى على قدمي الامير كطائر رماد الصياد بسهم .
فصرخ به الامير قائلاً « ما الخبر .. ماذا جرى ؟ »

فرفع النجبي رأسه وقال مرتضاً « قد وجدنا الشاعر ميتاً في حديقة النصر » فاتصلب الامير وقد عملت سجنته سيا الحزن والكمد ، ثم خرج الى الحديقة يتقدمه حاملو المسارج ويتبعه القواد والكهان . ولما يلغوا اطراف الحديقة . حيث اشجار اللوز والرمان . جلت لهم اشعة السرج الصفراء . جثة هامدة مرتمية على الاعشاب كغصن ورد ذابل .
قال أحد الاعوان « انظروا كيف عانق قيثارته كأنها صبية حسناً أحبتها وأحبته فتعاهدا على ان يموتا معاً »

وقال أحد القواد « لم يزل يحذق في اعماق الفضاء كعادته كأنه يرى بين الكواكب خيال اللهِ غير معروف »

وقال رئيس الكهان مخاطباً الامير « غداً تقبره في ظلال هيكل عشرة المقدسه .
فيشير سكان المدينة وراء نعشة ، وينشد الفتیان قصائدہ ، وتنثر العذاری الا زهار على ضريحه . لقد كان شاعراً عظیماً فليكن احتفالنا بدفعه عظیماً . »

فهز الامير رأسه دون ان يحول عينيه عن وجه الشاعر المتشنج بنقاب الموت ، ثم قال ببطء « لا .. لا .. لقد اهملناه اذ كان حياً يهلاً جوانب البلاد من اشباح نفسه ، ويُمطر الفضاء باتفاقه ، فاذا ما اكرمناه ميتاً تسخر بنا الآلهة وتضحك منا عرائس المروج

والاودية . . ادفووه هنا حيث فاضت روحه . وابقوا قيضاوته بين ذراعيه . وان كان ينسكم من يريد ان يكرمه فليذهب الى بيته ويخبر ابناءه بان الامير قد اهمل شاعره فات كثيراً وحيداً منفرداً »

ثم التفت حوله وزاد قائلاً « أين الفيلسوف الهندي ؟ »

فتقىم الفيلسوف وقال « ها أنذا ابها الامير العظيم »
قال الامير قل — قل ابها الحكم — هل ترجعني الآلهة أميراً الى هذا العالم
وتعيده شاعراً ؟ هل تلبس روحي جسد ابن مليك عظيم ؟ وتجسم روحه في جسد شاعر
كبير ؟ هل توقفه النوميس ثانية امام وجه الابدية لينظم الحياة شعراً ؟ وتعيده لانعم عليه
وافرح قلبه بالمواهب والمعطيات ؟ »

فأجاب الفيلسوف قائلاً « كل ما تشاقه الارواح تبلغه الارواح ، فالناموس الذي
يعيد بهجة الربيع بعد انقضاء الشتاء سيعيدك اميراً عظيماً ويعيده شاعراً كبيراً »
فانفوجت ملامح الامير وانتعشت نفسه ثم مشى نحو قصره مفكراً في اقوال الحكم
الهندي محدثاً ذاته بقوله « كل ما تشاقه الارواح تبلغه الارواح »

» ٢ «

« في مصر القاهرة سنة ١٩١٢ للميلاد »

طلع القمر والقى وشاحه الفضي على المدينة ، وامير البلاد جالس في شرفة قصره ،
ينظر الى الفضاء الصافي . مفكراً بما في الاجيال التي مرت متابعة على ضفاف النيل ،
مستوضحاً اعمال الملوك والفاتحين الذين وقفوا امام هيبة ابي الهول ، مستعرضاً مواكب
الشعوب والامم التي سيرها الدهر من جوانب الاهرام الى قصر عابدين
ولما اتسعت دائرة افكاره . وانبسطت مسارح احلاته . التفت نحو نديمه الجالس

يقربه وقال « في نفسنا الليلة ميل الى الشعر فانشدنا شيئاً منه »

خنى النديم رأسه واخذ ينشد قصيدة لشاعر جاهلي .

فقطاعه الامير قائلاً « انشدنا شعراً احدث عهداً »

فانحنى النديم ثانية وابتداً يردد اياتاً لاحد الشعراء المخضرمين

حقاطعه الامير ايضاً وقال . « احدث عهداً ، احدث عهداً »
فانحنى النديم للمرة الثالثة واخذ يترنم بحقاطيع موشح الالهي
فقال الامير « انشدنا قصيدة لشاعر معاصر »

فرفع النديم يده الى جبهته كأنه يريد ان يستحضر الى حافظته كل مانظمه شعراء العصر ،
ثم برق تعبان ، وتهلل وجهه ، وطفق يرتل اياتاً خيالية ذات رنة سحرية ، ومعانٍ رقيقة
مبتكرة ، وكنایات لطيفة نادرة تتجاوز النفس فتملاها شعاعاً ، وتحيط بالقلب فتذيه انطلاقاً
لخدق الامير بندمه وقد استهونه نفمة الايات ومعانها ، وشعر بوجود اية خفية
محتجذبة من ذلك المكان الى مكان قصي . ثم سأله قاتلاً « من هذه الايات ؟ »
فاجاب النديم « للشاعر البعلبكي »
الشاعر البعلبكي !

الشاعر البعلبكي . . كلتان غريتان توجتا في مسامع الامير ولدتافي داخل روحه
« النبلة اشباح اميرال ملتبسة بوضوحاها قوية بدقتها
الشاعر البعلبكي . . اسم قديم جديد ، اعاد الى نفس الامير رسوم ایام منسية ،
وايقظ في اعماق صدره خيالات تذكريات هاجعة ، ورسم امام عينيه بخطوط شبيهة بثنيا
الضباب صورة فتى ميت يعانق قيثارة وقد وقف حوله القواد والشكان والوزراء !
واحثت هذه الرؤيا امام عيني الامير مثلما توارى الاحلام بمحجي ، الصباح ، فوق
ومشي جاماً ذراعيه على صدره ، مردداً آية النبي العربي — « وَكُنْتُ أَمَوَاتاً فَاحْيَاكُمْ
شَمْ يَيْتَكُمْ ثُمَّ يَحِيِّكُمْ ثُمَّ أَلَيْهِ تَرْجِعُونَ »

ثم التفت نحو نديمه قاتلاً « يسراً وجود الشاعر البعلبكي في بلادنا وسوف تقرئه
حونكمه » و بعد دقيقة زاد بصوت منخفض « اما الشاعر طائر غريب المزايا يفلت من
مسارحة الملوية ويتجهي لهذا العالم مفرداً فان لم نذكره يفتح جناحيه ويعود طائراً الى موطنه »
وانتقضى الليل ، فلمع الفضاء اوابه المرصدة بالنجوم ، ولبس فيصه المنسوج من اشعة
الصبح ، ونفس امير البلاد تهافت بين عجائب الوجود وغرائبها ، وخفايا الحياة واسرارها

تذكارات حب (١)

كنت في الثامنة عشرة عند ما فتح الحب عيني بأشعته السحرية ، ولبس نفسي لأول مرة بأصابعه النارية ، وكانت سلبي كرامه المرأة الأولى التي أيقظت روحي بمحاسنها ، ومشت أمامي إلى جنة المواتف العلوية حيث تمر الأيام كالاحلام وتتفوضي الليلالي كالاعراس

سلبي كرامه هي التي علمتني عبادة الجمال بمجدهما ، وأرتني خفايا الحب بانعطافها ، وهي التي أنشدت على مسمعي أول بيت من قصيدة الحياة المعنوية أي فتي لا يذكر الصبية الأولى التي أبدلت غفلة شبيته بقطة هائلة بلطفها ، جارحة بعذوبتها ، فتاكهة بخلاؤتها ؟ من من لا يذوب حينئذ إلى تلك الساعة الغريبة التي اذا اتبه فيها فجأة رأى كليته قد انقلبت وتحولت ، وأعمافه قد اتسعت وانبسطت وبطنت بانفعالات لذريدة بكل ما فيها من مرارة الكمان ، مستحبة بكل ما يكتنفها من الدموع والشوق والسباد . لكل فتي سلبي تظهر على حين غفلة في ربيع حياته وتجمل لانفراده معنى شعرياً وتبدل وحشة أيامه بالأنس ، وسكينة لياليه بالانفاس

كنت حائراً بين تأثيرات الطبيعة وموحيات الكتب والاسفار عند ما سمعت الحب يهمس بشفتي سلبي في آذان نفسي ، وكانت حياتي خالية مقفرة باردة شبيهة بسبات آدم في الفردوس عند ما رأيت سلبي متيبة أمامي كعمود النور فسلبي كرامه هي حواء هذا القلب المملوء بالأسرار والعجبات وهي التي أفهمته كنه هذا الوجود وأوقفته كلمرأة امام هذه الاشباح . . . حواء الأولى أخرجت آدم من الفردوس بارادتها واقياده أما سلبي كرامه فادخلتني إلى جنة الحب والظهور بخلاؤتها واستعدادي ، ولكن ما أصاب الانسان الاول قد أصابني ، والسيف الناري الذي طرده من الفردوس هو كالسيف الذي أخافني بلمعان حده وأبعدني كرهاً عن جنة المحبة قبل ان اخالف وصيحة وقبل أن أذوق طعم عمار الخير والشر

(١) توطئة رواية « الاجنحة المكسرة »

وال يوم ، وقد مررت الاعوام المظلمة طامسة بأقدامها رسوم تلك الايام ، لم يبقَ لي
من ذلك الحلم الجميل سوى تذكاري موجعة ترفرف كالأشنة غير المنظورة حول رأسي »
مشيرة تهدات الاسى في أعمق صدرى ، مستقطرة دموع اليأس والاسف من اجفانى ...
ولى — سلى الجميلة العذبة قد ذهبت ما وراء الشفق الازرق ولم يبقَ من آثارها
في هذا العالم سوى غصات أليمة في قلبي وقبر رحامي متتصب في ظلال أشجار السرو .
فذلك القبر وهذا القلب هما كل ما بقي ليحدث الوجود عن سلى كرامه . غير ان
السكونية التي تخفر القبور لا تقضي ذلك السر المصنون الذي أخفته الآلة في ظلمات
التابوت ، والاغصان التي امتصت عناصر الجسد لا تبήج بمحفيفها مكنونات الحفرة .
أما غصات وأوجاع هذا القلب فهي التي تسكلم وهي التي تنسكب الآن مع قطرات
الخبر السوداء معلنة للنور أشباح تلك المأساة التي مثلها الحب والجمال والموت
فيها أشباح شبيهي المنتشرين في بيروت اذ مررت بتلك المقبرة الفريدة من غابة
الصنوبر فأدخلوها صامتين وسيروا ببطء كيلا تزعج أقدامكم رفات الراقدين تحت أطباق
الترى وقفوا متمهين بجانب قبر سلى وحيوا عني التراب الذي ضم جثماناً ثم اذ كروني
بنهمة قائلين في نفوسكم ، هنا دفت آمال ذلك الفتى الذي نفته صروف الدهر الى
ما وراء البحار ، وهنا توارت أمانيه وازوت أفراده وغارت دموعه واضمحلات ابتسامته
وبين هذه المدافن الخرساء تنمو كآبته مع أشجار السرو والصفصاف ، وفوق هذا القبر
ترفرف روحه كل ليلة مستأنسة بالذكرى ، مرددة مع أشباح الوحشة ندبات الحزن
والاسى ، نائحة مع الفصون على صبية كانت بالامس نغمة شجية بين شفتي الحياة فأصبحت
اليوم سراً صامتاً في صدر الارض
استحافكم يارفاق الصبا بالنساء اللواتي احببهن قلوبكم أن تضعوا أكاليل الازهار
على قبر المرأة التي أحبها قلبي — فرب زهرة تلتهمها على ضريح منسي ” تكون كقطرة
الندى التي تسکبها أحفان الصباح بين أوراق الوردة الدابلة

الله

في قديم الازمنة لما ارتعشت شفتاي بالنطق لأول مرة صعدت الى الجبل المقدس
وناجيت الله قائلاً :

« انا عبدك ياربي ، ومشيئتكم الخفية صراطي . وسأبقي مطيناً لك الى أبداً آبدع »
فلم يجربني الله بل مرّ كعاصفة هوجاء واحتفي عن ناظري .

وبعد الف سنة صعدت ثانية الى الجبل المقدس وكللت الله قائلاً :

« انا صنع يديك ياخالقى . من تراب الارض جعلتني ، وبنسمة من روحك القدسية ،
تحيتي فانا لك بكلبي «

فلم يجربني الله ، بل مرّ مختاراً كخفيف اجنحة كثيرة وتوارى عن الابصار .

وبعد الف سنة صعدت ثالثة الى الجبل المقدس وكللت الله قائلاً :

« انا ابنك يا ابتر بالحب والخنان ولدتني ، وبالحب والعبادة سأرث ملوكتك . »
فلم يجربني الله بل توارى كالضباب الذي يغشى التلال البعيدة .

وبعد الف سنة صعدت رابعة الى الجبل المقدس وكللت الله قائلاً :

« المي ، ومقصدي ، وكالي — انا امسك وانت غدي . انا عروق لك في التراب
وانت اذاهري في السماء ونحن ننمو سوية امام وجه الشمس »

فمعطف اذ ذاك الله نحوه وهمس في اذني كلمات عذبة علوية ، وكبحري يضم جدولًا
جارياً اليه هكذا ضماني الله اليه .

ولما انحدرت الى الاودية والسهول وجدت الله هنا لك ايضاً .



يا صاحبي .

يا صاحبي — أنا لست كما أظهر لديك ، وما مظاهري سوى رداء دقيق الصنع محوك . من خيوط التساهل والحسنى أنت به ليdra عنى تطفلك ويجعلك من إهمالي . أما الذات الخفية التي ادعوها « أنا » فهي سر عميق غامض مستتر وراء جدران السكون وسيقى . غامضاً مستتراً معتصماً إلى الأبد

يا صاحبي — أود أن لا تصدق ما أقول وإن لا تثق بما أفعل لأن كلّي ليست سوى صدى أفكارك وما تأثر بي ليست سوى رسوم آمالك

يا صاحبي — حين تقول لي « الريح تهب شرقاً » أجييك بقولي « اي » فهي تهب شرقاً « لأنني لا أريدك أن تعلم ان أفكاري لا تسبيح مع الريح بل تهبط وتصاعد مع امواج البحر . وانت فاصل بطبعه أفكارك المستسلمة الى الارياح عن ادراك طبيعة أفكاري المرفرفة فوق البحار ، وإن لا استطيع ان أبين لك كنه تلك الأفكار ، ولو استطعت لما فعلت لأنني أوران اسبح في البحر وحدي

يا صاحبي — حين تكون في ظهيرة نهارك أكون في منتصف ليلي ، ومع ذلك فإذا أحدثك من وراء حجاب الدجى عن الشمس في الصفل وعن اشعتها الذهبية الراقصة فوق قم الحيال وعن الفضل الظليل الذي يسترق خطواته في الاودية الخضراء . أحدثك عن هذه الامور لأنك لا تستطيع ان تسمع ألحان ظلمتى ولا تقدر ان ترى خفقان جناحي بين السكواكب . وإن لا أريدك ان تسمع او ان ترى لأنني أوران ابقي مع الليل وحدي .

يا صاحبي — حين تصعد انت الى جناتك انحدر أنا الى جحيمى . وحتى في جحيمى اسمعك تناذيني من وراء المهاوية المهاطلة التي تفصلنا قائلاً « يا صاحبي — يا رفيقى » فاجييك هاتفاً « يا رفيقى — يا صاحبي » لأنى اضن بجحيمى من ان يقع عليه بصرك واخشى من هببى ان يتلهم النور في عينيك ومن دخانه ان يسد منخر يك . أما أنا فولع بجحيمى وأوران تبقى بعيداً عنه لاني اريد ان أكون في الجحيم وحدي .

يا صاحبي — انت تعيش الحق والجمال والفضيلة . وانا لا جلاك اقول انه يليق بالانسان
ان يحب هذه الاشياء . ولكنني اضحك في قلبي من حبك — واستر عنك ضحكي لاني
افضل ان اضحك وحدى

يا صاحبي — انت صديق وحكيم وترو ، لا بل انت كامل ، وانا احاول ان
اخاطبك بحكمة وترو . غير اني مجنون منجذب عن العالم الذي تقطنه انت الى عالم غريب
و بعيد . ولكنني استر عنك جنوني لاني افضل ان اكون مجنوناً وحدى
يا صاحبي — انت لست صاحبي فكيف اجعلك تدرك ذلك ؟ طريقك ليست
طريقي ولكننا نسير معًا يداً يدًا .

الليل والمجنون

المجنون — « انا مثلك أیها الليل قاتم ، عارٍ سائرٍ على الطريق الملهبة المتعددة فوق
حـلـامـ نـهـارـيـ ، وحيـنـماـ نـسـ رـجـلـيـ الـأـرـضـ هـنـاكـ تـبـشـقـ شـجـرـةـ سـنـدـيـانـ »
الليل — كلا ، لست مثلي ، أیها المجنون ، لأنك لا تزال تلتفت الى الوراء لترى
كـبـرـ آثارـ قـدـمـيـكـ عـلـىـ الرـمـالـ »

المجنون — « انا مثلك أیها الليل صامت وعميق . وفي قلب وحدتي الاهة تتمخض
يـولـودـ عـلـويـ تـأـلـفـ بـكـيـانـهـ الجـنـةـ وـالـجـحـيمـ »

الليل — كلا . لست مثلي ، أیها المجنون ، لأنك لا تزال ترتعش مرتععاً امام الألم
هـيـهـوـلـكـ سـيـاعـ اـنـاشـيدـ الـهـاوـيـةـ »

المجنون — « انا مثلك أیها الليل آبد ، هائل . وفي اذني يزدحم نحيب الشعوب
الـمـغـلـوـبـ وـأـنـاتـ الـمـالـكـ الـمـنـسـيـةـ »

الليل — « كلا لست مثلي ، أیها المجنون ، لأنك لا تزال وفياً لذاتك الصغرى ،
محـرـضاـًـ عـنـ ذـاـتـكـ الـكـبـرـىـ »

المجنون — « أنا مثلك ، أيها الليل ، صارم وفظيع ، فلا ينير قلبي سوى هبيب المراكب المحترقة في البحار ولا يرطب شفتي غير ذماء الابطال النازعين »

الليل — « كلا لست مثلي ، أيها المجنون ، لأن شوقك الى روح مواخية لا يزال متسلطًا عليك وانت لم تصر حتى الآن شريعة لنفسك »

المجنون — « أنا مثلك أيها الليل جذلان وطروب ، والذى يرتع في ظلامي قد سكر من الخبر البكر ، والتي تتبعني قد تمردت على الحياة وهي جذلى »

الليل — « كلا لست مثلي ، أيها المجنون ، لأن روحك مغشاة بسبعة براقع ، وانت للآن لم تضع قلبك على كفك »

* المجنون — « أنا مثلك ، أيها الليل ، قلق وكثير . فان في صدري الوفاً من المحبين المائتين الذين غسلوا بالدموع المحرقة وكفنا بالقبل الذابلة »

الليل — « أأنت مثلي ، ايها المجنون ، أأنت مثلي ؟ وهل تمتطي العاصفة جواداً وتمتشق البرق سيفاً ؟ »

المجنون — « أنا مثلك ، أيها الليل ! أنا مثلك متسام وقدير . وقد رفت عرشي فوق رقام الالهة الساقطين وجعلت الايام تمر امامي مقبلة اطراف نبوي دون ان تبصر وجهي »

الليل « أأنت مثلي ، يا ابن سواد قابي . أأنت مثلي ؟ وهل تفتكر افكاري العاصية وتنطق بلغتي الهاشلة ؟ »

المجنون — نحن توأمان ، ايها الليل ، فانت تبين أعمق اللامهابة وانا ابين اعمق نفسى



مات أهلي

مات أهلي وانا على قيد الحياة اندب اهلي في وحدي وانفرادي

مات أحبابي وقد أصبحت حياتي بعدهم بعض مصابي بهم

مات أهلي وأحبابي وغمرت الدموع والدماء هضبات بلادي وانا ه هنا اعيش مثلثة

كتت عاشاً عند ما كان أهلي وأحبابي جالسين على منكبي الحياة وهضبات بلادي

مفورة بنور الشمس .

مات أهلي جائين ، ومن لم يمت منهم جواعاً قضى بحد السيف ، وانا في هذه
البلاد القصبة أسير بين قوم فرحين مغبوطين يتناولون الماء كل الشهية والمشارب الطيبة
وينامون على الاسرّة الناعمة ويضحكون للایام والایام تضحك لهم .

مات أهلي أذلّ ميتة ، وانا ه هنا اعيش في رغد وسلام . وهذه هي المأساة المستتبة
على مسرح نفسي .

لو كنت جائعاً بين أهلي الجائين ، مضطهدأً بين قومي المضطهدين لكانـت
الاـيـام أخفـ وطـأـةـ عـلـىـ صـدـريـ ، والـلـيـالـيـ أـقـلـ سـوـادـاـ اـمـامـ عـيـنيـ . لـانـ منـ يـشـارـكـ أـهـلهـ
بـالـاسـىـ وـالـشـدـةـ يـشـعـرـ بـتـلـكـ التـعـزـيـةـ الـعـلـوـيـةـ الـتـيـ يـوـلـدـهـ الـاستـشـهـادـ ، بلـ يـفـتـخـرـ بـنـفـسـهـ
لـانـ يـمـوتـ بـرـيـثـاـ مـنـ الـابـرـيـاءـ

ولـكـنـيـ لـسـتـ معـ قـوـمـيـ الجـائـينـ ، المـضـطـهـدـينـ ، السـائـرـينـ فيـ موـكـبـ الموـتـ نحوـ
مجـدـ الـاسـتـشـهـادـ ، بلـ أناـ هـنـاـ وـرـاءـ الـبـحـارـ السـبـعـةـ أـعـيـشـ فيـ ظـلـ الطـمـانـيـنـةـ وـخـوـلـ السـلـامـةـ .
أـنـاـ هـنـاـ بـعـيـدـ عـنـ النـكـبةـ وـالـمـنـكـوـ بـيـنـ وـلـاـ أـسـتـطـيـعـ انـ اـفـتـخـرـ بـشـيءـ حتـىـ وـلـاـ بـدـمـوـعـيـ
وـمـاـذـاـ عـسـىـ يـقـدـرـ المـنـفـيـ البعـيـدـ انـ يـفـعـلـ لـاـهـلـهـ الجـائـينـ
ليـتـ شـعـرـىـ ، ماـذـاـ يـنـفـعـ نـدـبـ الشـاعـرـ وـنـواـحـهـ !

لوـكـنـتـ سـنـبـلـةـ مـنـ الـقـمـحـ نـابـتـةـ فيـ تـرـبـةـ بلـادـيـ لـكـانـ الطـفـلـ الجـائـعـ يـلـقـطـانـيـ وـيـزـيلـ
مجـاتـيـ يـدـ الموـتـ عنـ نـفـسـهـ

لوكنت ثمرة يانعة في بساتين بلادي لكان المرأة الجائعة تتناولي وتقضمني طعاماً
لوكنت طائراً في فضاء بلادي لكان الرجل الجائع يصطادني ويزيل بجسدي
ظل القبر عن جسده

ولكن ، واحر قلباًه ، لست بسبة من القمح في سهول سوريا ، ولا شمرة يانعة
في اودية لبنان . وهذه هي نكبة . هذه هي نكبة الصامة التي تحملني حقيراً أيام نفسي
وامام اشباح الليل .

هذه هي المأساة الموجعة التي تفقد لساني وتتكلل يدي ثم توقفني بلا عزم ، ولا
ارادة ، ولا عمل ،

• يقولون لي — مانكبة بلادك سوى جزء من نكبة العالم ، وما الدموع والدماء التي
هرقت في بلادك سوى قطرات من نهر الدماء والدموع المتدفق ليسلاً ونهاراً في اودية
الارض وسهولها

نعم . وakan نكبة بلادي نكبة خرساء — نكبة بلادي جريمة حبت بها رؤوس
الاقاعي والثعابين — نكبة بلادي مأساة بغير انشيد ولا مشاهد
لو نار قومي على حكامهم الطفاة وما توا جيئاً متمندين لقتلت ان الموت في سبيل
الحرية لاشرف من الحياة في ظلال الاستسلام . ومن يعتنق الابدية والسيف في يده
كان خالداً بخلود الحق

لو اشتراك أمي بحرب الامم واقررت على بكرة ايتها في ساحة القتال لقتلت هي
العاصفة الهوجاء تهصر بعزمها الااغضان الخضراء والياسة ، والموت تحت اقدام العواصف
لاشرف منه بين ذراعي الشيخوخة

ولوزلت الارض زلماها وقلبت ظهر بلادي صدرأً وغمر التراب اهلي واحبائي لقتلت
هي النوميس الخفية تحرك بمشيئة قوة فوق قوى البشر فن الجهة ان تحاول ادراك
اسرارها وخفاياها .

ولكن لم يمت اهلي متمندين ، ولا هلكوا محاربين ، ولا زعزع الزوال بلادهم
فانقرضوا مستسلمين .

مات اهلي على الصليب
ماتوا وآكفهم ممدودة نحو الشرق والغرب وعيونهم محدقة بسواد الفضاء
ماتوا صامتين لأن آذان البشرية قد أغلقت دون صراخهم
ماتوا لأنهم لم يجروا اعداءهم كالحياناً ، ولم يكرهوا محبيهم كالجاحدين
ماتوا لأنهم لم يكونوا مجرمين
ماتوا لأنهم لم يظلموا الظالمين
ماتوا لأنهم كانوا مسلمين
ماتوا جوعاً في الأرض التي تدرُّ لبناً وعسلًا
ماتوا لأن الثعبان الجهنمي قد أتتهم كل ما في حقولهم من الماشي وما في
اهراهم من الأقوات .
ماتوا لأن الافاعي ابناء الافاعي قد تنفسوا السرور في القضاء الذي كانت تملوءه انفاس
الارض وعطور الورود والياسمين

.....
مات اهلي واهلك ، ايها السوريون ، فماذا نستطيع ان نفعل لمن لم يمت منهم ؟
ان نواحنا لا يسد رمقهم ، ودموعنا لا تروي غليلهم
اذن ماذان فعل لنقدتهم من الجوع والشدة ؟
هل نبقى مرتابين ، متربدين ، متكمسين ، مشغولين عن المأساة العظمى بتوافقه
الحياة وصفاتها ؟
ان العاطفة التي تجعلك ، يا اخي السوري ، تعطي شيئاً من حياتك لمن يكاد ان
يفقد حياته هي هي الامر الوحيد الذي يجعلك حريراً بنور النهار وهدوء الليل
وان الدرهم الذي تضعه في اليد الفارغة المدودة اليك هو هو الحلقة الذهبية التي
تصل ما فيك من البشرية بما فوق البشرية



جبرانه فليل جبرانه

الجامعة المستعطفية

العبودية

انما الناس عبيد الحياة ، وهي العبودية التي تجعل ايامهم مكتنفة بالذل والهون ولليا لهم
مغمورة بالدماء والدموع .

ها قد صرت سبعة آلاف سنة على ولادي الاولى حتى الآت لم ار غير العبيد
المسلمين والسجناء المكبلين .

لقد جُبِت مشارق الارض ومغاربها ، وطفت في ظل الحياة ونورها ، وشلعت
مواكب الامم والشعوب سائرة من الكهوف الى الصروح ، ولكنني لم ار للآن غير
رقب منحنية تحت الاثقال ، وسواعد مؤثقة بالسلسل ، وركب جاثية امام الاصنام .
قد اتبعت الانسان من بابل الى باريس ومن نينوى الى نيويورك ورأيت آثار قيوده
مطبوعة على الرمال بجانب آثار اقدامه ، وسمعت الاودية والغابات تردد صدى نواح
الاجيال والقرون .

دخلت القصور والمعاهد والهياكل ، ووقفت حداء العروش والمذايح والمنابر ، فرأيت
العامل عبداً للتاجر ، والتساجر عبداً للجندى ، والجندي عبداً للحاكم ، والحاكم عبداً
للملك ، والملك عبداً للكاهن ، والكافر عبداً للصنم ، والصنم تراب جبلته الشياطين
ونصبه فوق راية من جاجم الاموات .

دخلت منازل الاغنياء الاقوياء ، وكواخ القراء الضعفاء ، ووقفت في المخادع
المفشاة بقطعم العاج وصفائح الذهب ، وفي المأوي المفعمة باشباح اليأس وانفاس المنايا ،
فرأيت الاطفال يرضعون العبودية مع اللبن ، والصبيان يتلقنون الخضوع مع حروف
المجاء . والصبيان يرتدين الملابس مبطنة بالاتقادات والخنوع ، والنساء يهجنن على اسرة
الطاعة والامتثال .

اتبعت الاجيال من ضفاف الكنج الى شاطئ الفرات الى مصب النيل الى جبل
سينا الى ساحات ائنا الى كنائس رومية الى ازقة القسطنطينية الى بنايات لندن فرأيت

ال العبودية تسير بكل مكان في موكب العظمة والجلال والناس يحررون الفتيان والمداري على مذايجهما ويدعونها الماء ، ثم يسكنون الخور والطیوب على قدميهما ويدعونها ملکاً ، ثم يحرقون البخور امام تماثيلها ويدعونها نبیاً ، ثم يخرون ساجدين لدینها ويدعونها شریعة ، ثم يتحاربون ويتقاتلون من اجلها ويدعونها وطنیة . ثم يستسلمون الى مشیشتها ويدعونها خلّ الله على الارض ، ثم يحرقون منازلهم ويهدمون مبانیهم بارادتها ويدعونها اخاء ومساواة ، ثم يجذون ويجاهدون في سبيلها ويدعونها مالاً وتجارة . . . فھی ذات اسماء عديدة وحقيقة واحدة ومظاهر كثيرة لجوهر واحد . بل هي علة ازلية ابدية تجيء باعراض متباينة وقروح مختلفة يتوارثها الابناء عن الآباء مثلما يتوارثون نسمة الحياة وتلقى بنورها العصور في تربة العصور مثلاً تستقل الفصول ما تزرعه الفصول .

* * *

واغرب ما لقيت من انواع العبوديات واشكالها المبودية العمیاء — وهي التي توقق حاضر الناس بماضی آباءهم وتذیخ نفوسيهم امام تقاليد جدودهم وتحملهم اجساداً جديدة لارواح عتیقة وقبوراً مکاسة لمعظام بالية .

والعبودية الخرساء — وهي التي تعلق ایام الرجل باذیال الزوجة التي يقهرها . وتلتصق جسد المرأة بمضجع الزوج الذي تكرهه وتحملها من الحياة بمنزلة النعل من القدم .

والعبودية الصماء — وهي التي تكره الافراد على اتباع مشارب محیطهم والتلون بالوانه والارقاء بازیاته فيصبحون من الاصوات ترجع الصدى ومن الاجسام كانوایات .

والعبودية العرجاء — وهي التي تضم رقاب الاشداء تحت سيطرة المحتالين وتسلم عنم الاقویاء الى اهواء الطامعين بالمجده والاشتهار فيمسون مثل آلات تحركها الاصابع ثم توقفها ثم تكسرها .

والعبودية الشمطاء — وهي التي تهبط بارواح الاطفال من الفضاء المتسع الى منازل الشقاء حيث تقيم الحاجة بجانب الغباء ويقطن الذل في جوار القنوط فيشبون تعساء جويعيشون مجرمين ويتوتون مزدولين

والعبودية الرقطاء — وهي التي تبتاع الاشياء بغير ائتمانها وتسمي الامور بغير اسمائها
فقدغو الاحتيال ذكاء والثرثرة معرفة والضعف ليناً والجبانة اباء . .
والعبودية العرجاء — وهي التي تحرك بالحروف ألسنة الضففاء فتتكلمون بما لا يشعرون
ويتظاهرون بما لا يضمرون ويصبحون بين ايدي المسكنة مثل ثوب نطويه وقنشره .
والعبودية الحدباء — وهي التي تقود قوماً بشرائع قوم آخرين .
والعبودية الجرباء — وهي التي تتوّج ابناء الملوك ملوكاً
والعبودية السوداء — وهي التي تسم بالعار ابناء المجرمين الابرياء .
والعبودية للعبودية نفسها وهي قوة الاستمرار .

* * *

ولما تبعت من ملاحقة الاجيال ، ومللت النظر الى مواكب الشعوب والامم ؛
جلست وحيداً في وادي الاشباح حيث تختبئ خيالات الازمنة الغابرة وتربس ارواح
الازمنة الآتية : هناك رأيت شبحاً هزيلاً يسير منفرداً محدفاً بوجه الشمس فسألته
« من انت وما اسمك »
قال « اسمي الحرية »
قلت « وain ابناؤك ؟ »
قال « واحد مات مصلوباً وواحد مات بجنوناً وواحد لم يولد بعد » ثم توارى عن
عيوني وراء الضباب .



أيها الليل

يا ليل العشاق والشعراء والمنشدين .

يا ليل الاشباح والأرواح والآخيلة .

يا ليل الشوق والصباية والتذكرة .

أيها الحيار الواقف بين اقزام غيوم المغرب وعرائس الفجر ، المتقدّم سيف الرهبة ،
المتوّج بالقمر ، المتشح بثوب السكوت ، الناظر بألف عين إلى أعمق الحياة ، المصفي
بألف اذن إلى آلة الموت والعدم .

انت ظلام يرينا انوار السماء ، والنهر نور يغمرنا بظلمة الأرض .

انت أمل يفتح بصائرنا أمام هيبة الانهاية ، والنهر غروب يوقفنا كالعميان في عالم
المقياس والكمية .

انت هدوء يريح بصمته خفايا الأرواح المستيقظة السايرة في القضاء العلوى ،
والنهار ضجيج يثير بعوامله نفوس المنظرحين بين سنابك المقاصد والرغائب .

انت عادل يجمع بين جنحي الكرى احلام الضعفاء بما يلي الاقواء . وانت شفوق
يغمض باصابعه الخفية اجفان التعباء ويحمل قلوبهم الى عالم اقل قساوة من هذا العالم .
بين طيات أنوابك الزرقاء يسكن المحبون افاسهم ، وعلى قدميك المخلفتين بقطار
الندى يهرق المستوحشون قطرات دموعهم ، وفي راحتيك المعطرتين بطيب الاودية يضع
الغرباء تنهدات شوقيهم وحنينهم ، فانت نديم المحبين وأنيس المستوحشين ورفيق الغرباء
والمستوحشين .

في ظلالك تدب عواطف الشعراء ، وعلى منكبيك تستفيق قلوب الانبياء ، وبين
ثنيا صفارتك ترتعش قرائح المفكرين ، فانت ملقن الشعراء والموجي الى الانبياء والموعز
الى المفكرين والمتأملين :

عند ما ملأت نفسي البشر وتعبت اجمانى من النظر الى وجه النهار سرت الى تلك
الحقول البعيدة حيث تهجم اشباح الازمنة الغابرة .
هناك وقفت امام كائن أقيم جامد من تعش سائر بالف قدم فوق السهول والجبال
والاودية .

هناك احدقت شاحصاً بعيون الدجى ، مصغياً لخفيف الاجنحة غير المنظورة ،
شاعراً بلا ملمس ملابس السكت ، مستسللاً امام مخاوف الظلام
هناك رأيتك فيها الليل شبحاً هائلاً جيلاً متتصباً بين الارض والسماء ، متسلحاً
بالسحب ، منتفقاً بالضباب ، ضاحكاً من الشمس ، ساخراً بالنهار ، مستهزئاً بالعبيد
الساهرين امام الاصنام ، غاضباً على الملوك الراقدين فوق الحرير والدياج ، محملقاً بوجوه
اللصوص ، خافراً بقرب اسرة الاطفال ، باسكيماً لا بتسام الساقطات ، مبتسماً لبكاء
العشاق ، رافعاً يمينك كبار القلوب ، ساحقاً بقدميك صغار النفوس ،
هناك رأيتك فيها الليل ورأيتها ، فكنتَ بهولك لي أباً وكنتُ باحلامي لك ابناً ،
فازاحت من بيننا ستائر الاشكال وتفرق من وجهينا نقاب الظن والتخيين ، فابتلى
باسرارك ونويايك ، وابنت لي امامي وأمامي ، حتى اذا حولت اهواك الى انقام اعذب من
همس الازهار ، وتبدل مخاوي في باني اطيب من طمأنينة المصافير ، رفعتني اليك ،
واجلسني على منكبك ، وعلمت عيني النظر ، وعلمت اذني السمع ، وعلمت شفتي
الكلام ، وعلمت قلبي محبة ما لا يحبه الناس وكره ما لا يكرهونه ، ثم لمست بأناملك
افكاري فتدفقت افكاري نهراً راسكاضاً متزعاً يجرف الاعشاب الذابلة ، ثم قبلت
بشفتيك روحي فتآيات روحي شعلة متقدمة تلهم الانصاب اليابسة .



لقد صحبتك فيها الليل حتى صرت شبيهاً بك ، وألفتك حتى تمازجت اميالي
باميالك ، واحببتك حتى تحول وجداني الى صورة مصغرة لوجودك . في نفسي المظلمة
كواكب متلمعة ينثرها الوجد عند المساء وتلتقطها المهاجمون في الصباح . وفي قلبي الرقيب
قمر يسعى تارة في فضاء متلبد بالغيوم وطوراً في خلاء مفعم بعواكب الاحلام . وفي روحي

الساهرة سكينة تبيح بتفاعلها سرائر المحبين وترجم خلاياها صدى صوات المتعبدين .
و حول رأسي غلاف من السحر هزقه حشرجة النازعين ثم تخيطه أغاني المتشبّعين .

أنا مثلك أَيْهَا الليل وهل يحسبني الناس مفاخرًا اذا ما تشبهت بك وهم اذا تفاحروا
يتشبهون بالنهار؟

أنا مثلك أَيْهَا الليل وكلانا متهمنا بما ليس فيه .

أنا مثلك بأميالي واحلامي وخلقتي واخلاقي .

أنا مثلك وان لم يتوجنني المساء بنيومه الذهبية .

أنا مثلك وان لم يرصع الصباح اذبالي ناشعته الوردية .

أنا مثلك وان لم أكن منطبقاً بال مجرة .

أنا ليل مسترسل منبسط هادئ مضطرب وليس لظلمتي بدء وليس لاعمالي
سُهْلَاه ، فاذا ما التصبت الا رواح متباهية بنور افراحها تعلى روحي متمجدة بظلام كآتها .

أنا مثلك أَيْهَا الليل ولن يأتي صباحي حتى ينتهي اجلني .





لبراءه هليل لبراءه

بركة الدم

وعظتني نفسي

تعظتني نفسي فعلمته حب ما يمته الناس ومصافة من يضاغونه وأبانت ليه أن الحب ليس بمحنة في الحب بل في المحبوب . وقبل ان تعظتني نفسي كان الحب بي خيطاً دقيقاً مشدوداً بين وتدين متقار بين ، اما الان فقد تحول الى هالة اوطا آخرها وآخرها اوطا تحيط بكل كائن وتوسع يبطئ لضم كل ما سيكون

وعظتني نفسي فعلمته ان أرى الجمال المحجوب بالشكل واللون والبشرة ، وأن أحدق متبرساً بما يعده الناس شناعة حتى يدو لي حسناً . وقبل أن تعظتني نفسي كنت أرى الجمال شعلاتٍ مرتعشة بين أعمدة من الدخان وأض محل فلم أعد أرى سوى ما يشتعل

وعظتني نفسي فعلمته الاصفاء الى الاوصاف التي لا تولد لها الألسنة ولا تضج بها الخناجر . وقبل أن تعظتني نفسي كنت كليل المسامع مريضاً . لا أعي سوى الجلبة والصياح أما الان فقد صرت أتوjos بالسكينة فاسمع اجواقها منشدة أغاني الدهور . مرقة تسأيم الفضاء . معلنة أسرار الغيب

وعظتني نفسي فعلمته أن أشرب مما لا يعصر ولا يسكب بكؤوس لا ترفع بالأيدي ولا تمس بالشفاه . وقبل أن تعظتني نفسي كان عطشى شارة ضئيلة في راية من رماد أخذها بقحة من الغدير أو برشفة من جرن المعاشرة . أما الان فقد صار شوقي كأسى . وغلقى شرائي . ووحدتني نشوي . وانا لا ولن أرتوي . ولكن في هذه الحرقه التي لا تنطفى مسراً لا تزول

وعظتني نفسي فعلمته لمس ما لم يتجلد ولم يتبلور ، وفهمتني ان المحسوس نصفه

للمعقول . وان ما تقبض عليه بعض ما نرحب فيه . وقبل ان تعظني نفسي كنت اكتفي
بالحار ان كنت بارداً . وبالبارد ان كنت حاراً . وباحدهما ان كنت فاتراً . اما الان
فقد اتشرت ملامي المنكمشة وانقلبت ضباباً دقيقاً يخترق كل ثمة ظهر من الوجود
لم ينجز بما خفي منه

* * *

وعظني نفسي فعلمتهني استنشاق ما لا تشهه الرياحين ولا تنشره الجامس . وقبل ان
تعظني نفسي كنت ان اشتهرت عطراً طلبيه من البساتين أو من القوارير أو المساخر .
اما الان فقد صرت أشم ما لا يخترق ولا يهرق . واملأ صدرني من انفاس زكية لم
تمر بجنة من جنات هذا العالم ولم تحملها نسمة من نسمات هذا الفضاء

* * *

وعظني نفسي فعلمتهني ان أقول (لبيك) عند ما يناديني المجهول والخطر . وقبل
أن تعظني نفسي كنت لا أنهض الاً لصوت مناد عرفته . ولا أسير الا على سبل
خبرتها فاستهونتها . أما الان فقد أصبح المعلوم مطية أركبها نحو المجهول والسهل سلماً
أتسلق درجاته لأبلغ الخطر

* * *

وعظني نفسي فعلمتهني الاً أقيس الزمن بقولي (كان بالأمس وسيكون غداً)
و قبل أن تعظني نفسي كنت آتوم الماضي عهداً لا يرد والآتي عصراً لن أصل اليه .
اما الان فقد عرفت ان في المئوية الحاضرة كل الزمن بكل ما في الزمن مما يرجى
وينجز ويتحقق

وعظني نفسي فعلمتهني الاً أحداً المكان بقولي (هنا وهناك وهناك) وقبل
أن تعظني نفسي كنت اذا ما صرت في موضع في الارض ظنتني بعيداً عن كل موضع
آخر . أما الان فقد علمت ان مكاناً أحل فيه هو كل مكان . وان فسحة اشغلها
هي كل المسافات

وعظتني نفسي فعلمتني ان أسرر وسكن الحي راقدون . وان انا وهم منبهون .
و قبل ان تعظني نفسي كنت لأرى أحلامهم في هجتي ولا يرصدون أحلامي في غفلتهم .
اما الان فلا ~~خفية~~ سرفاً في منامي الا وهم يرقبونني ولا يطيرون في أحلامهم الا
و فرحت بانتعاشهم

* * *

وعظتني نفسي فعلمتني ان لا أطرب لمدح ولا أجزع لذمة . وقبل ان تعظني نفسي
كنت أظل مرتاباً في قيمة أعمالي وقدرها حتى تبعث اليها الابام ^{بـن} يقرظها أو يهجوها .
اما الان فقد عرفت ان الاشجار تزهر في الربيع وتشمر في الصيف ولا مطعم لها بالثاء .
و تنشر أوراقها في الخريف وتتعرى في الشتاء ولا تخشى الملامة

* * *

وعظتني نفسي فعلمتني وأثبتت لي اني لست بأرفع من الصعاليك . ولا أدنى من
الحياءرة . وقبل ان تعظني نفسي كنت احسب الناس رجلين رجالاً ضعيفاً أرق له او
ازدرى به ورجالاً قوياً أتبعه او اتبرد عليه . اما الان فقد علمت اني كونت فرداً مما
كون البشر منه جماعة . فمعاصري عناصرهم . وطويتي طويتهم . ومنازعي منازعهم .
ومحجتي محجتهم . فان اذبوا فانا المذنب . وان أحسنا عملاً فاخرت بعملهم . وان
نهضوا نهضت وأيامهم . وان تقاعدوا تقاعدت معهم

* * *

وعظتني نفسي فعلمتني ان المرآج الذى أحمله ليس لي . والاغنية التي انشدها لم
ت تكون في أحشائي . فانا وان سرت بالنور لست بالنور . وانا وان كنت عوداً مشدوداً
الاوخار فلست بالعود

* * *

وعظتني نفسي يا أخي وعلمتني . ولقد عظتك نفسك وعلمتك . فأنت وأنا
متشاريان متضارعان . وما الفرق يتنسا سوى اني اتكلم عما بي وفي كلامي شيء من
اللجاجة . وأنت تكتم ما بك وفي تكتيمك شكل من الفضيلة

— ٣ —

لَكُمْ لِبَنَانِكُمْ وَلِي لِبَنَانِي

لِكُمْ لِبَنَانِكُمْ . وَلِي لِبَنَانِي
 لِكُمْ لِبَنَانِكُمْ وَمَعْصَلَاتُهُ ، وَلِي لِبَنَانِي وَجَاهَهُ
 لِكُمْ لِبَنَانِكُمْ بِكُلِّ مَا فِيهِ مِنَ الْأَغْرَاضِ وَالْمَنَازِعِ . وَلِي لِبَنَانِي بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَحَلَامِ وَالْأَمَانِي
 لِكُمْ لِبَنَانِكُمْ فَاقْتَنَعُوا بِهِ ، وَلِي لِبَنَانِي وَأَنَا لَا أَقْنَعُ بِغَيْرِ الْمُجْرِدِ الْمُطْلُقِ
 لِبَنَانِكُمْ عَقْدَةً سِيَاسِيَّةً تَحَاوُلُ حَلَّهَا الْأَيَّامُ ، أَمَّا لِبَنَانِي فَتَلُولُ تَعْلَى بَهْبِيَّةٍ وَجَلَالٍ نَحْوِ
 زَرْقَقِ السَّمَاءِ
 لِبَنَانِكُمْ مَشَكَّةً دُولَيَّةً تَتَقَاذِفُهَا الْلَّيَالِيُّ ، أَمَّا لِبَنَانِي فَأُودِيَّةٌ هَادِئَةٌ سُحْرِيَّةٌ تَسْمُوْجُ فِي
 جَنِيَّاتِهَا رِنَاتِ الْأَجْرَاسِ وَأَغَانِيِ السُّوَاقِ
 لِبَنَانِكُمْ صَرَاعٌ بَيْنَ رَجُلٍ جَاءَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَرَجُلٍ جَاءَ مِنَ الْجَنْوَبِ . أَمَّا لِبَنَانِي فَصَلَّةٌ
 بِجَنْحَةٍ تَرْفُرُ صَبَاحًاً عِنْدَمَا يَقُودُ الرَّعَاةَ قَطْعَانَهُمْ إِلَى الْمَرْوِجِ وَتَصَاعِدُ مَسَاءً عِنْدَمَا يَمْعُدُ
 الْفَلَاحُونَ مِنَ الْحَقولِ وَالْكَرَوْمِ
 لِبَنَانِكُمْ حُكُومَةٌ ذَاتٌ رَؤُوسٌ لَا عَدَادَ لَهَا ، أَمَّا لِبَنَانِي فِيْجِيلُ رَهِيبٍ وَدِيمُ جَالِسٍ بَيْنَ
 الْبَحْرِ وَالسَّهْوَلِ جَلوْسٌ شَاعِرٌ بَيْنَ الْأَبْدِيَّةِ وَالْأَبْدِيَّةِ
 لِبَنَانِكُمْ حِيلَةٌ يَسْتَخْدِمُهَا الشَّعْلُبُ عِنْدَمَا يَلْتَقِي بِالضَّبْعِ وَالضَّبْعُ حِينَما يَجْتَمِعُ بِالْذَّئْبِ ،
 ثُمَّا لِبَنَانِي فَتَذَكَّرَاتُ تَعِيدُ عَلَى مَسْمِعِ اهَازِيجِ الْفَتَيَّاتِ فِي الْلَّيَالِيِّ الْمَقْمَرَةِ وَأَغَانِيِ الصَّبَابَاياِ
 عِيْنِ الْبَيَادِرِ وَالْمَعَاصِرِ
 لِبَنَانِكُمْ مَرْبَعَاتٌ شَطَرٌ بَيْنِ رَئِيسِ دِينِ وَقَائِدِ جَيْشٍ ، أَمَّا لِبَنَانِي فَعُبْدٌ ادْخَلَهُ بِالرُّوحِ
 عِنْدَمَا أَمْلَأَ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ السَّائِرَةِ عَلَى الدَّوَالِيْبِ
 لِبَنَانِكُمْ رِجْلَانِ ، رَجُلٌ يَؤْدِي الْمَكْوَسَ وَرَجُلٌ يَقْبِضُهَا ، أَمَّا لِبَنَانِي فَرَجُلٌ فَرِدٌ مُتَكَبِّرٌ
 عَلَى سَاعِدِهِ فِي ظَلَالِ الْأَرْضِ وَهُوَ مُنْصَرِفٌ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سَوْيَ اللَّهِ وَنُورِ الشَّمْسِ
 لِبَنَانِكُمْ مَرَافِيِّ ، وَبَرِيدٌ وَتَجَارَةٌ ، أَمَّا لِبَنَانِي فَفِكْرَةٌ بَعِيدَةٌ وَعَاطِفَةٌ مُشْتَعِلَةٌ وَكَلْمَةٌ عَلَوِيَّةٌ
 تَسْهِمُهَا الْأَرْضُ فِي أَذْنِ الْفَضَاءِ



وجه أمي وجه أمتي

لـ جـ بـ رـ اـ نـ

هذه الكلمات ولدت في قلب جبران . وعندنا أنه يجب على كل سوري ان يتذذها دستوراً
لامياله ومقاصده في هذه الايام الفعلية بالمرارة والشدة

لبنانكم موظفون وعمال ومديرون ، أما لبني فتأهيل الشباب وعزم المكولة
وحكمة الشيخوخة

لبنانكم وفود ولحاظ ، أما لبني فجالس حول الموقد في ليالٍ تغمرها هيبة
الواصف ويجللها طهر الثلوج

لبنانكم طائف واحزاب ، أما لبني فصبية يتسلقون الصخور ويركضون مع الجداول
ويقفون الاكثر في الساحات

لبنانكم خطب ومحاضرات ومناقشات ، أما لبني فتغريد الشحارير ، وحيفت
أغصان الحور والسنديان ، ورجم صدى النايات في المغاور والكهوف

لبنانكم كذب يتحجب وراء نقاب من الذكا المستعار ، ورباء يختبئ في رداء من
التقليد والتصنع ، أما لبني فحقيقة بسيطة عارية اذا نظرت في حوض ماء ما رأت غير
وجهها المادي ، وملامحها البسطة

لبنانكم شرائع وبنود على اوراق ، وعقود وعهود في دفاتر ، أما لبني ففطرة في
اسرار الحياة وهي لا تعلم أنها تعلم ، وشوق يلامس في اليقظة اذیال الغيب ويظن نفسه في منام

لبنانكم شيخ قابض على حلته ، قاطب ما بين عينيه ، ولا يفكر الا بذاته ، أما لبني

ففتى ينتصب كالبرج ويتنسم كالصبح ، ويشعر بسواد شعوره بنفسه

لبنانكم ينفصل آنماً عن سوريا ويتصل بها آونة ثم يحتال على طرفيه ليكون بين

معقود ومحاول ، أما لبني فلا يتصل ولا ينفصل ولا يتفوق ولا يتصارع

لكم لبنيكم ، ولني لبني

لكم لبنيكم وأبناؤه ، ولني لبني وأبناؤه

ومن هم يا ترى أبناء لبنيكم ؟

الآنظروا هنئية لاريكم حقيقهم

هم الذين ولدت أرواحهم في مستشفيات الفربين

هم الذين استيقظت عقوفهم في حضن طامع يمثل دور أرجعي

هم تلك القصبان اللينة التي تميل الى اليمين والى اليسار ولكن بدون ارادة ، وترتعش
في الصباح وفي المساء وانكثرا لا تدري أنها ترتعش

هم تلك السفينة التي تصارع الامواج وهي بدون دفة ولا شراع ، أما ربانها فالتردد
واما ميناوها فكهف تسكنه الغيلان — أو ليست كل عاصمة في أوروبا كهفاً للغيلان ؟
هم الاشداء الفصحاء البلغاولكن بعضهم لدى بعض ، والضعفاء الخرسان أمام الافرج
هم الاحرار المصلحون المتحمسون ولكن في صحفهم وفوق منابرهم ، والمنقادون
الرجعيون أمام الغربيين

هم الذين يضجون كالضفادع قائلين « لقد تعلمنا من عدونا الطاغية القديم »
 وعدوهم القديم الطاغية ما برح يختبئ في اجسادهم
هم الذين يسررون أمام الجنائز من صررين راقصين حتى اذا ما التقا بهوكب العرس
تحول تزميرهم الى نواح ورقصهم الى قرع الصدور وشق الأنواب

هم الذين لا يعرفون الجماعة الا اذا كانت في جيوبهم فإذا ما التقا بين كانت مجاعته
في روحه ضحكوا منه وتحولوا عنه قائلين « ما هذا سوى خيال يسير في عالم الاخيلة »
هم أولئك العبيد الذين تبدل الايام قيودهم المصداة بقيود لامعة فيظنون أنهم أصبحوا
احراراً مطلقين

هؤلاء هم أبناء لبنانكم فهل يبنكم من يمثل العزم في صخور لبنان أم النيل في ارتفاعه
أم المذوبة في مائه أم العطر في هوائه ! هل يبنكم من يتجرأ أن يقول « اذا مامت
تركت وطني أفضل قليلاً مما وجدته عند ما ولدت » ! هل يبنهم من يتجرأ أن يقول
« لقد كانت حياتي قطرة من الدم في عروق لبنان أو دمعة بين أجنفاته أو ابتسامة
على ثغره ؟ »

هؤلاء هم أبناء لبنانكم فما اكبرهم في عيونكم وما اصغرهم في عيوني
ولكن قفوا قليلاً وانظروا لاريكم أبناء لبني :
هم الفلاحون الذين يحملون الوعر الى حدائق وبساتين

هم الرعاة الذين يقودون قطعاتهم من قواد الى وادٍ فتشبو وتشكّاذ وتمطّبكم لعومها
غذا، وصوفها رداء

هم الكرامون الذين يعصرُون العنب خرآً ويُعقدون التمر دبساً

هم الآباء الذين يربون أنصاب التوت والأمهات اللواتي يغزلن الجرير

هم الرجال الذين يحصدون الزرع والزوجات اللواتي يجمعن الأغمار

هم البناءون والفخارون والخانكون وصانعوا الأجراس والنوقيس

هم الشعراة الذين يسكنون أرواحهم في كؤوس جديدة وهم شعراة الفطرة الذين
ينشدون العتابا والمعنى والزجل

هم الذين يقادرون لبنان وليس لهم سوى حماسة في قلوبهم وعزّم في سوا عدهم
ويعودون اليه وخيرات الأرض في أكفهِم وأكاليل الفار على رؤوسهم

هم الذين يتغلبون على محبيتهم ايها حلاوة ويجتذبون القلوب اليهم ايها وجدوا

وهم الذين يولدون في الأكواخ ويموتون في قصور العالم هؤلاء هم أبناء لبنان.

هؤلاء هم السرج التي لا تطفئها الارياح والملاح الذي لا تقسى الدبور . هؤلاء هم
السائلون بأقدام ثابتة نحو الحقيقة والجمال والكمال

وماذا عسى ان يبقى من لبنانيكم وأبناء لبنانيكم بعد مئة سنة ؟ اخبروني — ماذا
تركون للغد سوى الدعوى والتلفيق والبلادة : هل تحسبون ان الزمن يحفظ في ذاكرته
ظواهر الخداع والمداهنة والتدليس ؟

أتفتنون ان الاثير يخزن في جيوبه أشباح الموت وأنفاس القبور ؟ أتوهمن أن
الحياة تسترجسها العاري بالخرق البالية ؟ أقول لكم الحق شاهد علياً إن نسبة
الزيتون التي يغرسها القروي في سفح لبنان لا يبقى من جميع أعمالكم وما تبكيكم ، والمحراث
الخشبي الذي تجراه العجل في منعطفات لبنان لا يشرف وأنبل من كل اماناتكم ومطاعمكم .
أقول لكم وضمير الوجود صاغ إلى ان أغنية جامعة البقول بين هضبات لبنان لأطول
عمرآ من كل ما ي قوله أوجه وأضخم ثرثار بينكم . أقول لكم انكم لستم على شيء . ولو

كنتم تعلمون انكم لستم بعلي شيء تحول أشئر ازى منكم الى شكل من المطف
والخنان ، ولكنكم لا تعلمون : :

لهم لبانكم ؟ ولبي لبناي

لهم لبانكم وأبناء لبانكم فاقتنعوا به وبهم ان استطعتم الاقتناع بالحقيقة الفارغة
أما أنا فقتنع بلبني وأبنائي وفي اقتناعي عندي وسكونه وطمأنينة

بالامس . واليوم . وغداً

قلت لصديقي — ألا فانظرها متكتة على سعاده . وبالامس كانت على ساعدي
فقال — وغداً على ساعدي

قلت — تأملها جالسة الى جانبه ، وبالامس كانت الى جانبي

فقال — وغداً الى جانبي

قلت — ألا تبصراها تشرب الخمر من كأسه ، وبالامس كانت قرشها
من كأسى

فقال — وغداً من كأسى

قلت — انظر اليها ترميقه بعين ملؤها الحب ، وبالامس كانت ترمقني

فقال — وغداً ترمقني .

قلت — اسمعها تهمس اغاني الغرام في اذنه ، وبالامس كانت تهمسها في اذني
فقال — وغداً في اذني

قلت — انظر فهي تعاشقه وقد كانت بالامس تعاشقني

فقال — وغداً تعاشقني

قلت — ما أغربها امرأة

قال — هي كالحياة يتعلّكها كل البشر . وكلمات تغلب على كل البشر
وكالابدية تضم كل البشر

الارض

تنشق الارض من الارض كوهأ وقراً .

ثم تسير الارض فوق الارض تيهأ وكبراً .

وتقيم الارض من الارض القصور والبروج والهياكل

وتتشيء الارض في الارض الاساطير والتعاليم والشرائع

ثم تمل الارض اعمال الارض فتحوك من هالات الارض الاشباح والاوهم والاحلام

ثم يراؤد نعاس الارض اجفان الارض فتتم نوماً هادئاً عميقاً ابدياً

ثم تنسادي الارض قاتلة للارض ، انا الرحم وانا القبر وسأبقى رحماً وقبراً حتى

تضمحل الكواكب وتحول الشمس الى رماد



الكمال

تسألني يا أنتي أي متى يصير الانسان كاملاً

فاسمع جوابي

يسير الانسان نحو الكمال عند ما يشعر بأنه هو الفضاء ولا حد له ، وهو هو البحر
يبدون شواطئه ، وانه النار المتأججة دائماً ، والنور الساطع ابداً ، والارياح اذا هبت
او اذا سكنت ، والسحب اذا أبرقت وأرعدت وأمطرت ، والجدائل اذا ترمنت
او ناحت ، والاشجار اذا أزهرت في الربيع او تجردت في الخريف ، والحيوال اذا
تعالت ، والاودية اذا انخفضت ، والحقول اذا خصبت او اجدبت .

ادا شعر الانسان بكل هذه الامور بلغ متصف طريق الكمال . أما اذا شاء بلوغ
محجة الكمال فعليه ان يشعر بكيانه ، ان يشعر بأنه الطفل المتتكل على امه ، والشيخ المسؤول
عن عياله ، والشاب الضائع بين امانه وغرائه ، والكمel الذي يصارع ماضيه ومستقبله ،
والعبد في صومعته ، وال مجرم في سجنه ، والعالم بين كتبه وأوراقه ، والجاهل بين ظلمة
ليله وظلمة نهاره ، والراهبة بين أزهار ايامها وأشواك وحشتها ، والمومس بين انياب
ضعفها ومخالب حاجتها ، والفقير بين موارنه وامثاله ، والغبي بين مطامعه واذعانه ،
والشاعر بين ضباب امسائه وشعاع اسحاته

ادا استطاع الانسان ان يختبر ويلم جميع هذه الامور يصل الى الكمال ويصير
خلالاً من اظلال الله



الاستقلال والطربوش

قرأت منذ أيام غير بعيد مقالاً لاديب قام بعرض ويحتاج فيه على زبان وموظفي
باخرة أفرنسية اقلته من سوريا الى مصر . ذلك لأن هؤلاء قد أجبروه ، او خاولوا
لجياره على خلع طربوشه اثناء جلوسه الى مائدة الطعام ، وكانوا يعلم ان خلع القبعات
تحت كل سقف عادة مرعية عند الغربيين .

ولقد أتعجبني هذا الاحتجاج لأنه أبان لي تمسك الشرقي برمز من رموز حياته الخاصة .
أتعجبت بجرأة ذلك السوري كما أتعجبت مرة بأمير هندي دعوته الى حضور رواية
غنائية في مدينة ميلانوفي ايطاليا فقال لي : « لو دعوتنى الى زيارة جحيم دانتي لذهبته
معك مسروراً ولكنني لا أستطيع الجلوس في مكان يحدرون فيه عليَّ استبقاء عمامي
وتدخين القائف »

اجل يعجبني ان أرى الشرقي متمسكاً ببعض من اعممه قابضاً ولو على ظلِّ من
أظلال عادة القومية

ولكن اتعجبي هذا لا ولن يمحوما وراءه من الحقائق الخشنة المستتبة المتشبحة
بذاته الشرق ومنازع الشرق ومناعم الشرق

لو فكر ذلك الاديب الذي استصعب خلع طربوشه في الباخرة الافرنجية بأن ذلك
الطربوش الشريف قد صنع في معمل افرنجي لهان عليه خلعة في أي مكان ، في آية
باخرة أفرنجية

لو فكر أديينا بأن الاستقلال الشخصي في الامور الصغيرة كان وسيكون رهن
الاستقلال الفني والاستقلال الصناعي ، وهو كغيران ، خلعم طربوشه ممثلاً صامتاً .
لو فكر صاحبنا بأن الامة المستعبدة بروحها وعقليتها لا تستطيع ان تكون حرقة
على بسها وعاداتها

لو فكر بذلك لما كتب مقاله مترضاً

لو فكر أدينا بأن جنده لبسوري كان يبحر الى مصر على ظهر مركب سوريه
من تدأّ ثوبه غزلته وحراكته وخاطته للأيدي السوريه لما تردد بطننا الحر الا بالملابس.
ملائمه في بلاوه ولما ركب سوي سفينة سوريه ذات ربان سوري وبخاره سوريين
مصاب أدينا الشجاع انه قد اعترض على النتائج ولم يحفل بالأسباب فتناوله
الاعراض قبل ان يستميله الجوهر وهذا شأن أكثر الشرقيين الذين يأبون ان يكونوا
شرقيين الا بتوافق الامور وصغارها مع أنهم يفارخون بما اقتبسوه من الغربيين مما ليس
بتافه أو صغير.

أقول لا ديننا واقول لجميع المتطر بشين ، الا فاصنعوا طرایشكم يدكم ثم تخروا في
ما تفعلونه بطرایشكم على ظهر الباحرة او على قمة الحيل او في جوف الوادي
وتعلم السماء ان هذه الكلمة لم تكتب في الطرایش او في شأن خلعها او استبقاءها
على الرؤوس تحت السقوف او تحت المجرة . تعلم السماء انها كتبت في أمر ابعد من كل
طربوش . فوق كل رأس ، فوق كل جنة مختلجة .

رؤيا

عند ما جن الليل والقى الکرى رداءه على وجه الارض تركت مضجعي وسرت
نحو البحر قائلًا في نفسي « البحر لانيام . وفي يقظة البحر تعزية لروح لاتنام . »
بلغت الشاطئ ، وكان الضباب قد انحدر من اعلى الحيال وغمر تلك النواحي مثلما
يوشى النقاب الرمادي وجه الصبية الحسناء . فوقفت محدقاً بجيوش الامواج ، مصفياً الى
تهايلها ، مفكراً السرمدية الكامنة وراءها — تلك القوى التي تركض مع العواصف
وتثور مع البراكين وتبتسم بشغور الورود وتترنم مع الجداول .

وبعد هنئة التفت فإذا بثلاثة اشباح جالسين على صخر قريب واغشية الضباب
 تسترم ولا تسترم . فشيئت نحوه يبطئه كان في كيانهم جاذباً يستميلني قسراً ارادني

ولما صرت على بعد بعض خطوات منهم وقفت شائخاً بهم كأن في المكان سحراً
أجد ما ي من العزم وايقظ ما في روحي من انجذاب .

في تلك الدقيقة وقف أحد الاشباح الثلاثة وبصوت خلته آتياً من اعماق البحر قال
— «الحياة بغير الحب كشجرة بغير ازهار ولا انمار . والحب بغير الجمال كازهار
غير عطر . وانمار بغير بذور . . . الحياة والحب والجمال — ثلاثة اقانيم في ذات واحدة
مستقلة ، مطافية لاقتناء التغيير ولا الانفصال . » قال هذا وجلس في مكانه

ثم اتصب الشبح الثاني وبصوت يماهيل هدير مياه غزيرة قال
— «الحياة بغير تمرد كالفصل بغير ديمقراطية في الصحراء القاحلة الجرداء . . . الحياة
والتمرد والحق — ثلاثة اقانيم في ذات واحدة لاقتناء الانفصال ولا التغيير . »

ثم اتصب الشبح الثالث . وبصوت كقصص الرعد قال
— الحياة بغير الحرية كجسم بغير روح . والحرية بغير الفكر كالروح المشوهة . . .
الحياة والحرية والفكر — ثلاثة اقانيم في ذات واحدة ازلية لا تزول ولا تضمحل . »

ثم وقف الاشباح الثلاثة . وباصوات هائلة قالوا معاً

— «الحب وما يولد . والتمرد وما يوجد . والحرية وما تنبئه — ثلاثة مظاهر
من مظاهر الله . والله ضمير العالم العاقل . »

وحدث اذ ذاك سكوت مفعم بخفيف اجتنحة غير منظورة وارتعاش اجسام اثيرية .
فانقضت عيني مصنياً الى صدى الاقوال التي سمعتها . ولما فتحتها ونظرت ثانية لم
أرَ غير البحر متشحاً بدثار الضباب فاقتربت من الصخرة حيث كان الاشباح جالسين
فلم أرَ الا عموداً من البخور متصاعداً نحو السماء .

ما وراء الرداء

عند ما اتصف الليل فتحت راحيل عينيها وحدقت هنئها بسقف الغرفة ثم أغمضتها
جوئدت تهداً عميقاً متقطعة ، وبصوت يكاد ان يكون لهاً قالـت —

« هـ قد بلغ الصباح أطراف الوادي ، فلأنذهب الى لقائـه »

فاقترب اذ ذاك الكاهن من مضجعها وجس يدها فوجدها باردة كالثلج ثم وضع
اصابعه بلطف فوق قلبها فألفاه ساً كـنـاً كالدهور ، فخـى رأسـه وارتـشت شـفـتـاه كـأـنه
يريد أن يلـفـظـ كلـةـ عـلوـيـةـ تـرـدـدـهاـ اـشـبـاحـ اللـيلـ فيـ تـلـكـ الـأـوـدـيـةـ الـقـاصـيـةـ الـخـالـيـةـ .ـ ثـمـ صـلـبـ
ذراعـيـهاـ فـوـقـ صـدـرـهاـ وـالـفـتـ نحوـ الـرـجـلـ الجـالـسـ فيـ قـرـنـةـ مـظـلـمـةـ منـ تـلـكـ الغـرـفـةـ وـقـالـ بـصـوـتـ
ملـوهـ الشـفـقـةـ وـالـانـطـافـ —

« قد ذهبت زوجتك الى لقائـهـ وـبـهـاـ .ـ قـمـ ،ـ يـاـ أـخـيـ ،ـ وـرـكـعـ بـجـانـبـ لـصـلـيـ .ـ »
فرفعـ الرـجـلـ رـأـسـهـ وـقـدـ تـفـيـرـتـ مـلـامـحـهـ وـكـبـرـتـ عـيـنـاهـ كـأـنهـ رـأـيـ فيـ فـضـاءـ الغـرـفـةـ ظـلـلـهـ
الـغـيـرـ مـعـرـوفـ .ـ ثـمـ وـقـفـ بـهـدوـهـ وـتـقـدـمـ مـضـجـعـ زـوـجـتـهـ وـرـكـعـ بـجـانـبـ الـكـاهـنـ مـصـلـيـاـ ،ـ
مـتـجـبـاـ ،ـ رـاسـيـاـ بـيـنـ الـآـوـنـةـ وـالـأـخـرـىـ اـشـارـةـ الـصـلـيـبـ عـلـىـ وـجـهـهـ وـصـدـرـهـ .ـ
وـاتـصـبـ الـكـاهـنـ وـاضـعـاـ يـدـهـ عـلـىـ كـتـفـ الرـجـلـ قـائـلاـ —

« قـمـ ،ـ يـاـ أـخـيـ !ـ تـعـالـ اـلـىـ الغـرـفـةـ الثـانـيـةـ .ـ فـانـتـ بـحـاجـةـ اـلـىـ النـومـ وـالـراـحةـ »
فـلـمـ يـدـرـ الرـجـلـ مـعـارـضـةـ ،ـ بلـ وـقـفـ وـسـارـ اـلـىـ الغـرـفـةـ الـحـاذـيـةـ وـرـحـىـ بـنـفـسـهـ عـلـىـ سـرـيرـ
خـيـقـ مـمـدـداـ جـسـدـ شـأـنـ مـنـ يـنـهـكـهـ الـهـمـ وـالـسـهـرـ وـالـاتـظـارـ
وـلـمـ تـمـ بـضـعـ دـقـائقـ حـتـىـ غـلـبـ النـومـ اـجـفـانـهـ فـرـقـدـ كـطـفـلـ بـيـنـ ذـرـاعـيـ اـمـهـ

* * *

اماـ الـكـاهـنـ فـظـلـ مـتـصـبـاـ كـلـثـالـ فـيـ وـسـطـ تـلـكـ الغـرـفـةـ يـنـظـرـ بـعـيـنـيـنـ بـالـدـمـوعـ
نـحـوـ جـثـةـ الصـبـيـةـ الـبـارـدـةـ وـيـلـتـفـتـ كـلـ دـقـيـقـةـ نـحـوـ زـوـجـهـاـ النـائـمـ فـيـ الغـرـفـةـ الـحـاذـيـةـ
وـمـرـتـ سـاعـةـ اـطـولـ مـنـ الدـهـرـ وـاـشـدـ هـوـلـاـ مـنـ الـمـوـتـ وـالـكـاهـنـ وـاقـفـ بـيـنـ دـجـلـ

وامرأة راقدن — رجل راقد رقود حقل يحمل بمحني، الوبيع ؛ وامرأة راقدة من الأزمنة
الفايرة تحلم احلام الابدية

حينئذ اقترب الكاهن من مضجع الصبية وجثا امامها كايجشو امام المذبح ، ثم أخذ
يدها الباردة ووضعها على شفتيه المرتجفتين ونظر الى وجهها المتشنج بنقاب الموت وبصوت
هادى ، كالليل عميق كالبحر صرتعش كما مال البشر قال —

« يا راحيل ، يا راحيل ، يا اخت روحي ، اسمعني يا راحيل فانا استطيع الان
الكلام . قد فتح الموت شفتي لا بوح لك بسر أعمق من الموت ، واطبق الالم لساني
لا كشف لك أمراً اشد من الالم . اسمعي صراخ روحي ايتها الروح المرفرفة بين الارض
واللأنهائية . اسمعي الشاب الذي كان يراك راجعة من الحقل فيتنحنى محتجاً بين الاشجار
خائفاً من جمال وجهك . اسمعي الكاهن الذي يخدم الله فهو يناديك الان بلا وجل
لانك بلغت مدينة الله »

همس هذه الالفاظ ثم انحنى فوقها وقبل جبها وقبل عينيها وقبل عنقها — قبلات
طويلة ، حارة ، خرساء ، علوية ، تبين ما في نفسه من اسرار الحب والالم .

ثم تراجع فجأة الى الوراء وارتدى على الارض صرتعشاً كاوراق الخريف كأن ملامسة
وجه المرأة المثلجة قد ايقظت في داخله عاطفة الندم ثم اتصب جائياً ساتراً وجهه يديه
قاتلاً في سره —

« اغفر ذنبي ، يارب اسامح ضعفي ، يا الهي ! فانا لم أحبل حتى النهاية فالسر الذي
اخته الحياة في قلبي سبعة اعوام قد اباشه الموت بدقة واحدة . اغفر لي يارب سامح
ضعفني يا الهي »

وظل على هذه الحالة يتسحب ويتوعد ويميل برأسه ذات اليمنين وذات اليسار ولا
ينظر الى جثة الصبية خائفاً على نفسه من خفافي نفسه حتى جاء الصباح والقى وشاحه الوردي
على تلك الرسوم المهيولية التي تمثل الحب والدين والحياة والموت .

بَيْنَ لَيْلٍ وصَبَاحٍ

قصيدة متورة

اسكت ياقلبي فالفضاء لا يسمعك .

اسكت ياقلبي فالأشير المثقل بالنواح والعويل لن يحمل أغانيك وأناشيدك .

اسكت فاشباح الليل لاتحفل بهمس أسرارك ، وموكب الظلام لاتقف أمام أحلامك

اسكت ياقلبي ، اسكت حتى الصباح ، فلن يتربّع الصباح صابراً يلاقِ الصباح
قوياً ومن يهوا النور فالنور يهواه .

اسكت ياقلبي واسمعني متكلماً :

في الحلم رأيت شحروراً يفرد فوق فوهه بركان ثائر .

ورأيت زنبقة ترفع رأسها فوق الثلوج .

ورأيت حوريّة عاريّة ترقص بين القبور .

ورأيت طفلاً يلعب بالمجاجم وهو يضحك .

رأيت جميع هذه الصور في الحلم ولما استيقظت ونظرت حولي رأيت البركان هائجاً
ولكنني لم اسمع الشحرور مغرياً ولا رأيته مرفرفاً .

ورأيت الفضاء ينشر الثلوج على الحقول والأودية ، ساتراً بأكفانه البيضاء أجسام
الزنابق الهاameda .

ورأيت القبور صفوفاً متتصبة امام سكينة الدهور وليس بينها من يتبايل رافقاً ولا
من يجشو مصلباً .

ورأيت راية من المجاجم وليس هناك من ضاحك سوى الريح .

في اليقظة رأيت الحزن والأسى فain ذهبت أفراد الحلم ومسراه ؟

ain توارت بهجة المنام وكيف اضمحلت رسومه ؟

وَكَيْفَ تَعْجَلُ النَّفْسُ حَتَّى يَعِيدَ النَّوْمَ أَشْبَاحَ أَمَانِهَا وَآمَانِهَا ؟

أَصْغِرْ يَا قَلْبِي وَاسْمِنِي مُتَكَلِّماً :

كَانَتْ نَفْسِي بِالْأَمْسِ شَجَرَةً مَسْنَةً قَوْبَةً تَمْدُ عُرُوقَهَا إِلَى أَعْمَقِ الْأَرْضِ وَتَعْمَلُ
عَصْوَنَهَا نَحْوَ الْلَّاْنِهَايَا .

وَلَقَدْ أَزْهَرَتْ نَفْسِي فِي الرَّبِيعِ وَأَمْرَتْ فِي الصِّيفِ ، وَلَا جَاءَ الْخَرِيفَ جَمِعَتْ
عِمَارَهَا فِي اطْبَاقِهَا فِي الْفَضَّةِ وَوَضَعَنَاهَا عَلَى قَارِعَةِ الطَّرِيقِ فَكَانَ الْعَابِرُونَ يَتَنَاهُونَ مِنْهَا
وَيَأْكُونُ تَمَّ يَسِيرُونَ فِي سَبِيلِهِمْ .

وَلَا انْقَضَى الْخَرِيفُ وَتَحَوَّلَتْ تَهَالِيلُهُ إِلَى النَّدْبِ وَالْوَلُولَةِ نَظَرَتْ فَلَمْ أَرَ فِي اطْبَاقِي
سُوَى ثَمَرَةً وَاحِدَةً أَبْقَاهَا النَّاسُ لِي ، فَتَنَاهُتْهَا وَأَكَاتْ فَلَقِيهَا سَرَّةً كَالْعَلْقَمِ حَامِضَةً كَالْحَصْرَمِ ،
فَقَلَتْ نَفْسِي : « وَيَحِي لَقْدَ وَضَعْتَ فِي افْوَاهِ النَّاسِ لَعْنَةً وَفِي أَجْوَافِهِمْ عَدَاءً » ، فَإِذَا تُرِي
فَعَلَتْ يَا نَفْسِي بِالْحَلَلَوَةِ الَّتِي امْتَصَتْهَا عُرُوقُكَ مِنْ أَحْشَاءِ الْأَرْضِ وَبِالْأَرْبِيجِ الَّذِي
تَشَرَّبُ بِهِ قَضْبَانِكَ مِنْ نُورِ الشَّمْسِ ؟ »

بَعْدَ ذَلِكَ اقْتَلَمْتُ شَجَرَةَ نَفْسِي الْقَوِيَّةِ الْمَسْنَةِ .

اقْتَلَعْتُهَا بِعُرُوقَهَا مِنِ التَّرْبَةِ الَّتِي نَمَتْ فِيهَا وَتَرَعَّرَتْ .

اقْتَلَعْتُهَا مِنْ مَاضِيهَا وَنَزَعْتُ عَنْهَا ذَكْرَى الْفَرِيعِ وَالْفَخَرِيفِ

وَعَدْتُ فَرَزَعْتُ شَجَرَةَ نَفْسِي فِي مَكَانٍ آخَرَ .

زَرَعْتُهَا فِي حَقْلٍ بَعِيدٍ عَنْ سُبُلِ الزَّمْنِ . وَكَنْتُ أَسْهُرُ بِجَانِبِهَا قَائِلاً : إِنَّ السَّهْرَ
يَعْدِنَا مِنِ النَّجْوَمِ ، وَكَنْتُ أَسْقِيَهَا دَمِي وَدَمْوِيَ قَائِلاً : إِنَّ فِي الدَّمِ نَكَةً وَفِي الدَّمْوَعِ حَلَلَةً .
وَنَّا عَادَ الرَّبِيعُ ازْهَرَتْ نَفْسِي ثَانِيَةً ، وَفِي الصِّيفِ أَمْرَتْ ، وَلَا جَاءَ الْخَرِيفُ جَمِعَتْ
عِمَارَهَا النَّاضِجَةَ فِي اطْبَاقِهَا فِي الْأَذْهَبِ وَوَضَعَنَاهَا عَلَى مَلْتَقِ السُّبُلِ . فَرَّ النَّاسُ أَفْرَادًا
وَجَمَاعَاتٍ وَلَكِنْ لَمْ يَتَدَادِيَهُ لَيَتَنَاهُ مِنْهَا .

فَأَخْذَتْ إِذْ ذَلِكَ ثَمَرَةً وَأَكَاتْ فَوْجَدَتْهَا حَلْوةً كَالْشَّهْدِ ، لَذِيذَةً كَالْكُوْنِ ، عَطْرَةً
كَانْفَاصِ الْيَاسِمِينِ ، طَيْبَةً كَالْحَمْرَةِ الْبَابِلِيَّةِ ، فَصَرَخَتْ قَائِلاً : « إِنَّ النَّاسَ لَا يَرِيدُونَ الْبَرَكَةَ
فِي أَفْوَاهِهِمْ وَلَا الْحَقَّ فِي أَجْوَافِهِمْ لَأَنَّ الْبَرَكَةَ أَبْنَةُ الدَّمْوَعِ وَالْحَقُّ أَبْنَى الدَّمَاءِ . »

ثم عدت وجلست في ظلال شجرة نقي المنفردة في حقل بعيد عن سبل الزمن -

* * *

اسكت يا قلبي حتى الصباح .

اسكت فالقضاء قد أتمته رائحة الاشلاء فلن يتشرب انفاسك .

اصن يا قلبي واسمعني متكلماً :

كانت بالامس فكري سفينة تقلب بين امواج البحار وتتنقل مع الاهواء من شاطئ الى شاطئ

وقد كانت سفينة فكري خالية الا من سبعة أكواب طافحة بألوان مختلفة تشبه الوان قوس قزح بنضارتها

وجاء زمن ملت فيه التنقل على وجه البحار فقلت مأود بسفينة فكري الفارغة الى ميناء البلد الذي ولدت فيه .

ثم أخذت أطلي جوانب سفينتي بألوان ، صفراً كشمس الغيب ، وخضراء كقلب الرياح ، وزرقاء كبند السماء ، وحمراء كذوب الشقيق ، وأرسم على شراعها ودقتها رسوماً غريبة تجذب العين وتبهج البصيرة .

ولما أنهيت من عملي وقد ظهرت سفينة فكري كرؤيا نبيٍّ تطوف بين الالهاتين ، البحر والسماء ، دخلت بها ميناء بلدي فخرج الناس للاقاء بالتهليل والتعظيم وأدخلوني المدينة ضار بين الدفوف نافحين الزمور .

فعلوا ذلك لأن خارج سفينتي كان مزخرفاً بهجاً.

ولم يسأل أحد ماذا جلبت فيها من وراء البحار .

ولم يدر أحد أنني عدت بها فارغة الى الميناء .

عند ذلك قلت في سري : « لقد ضللت الناس وبسبعة أكواب من الالوان قد كذبت على باصرتهم وبصائرهم . »

وبعد عام ركبت سفينة فكري وأبحرت ثانية ..

سرت الى جزر الشرق فجمعت منها الملح واللبان والصندر وأدخلتها الى سفينتي .
والى جزر الجنوب فجلبت منها التبر واعاج والياقوت والزمره وجميع الحجارة الكريمة .
والى جزر الشمال فعدت منها بالخز والوشي والبرفير .

والى جزر العرب خملت منها الدروع المزددة والسيوف العسالة والرماح السمهريه .
وسائر انواع الاسلحة .

ملأت سفينتي فكري بنفائس الارض وغرائبها وعدت الى ميناء بلديه قائيلا :
« سوف يمجدني قومي ولكن عن جداره ، وسيدخلونني المدينة منشدين من صرير ولنسكن
عن استحقاق . »

ولكن لما بلغت المينا لم يخرج أحد ملائقي .
ودخلت شوارع بلدي فلم يلتفت الي أحد

وقفت في ساحتها مهلاً للناس ما جلبت لهم من عمار الارض وطراائفها فكأنوا
ينظرون الي والضحكت ملء أفواهم والسخرية على وجوههم ثم يتحولون عني .
فعدت الى المينا كثيأً مستغرباً ، ولكنني مالحت سفينتي حتى فطنت لامرِ كنت
مشغولاً عنه بمنازع أسفاري ورغائبها ، فهتفت قائلة : « ان أمواج البحار قد محت
الطلاء عن جوانب سفينتي فبانت كهيكل من عظام ، وعفت الارياح والانواءُ وحرارة
الشمس الرسوم عن شراعها فظهرت كأثواب رمادية بالية .

لقد جمعت طرائف الارض ونفائسها في تابوت يعوم على وجه الماء وعدت الى قومي
غبيذوني لأن عيونهم لا ترى سوى المظاهر الخارجية .

في تلك الساعة تركت سفينتي فكري وذهبت الى مدينة الاموات وجلست بين
الاقبور الكاسة مفكراً باسرارها .

* * *

اسكت يا قلبي حتى الصباح . اسكت فالعاصفة الهوجاء تسخر بهمـس اعماليك ،
وكهوف الوادي لن ترجع بصداتها رفات اوثارك .



جعفر ابى هانى

الحسن بن هانى الملقب «باي نواس»

اسكت يا قلبي حتى الصباح فن يترقب الصباح متجلداً يعاشه الصباح مشتاقاً -
ها قد طلع الفجر يا قلبي فتكلم ان كنت تستطيع الكلام .
هو ذا موكب الصباح يا قلبي فهل ابقى سكوت الليل في اعماقك أغنية تلاقي
بها الصباح ؟
هو ذا اسراب الحمام والشحارير تتطاير متنقلة في اطراف الوادي فهل ابقى هول الليل .
في جنبيك صلابة لتطير معها ؟
هو ذا الرعيان يسرون امام قطعانهم من الحظائر والمرابض فهل ابقي لك اشباح
الليل عزماً لتسير وراءها الى المروج الخضراء ؟
هو ذا الفتیان والصبيان يمشون الهوينا نحو الكروم فهل انہضت ومشيت معهم ؟
قم يا قلبي ؟ قم وسير مع الفجر فالليل قد مضى ومخاوف الليل قد اضمحلت مع
لحامه السوداء .
قم يا قلبي وارفع صوتك متربماً فن لا يشارك الصبح باغانيه كان من ابناء الظلام -



السم في الدسم

في صباح يوم من أيام الخريف الذهبية التي تُظهر شمال لبنان بكل مظاهره العلوية اجتمع سكان قرية « تولا » حول الكنيسة القائمة في وسط منازلهم يتساءلون ويتبادلون الآراء في سفر فارس الرحال الفجائي إلى مكان قصي لا يعلم به غير الله تاركاً عروسته الصبية التي تزوج بها منذ ستة أشهر

كان فارس الرحال شيخ القرية وزعيمها، وقد ورث هذه المنزلة عن أبيه وجده .
ومنه أنه لم يتجاوز السابعة والعشرين من عمره فقد كان في شخصيته ما يوزع الاحترام والوقار في قلوب مواطنه . وعند ما اقتربن في أوسط الربيع الشابر بسوسان بركات قال الناس ما أسعده فتى ! فهو قد حصل قبل أن يبلغ الثلاثين على كل ما يتناءه الإنسان من السعادة في الحياة الدنيا .

ولكن في ذلك الصباح عند ما استيقظ سكان تولا وقيل لهم إن الشيخ فارس قد جمع ما تيسر له من المال وركب فرسه وغادر القرية دون أن يودع نسيباً أو صديقاً تعاظمت ظنونهم وأخذوا يتساءلون عن الأسباب الخفية التي جعلته يتركهم ويترك عروسته ومنزله وحقوله وكرمه

ان الحياة في شمال لبنان أقرب إلى الاشتراكية منها إلى كل تعلم آخر ، فالقوم هناك يتساهمون أفرح الوجود وشدائد مدفوعين بأموال فطرية وضعية . فإذا ما جاءت الأيام بحادث إلى قرية ينصرف سكانها بكلتهم إلى استقصاء ذلك الحادث حتى تجيء الأيام إليهم باسر آخر

تلك هي العوامل التي صرفت سكان تولا عن أعمالهم اليومية فاجتمعوا حول كنيسة مارتولا يتحدثون ويتساءلون ويتبادلون الآراء بسفر فارس الرحال .

وينما هم على هذه الحالة وإذا بالخوري اسطفان كاهن القرية يقترب منهم منحي الرأس منقبض الملامح . فدنوا منه ، مستطمعين فظل ساكتاً يفرك يداً ييد وبعد هنفيه قال :

— لا تسألوني : لا تسألوني . كل ما أعرفه يا ابني هو هذا : برع فارس بابه منزلي قبل طلوع الفجر ولما فتحت له وجلده متمسكاً بمقدور فرسه وعلى وجهه امارات الحزن الشديد . فسألته مستغرباً عما يزيد فقال « جئت لاودعك يا ابتي ، فاتناسففي اليه ما وراء البحار ولن اعود الى هذه البلاد وانا حي » ثم وضع في يدي رسالة مختومة باسم صديقه نجيب مالك وطلب اليه ان اسلمه اليه يداً بيده . فعل هذا واعتنى فرسه وراح مسرعاً قبل ان استوضح أمره . هذا كل ما اعرفه ، فلا تسألوني الزيادة .

قال أحد الواقفين

— لا شك ان في الرسالة ما ينشنا عن سبب سفره لأن نجيب مالك كان يجهّز
صديق له في القرية
وقال آخر

— وهل رأيت عروسته يا ابايه ؟
فاجاب الكاهن

قد زرتها بعد صلاة الصباح فوجدتها جالسة بقرب النافذة تنظر الى البعيد بعينين زجاجيتين كأنها فقدت أدرا كها ولما سألتها هزّت رأسها وقالت « لا لأدرني . لا لأدرني ». ثم طفقت تبكي وتنهّج كلا طفلان .

ولم ينته الكاهن من كلامه الا وذعر القوم حوله لطلق بندقية جاء من الوجهة الشرقية من القرية . ثم تبعه صرائح امرأة جارح ارتعشت له دقائق الفضاء . فبهرت القرويون دققة تم تراكمضوا نساء ورجالاً وعلى وجه كل واحد منهم برقع من الخوف والتشاؤم . ولما بلغوا البستان الذي يحيط بمنزل فارس الرحال شاهدوا هناك منظراً أجمد الدم في عروقهم وال فكرة في رؤوسهم ، رأوا نجيب مالك منظرًا على التراب والنじيع يتدقق من اعماشه . وعلى مقربة منه سوسان زوجة فارس الرحال تباش شعرها وترقب أنواعها وتصرخ متوجعة — « قد قتل نفسه . قد أطلق البندقية في صدره . »

فبهرت القوم كأن أكف القضاء غير المنظورة قد قبضت على أرواحهم . ولما اقترب الكاهن من الصربيع وجد في يمينه الرسالة التي كان قد سلمه ايها في ذلك

الصباح . وقد قبض عليها بشدة كأنه يريد ان يجعلها جزأاً من اصيه . فتناولها الكاهن ووضعها في جيده دون ان يراها أخذ ثم تراجع الى الوراء لاطاً وجهه . وحمل القوم جثة المتصر الى بيت والدته المسكينة التي لم تر جثة وحيدها حتى فقدت عقلها .

واهتم بعض النساء بزوجة فارس الرجال فاقنادوها الى منزلها بين حية ومتة . قلما بلغ الخوري اسطوان منزله أوصد الباب ووضع النظارات على عينيه منتسللاً لربها التي وجدتها في يد نجيب مالك وبصوت مرتعش أخذ يقرأ :

« أخي نجيب
أنا تارك هذه القرية لأن وجودي فيها يجلب التعasse لك وزوجتيولي أيضاً . أنا أعلم بأنك شريف النفس تترفع عن خيانة صديقك وجارك ، وأعلم ان زوجي سوسان ظاهرة الذيل ، ولكنني اعلم في الوقت نفسه ان الخبر الذي يضم قلبك وقلبها هو أمر فوق ارادتكما . فأنت لا تستطيع ازالته كما انت لا تقدر ان توقف مجري نهر قاديشا . لقد كنت صديقاً لي يا نجيب مذكنا صبيين نلعب في الحقول وفي ساحة الكنيسة . وأنت لم تزل صديقي امام الله . وأرجوك ان تفكري في المستقبل مثلما كنت تفكري في الماضي . وإذا التقيت بسوسان غداً أو بعده فقل لها اني أحبها وارجها . وقل لها أيضاً اني كنت أذوب شفقة عندما كنت استيقظ في سكينة الليل وأراها رائعة امام صورة يسوع تبكي وتتحبب وتجعل صدرها . ليس أصعب من حياة المرأة التي تُمجد نفسها واقفة بين رجل يحبها ورجل تحبه . وسوسان المسكينة كانت في حرب دائمة . كانت تريد ان تقوم بواجباتها الزوجية ولكنها لم تكن قادرة على قتل عواطفها . أما اذا غسافر الى مكان بعيد ولن أعود الى هذه الديار لاني لا أريد ان أكون حجر عثرة في سبيل سعادتكما . وفي الختام أرجوك يا أخي أن تبقى مخلصاً لسوسان وان تحافظ عليها حتى النهاية لأنها قد ضحت بكل شيء من أجلك . فهي تستحق كل ما يستطيع

الرجل ان يقدم للمرأة . ابقَ يأنجِيب كـما عهـدـتـكـ شـرـيفـ القـلـبـ كـبـيرـ النـفـسـ والـثـبـهـ
يـحـفـظـكـ لـاخـيكـ

فارس الرحال

ولما انتهى الخوري أسطفان من قراءة الرسالة طواها واعادها الى جيبيه وجلس بقرب
النافذة ينظر الى الوادي البعيد وعلى وجهه المتجمد امارات الفكر العميق
ولكن لم تمر دقيقة حتى اتصب بخاتمة قدميه كأنه وجد بين ثنايا افكاره متواء
دقائقاً هائلة محظوظاً بالظواهر ملتفاً بالسطحيات . فهتف صارخاً — ما أكثـرـ دـهـاءـكـ
يا فـارـسـ الرـحالـ . فـقـدـ عـرـفـتـ كـيـفـ تـقـتـلـ اـبـنـ مـالـكـ وـتـبـقـيـ بـرـيـئـاـ منـ دـمـهـ . فـقـدـ بـعـثـتـ اليـهـ
بـالـسـمـ مـمزـوجـاـ بـالـعـسـلـ . فـقـدـ بـعـثـتـ اليـهـ بـالـسـيفـ مـلـتـفـاـ بـالـحـرـيرـ . فـقـدـ بـعـثـتـ اليـهـ بـالـمـوـتـ طـنـيـ
الـرـسـالـةـ . فـعـنـدـ مـاصـوـبـ بـنـدـقـيـتـهـ إـلـىـ صـدـرـهـ كـانـتـ يـدـكـ قـابـضـةـ عـلـىـ يـدـهـ وـارـادـتـكـ مـحـيـطـةـ
بـارـادـتـهـ . . . أـوـاهـ مـاـ أـكـثـرـ دـهـاءـكـ ياـ فـارـسـ الرـحالـ . . .

وعاد الخوري بولس خلمس على المendum هازاً رأسه مشطاً لحيته بأصابعه مبتسمـاـ
ابتسامـاتـ ذاتـ معـانـ أـشـدـ هـوـلاـ منـ المـأـسـةـ . وـبـعـدـ هـنـيـهـ تـنـاـولـ كـتـابـاـ منـ خـزانـةـ
قرـيـةـ وأـخـذـ يـتـاوـ بـعـضـ موـشـحـاتـ الـقـدـيسـ اـفـرـامـ السـرـيـانـيـ وـهـوـ يـرـفـعـ عـينـيهـ بـيـنـ الـآـونـةـ
وـالـأـخـرىـ لـيـسـعـ صـرـاخـ النـسـاءـ آـتـيـاـ منـ قـلـبـ الـقـرـيـةـ



على باب الهيكل

اقدمها الى (مم)

قد طهرت شفتي بالنار المقدسة لاتكام عن الحب ولما فتحت شفتي للكلام
فوجدتني لغرس

كنت اترنم باغاني الحب قبل ان اعرفه ولما عرفته تحولت الالفاظ في في الى هات
جحديل ، والانفاس في صدرني الى سكينة عميقة .

وكنت أيتها الناس فيما مضى تسألوني عن غرائب الحب وعجائبـه ، فكنت احدثكم
وأقمعكم ، اما الان ، وقد غمرني الحب بوشاحه ، فجئت بدوري اسألـكم عن مسالـكم
ومزايـاه فهل ينـكم من يـحبـينـي ؟ جـئتـ اـسـأـلـكـمـ عـمـاـيـ وـاسـتـخـبـرـكـمـ عـنـ نـفـسيـ فـهـلـ يـنـكـمـ
من يستطـيعـ انـ يـبـيـنـ قـلـبـيـ لـقـلـبـيـ وـيـوضـحـ ذـاتـيـ لـذـاتـيـ ؟

لـاـ فـاخـبـرـونـيـ مـاـهـذـهـ الشـعـلـةـ الـتـيـ تـقـدـيـ صـدـرـيـ وـتـلـهـمـ قـوـايـ وـتـذـيـبـ عـواـطـيـ وـأـمـيـالـيـ ؟
وـمـاـ هـذـهـ الـأـيـدـيـ الـخـفـيـةـ النـاعـمـةـ الـخـشـنـةـ الـتـيـ تـقـبـضـ عـلـىـ روـحـيـ فيـ سـاعـاتـ الـوحـدةـ

والـأـنـفـرـادـ وـتـسـكـبـ فـيـ كـبـدـيـ خـمـرـةـ مـزـوـجـةـ بـرـارـةـ الـلـذـةـ وـحـلاـوةـ الـأـوـجـاعـ ؟

وـمـاـ هـذـهـ الـأـجـنـحةـ الـتـيـ تـرـفـرـفـ حـوـلـ مـضـجـعـيـ فـيـ سـكـيـنـةـ الـلـيلـ فـاسـهـرـ مـتـرـقـبـاـ ماـ لـاـعـرـفـهـ
مـصـفـيـاـ إـلـىـ مـاـلـاـ اـسـمـعـهـ ، مـحـدـقـاـ بـاـ لـاـرـاهـ ، مـفـكـراـ بـاـ لـاـفـهـمـهـ ، شـاعـرـاـ بـاـ لـاـدـرـكـهـ ، مـتـاـوـهـاـ
لـاـنـ فـيـ التـأـوـهـ غـصـاتـ أـحـبـ لـدـيـ مـنـ رـةـ الصـحـكـ وـالـبـهـاجـ ، مـسـتـسـلـمـاـ إـلـىـ قـوـةـ غـيرـ
مـنـظـورـةـ تـمـيـنـيـ وـتـحـيـيـنـيـ ثـمـ تـمـيـنـيـ وـتـحـيـيـنـيـ حـتـىـ يـطـلـعـ الـفـجـرـ وـيـعـلـأـ زـوـيـاـ غـرـفـتـيـ فـانـ اـذـ ذـاكـ
وـبـيـنـ اـجـفـانـيـ الـذـابـلـةـ تـرـقـعـ اـشـبـاحـ الـيـقـظـةـ وـعـلـىـ فـرـاشـيـ الـحـجـرـيـ تـهـاـيـلـ خـيـالـاتـ الـأـحـلـامـ

* * *

وـمـاـ هـذـهـ الـذـيـ نـدـعـوـهـ جـبـاـ ؟
اـخـبـرـونـيـ مـاـ هـذـهـ السـرـ الـخـفـيـ الـكـامـنـ خـلـفـ الـدـهـورـ الـخـتـبـيـ ، وـرـاءـ الـمـرـئـاتـ السـاـكـنـ
فـيـ ضـمـيرـ الـوـجـودـ ؟

ما هذه الفكرة المطلقة التي تجبيء سبباً لجميع النتائج وتتأتي نتيجةً لجميع الاسباب؟
ما هذه اليقظة التي تتناول الموت والحياة وتبتعد عنها حلماً أغرب من الحياة وأعمق.
من الموت؟

اختروني أيها الناس — اخبروني هل ينكم من لا ينتبه من رقدة الحياة اذا
مالس الحبُّ روحه باطراف اصابعه؟

هل ينكم من لا يترك أباً وآمه ويسقط رأسه عند ماتناديه الصبية التي احبه قلبه؟
هل فيكم من لا يختر البحر ويقطع الصحاري ويحتاز الحيال والأودية ليلاً في بالمرأة
التي اختارتها روحه؟

ايُّ فتى لا يتبع قلبه الى اقصى الارض اذا كان له في اقصى الارض حبيبة يستطيع
نكهة انفاسها ويستلطف ملامس يديها ويستعدب رنة صوتها؟

ايُّ بشرى لا يحرق نفسه بخوراً امام إله يسمع اتهاله ويستجيت صلواته؟

* * *

وقفت بالامس على باب الميكيل اسأل العابرين عن خفايا الحب ومن زياره
فقرَّ امامي كهل مهزول القامة كاسف الوجه وقال متأنقاً « الحب ضعف فطري
ورثناه عن الانسان الاول »

وسرَّت قوي الجسم مقتول الساعدين وقال مترنعاً « الحب عزم يلازم كياننا ويصل
حاضرنا بماضي الاجيال ومستقبلها »

وسرَّت امرأة كثيبة العينين وقالت متنهدةً « الحب سُمّ قاتل تنفسه الافاعي
السوداء المتقلبة في كهوف الجحيم فيسيل منتشرًا في الفضاء ثم يهبط مخلفاً ب قطرات الندى
فترتشفه الارواح الظامئة فتسكر دقيقة ثم تصحو عاماً ثم تموت دهراً »

وسرَّت صبية موردة الوجتين وقالت مبتسمة « الحب كونه تسکبه عرائس الفجر
في الارواح القوية فيجعلها تعالى متجدة امام كوكب الليل وتبسج مترنمة امام
شمس النهار »

وسَّرْ رجل ذو ملابس سوداء ولحية مسترسلة وقال عابِساً « الحب جهالة عميماء
تُبتدئ بيدِ الشباب وتنتهي بنهايته »

وهرَّ رجل ذو وجه صبور وملامح منفرجة وقال فرحاً « الحب معرفة علوية تنير
 بصائرنا فنرى الاشياء كما يراها الآلهة »

وسَّرْ اعمى يجس الارض بعكازه وقال متاجباً « الحب ضباب كثيف يكتشف
 النفس من كل ناحية ويحجب عنها رسوم الوجود ويجعلها لا ترى سوى اشباع امياها
 مرتعشة بين الصخور ولا تسمع غير صدى صراخها آتياً من خلايا الوادي »
 ومرَّ شاب يحمل قيثارة وقال منهاً « الحب شعاع سحري ينبثق من اعماق الذات
 الحساسة وينير جنباتها فترى العالم وكأنَّا سائرين في مروج خضراء والحياة حلمًا جيءَ لـ
 متتصباً بين اليقظة واليقظة »

وهرَ هَرِمٌ منحني الظهر يجر قدميه كأنها خرقان وقال مرتعشاً « الحب راحة الجسم
 في سكينة القبر وسلامة النفس في اعماق الابدية »

وهرَ طفل ابن خمس وهاتف ضاحكاً « الحب أبي والحب أمي ولا يعرف الحب
 سوى أبي وأمي »

* * *

واقضى النهار والناس يرون امام الهيكل وكلُّ يصور نفسه متكلماً عن الحب
 بما فيه معلناً سر الحياة .

ولما جاء المساء وسكنت حركة العابرين سمعت صوتاً آتياً من داخل الهيكل يقول
 « الحياة نصف نصف متجلد ونصف ملتهب فالحب هو النصف الملتهب »
 فدخلت الهيكل اذ ذاك وسجدت راكعاً مبتهلاً مصليناً هافقاً « اجعلني يا رب
 طعاماً للهيب — اجعلني أيها الاله ما كلام النار المقدسة . آمين »

قبل الانتحار

صفحة مطوية من دفاتر هفار القبور القدية

في هذه الغرفة المنفردة المهدنة قد جلست بالامس المرأة التي أحبها قلبي .
الى هذه المساند الوردية الناعمة قد اقتربت رأسها الجميل ، ومن هذه الكأب في البوذية
قد شربت جرعة من الخمر ممزوجة بقطرة من العطر .

كل ذلك قد كان بالامس والامس حلم لا يعود ، اما اليوم فقد ذهبت الهوأة التي
أحبها قلبي الى ارض بعيدة خالية مفقرة باردة تدعى بلاد الخلوة والنسيان .

ان آثار أصابع المرأة التي أحبها قلبي لم تزل ظاهرة على بلوبر صافي ، وعطراً انفاسها
ما برح متضوياً بين طيات أنوبي ، وصدى صوتها لم يضمحل بعد من زوايا منزلي —
المرأة التي أحبها قلبي — قد رحلت الى مكان قصي يدعى وادي المجر والسلوان ، اما
آثار أصابعها وعطر لهاها وأشباح روحها فستبقى في هذه الغرفة حتى صباح الغد وعند
ذلك افتح نوافذ منزلي لتدخل امواج الهواء وتجرف بياراتها كل ما تركته لي تلك
الساحرة الحسنا .

ان رسم المرأة التي أحبها قلبي لم يزل معلقاً بجانب مضجعي ، ورسائل الحب التي
بعثت بها اليَّ ما برجت في العلبة الفضية المرصعة بالقيق والمرجان وذؤابة الشعر الذهبية
التي حبني بها تذكاراً لم تخرج قط من الغلاف الحريري المبطن بالمسك والبخور — جميع
هذه الاشياء ستبقى في اماكنها حتى الصباح — وعند ما يجيء الصباح افتح نوافذ منزلي
ليدخل الهواء ويحملها الى ظلة العدم — الى حيث تقطن السكينة الخرساء .

ان المرأة التي أحبها قلبي شبيهة بالنساء اللواتي احبتهن قلوبكم أيها القتیان . هي
خليقة عجيبة صنعتها الاهمة من وداعمة الحمامات وتقلبات الافق وتيه الطاووس وشراسة
الذهب وجمال الوردة البيضاء وهو لاليلة السوداء مع قبضة من الرماد وغرفة من زبد البحر .

وقد عرفت المرأة التي أحبها قلبي أيام الطفولة فكنت أركض وراءها في الحقول
وأمسك بأذيلها في الشوارع .

وعرقتها أيام الصبا فكنت أرى خيال وجهها في وجوه الكتب والاسفار وشاهدت
خطوط قائمتها بين غيوم المساء واسمع نفحة صوتها متصاعدة مع خرير السوق .
وعرقتها أيام الرجولية فكنت أجالسها محدثاً وسألها مستفتياً واقرب منها شاكياً
ما في قلبي من الوجاع باسطاً ما في روحي من الاسرار .

كل ذلك كان بالامس والامس حلم لا يمود اما اليوم فقد ذهبت تلك المرأة الى
برض بعيدة خالية مقفرة باردة تدعى بلاد الخلو والنسيان .

* * *

اما اسم المرأة التي أحبها قلبي فهو الحياة .
فالحياة امرأة ساحرة حسناء تستهوي قلوبنا ، وتستغوي أرواحنا ، وتغمر وجداً نادينا
بالوعود ، فان أمطلت اماتت فيما الصبر وان أبرت أيقظت فيما الملل .
الحياة امرأة تستحوم بدمع عشاقها وتعطر بدماء قتلها .
الحياة امرأة ترتدي بالأيام البيضاء المبطنة بالليلي السوداء .
الحياة امرأة ترضي بالقلب البشري خليلاً وتاباه حليلاً .
الحياة امرأة عاهرة ولكنها جليلة ومن ير عورها يكره جمالها .



البنفسجة الطموحة

كانت في حديقة منفردة بنفسجة جميلة الشيايا ، طيبة العرف تعيش مقتنية في أرائها
وتحايل فرحة بين قامات الأعشاب .

في صباح ، وقد تكلمت بقطر الندى ، رفعت رأسها ونظرت حولها فرأت وردة
تطاول نحو العلاء بقامة هيفاء ورأس يتسامى متشاخماً كأنه شعلة من النار فوق مسرجة
من الرصد .

فتحت البنفسجة ثغرها الأزرق وقالت متهدة — « ما أقل حظي بين الرياحين »
وما أوضع مقامي بين الأزهار . فقد ابتدعني الطبيعة صغيرة ، حقيرة ، اعيش مانصقة
باديم الأرض ولا استطيع ان أرفع قامي نحو ازرق السماء أو أحول وجهي نحو الشمس
مثلاً تفمل الورود »

وسمعت الوردة ما قالته جارتها البنفسجة فاهتزت ضاحكة ثم قالت — « ما أغباك
بين الأزهار ، فانت في نعمة تحيلين قيمتها . فقد وهبت لك الطبيعة من الطيب والظرف
والجمال ما لم تهبه لكثير من الرياحين . خلّي عنك هذه الميول العوجاء والأمانى الشريرة
وكوني قنوعة بما قسم لك واعلمي ان من خفض جناحه يرفع قدره ، وان من طلب المزيد
وقد في النقصان » فاجابت البنفسجة قائلة

— « انت تعزبني أيتها الوردة ، لأنك حاصلة على ما ائناء ، وتعمرين حقارتي
بالحكم ، لأنك عظيمة . وما أمرت مواعظ السعداء في قلوب التحساء . وما اقسى القوي ،
اذا وقف خطياً بين الضعفاء ! »

* * *

وسمعت الطبيعة ما دار بين الوردة والبنفسجة فاهتزت مستغربة ثم رفعت صوتها قائلة
— « ماجرى لك يا ابنتي البنفسجة ؟ فقد عرفتك لطيفة بتواضعك عذبة بصغرك ،
شريرة بمسكتك ، فهل استهوةك المطامع القبيحة ، أم سلبت عقلك المظمة الفارغة ؟ »

فاجابت البنفسجة بصوت ملوוה التوسل والاستعطاف

— « أيتها الأُم العظيمة بحبر وتها ، الهاةلة بخنانها ، اضرع اليك بكل ما في قلبيه
من اليقين ، وما في روحي من الرجاء ان تجيبي طليبي وتجعليني وردة ولو يوماً واحداً »
فقالت الطبيعة — « أنت لا تدررين ما نطلبين ولا تعلمين ما وراء العظمة الظاهرة
من البلايا الخفية فإذا رفعت قامتك وابدلت صورتك وجعلت وردة تندمين حينه
لا ينفع الندم »

فقالت البنفسجة — « حولي كياني البنفسجي الى وردة مديدة الفامة ، مرفوعة
الرأس . ومها يحل بي بعد ذلك يكن صنم رغائي ومطامي »

فقالت الطبيعة — « لقد اجبت طلبك أيتها البنفسجة الجاهلة المتمردة ولكن اذا
داهتك المصائب والمصاعب فلتكن شكوكك من نفسك »

ومدت الطبيعة اصابعها الخفية السحرية ولست عروق البنفسجة فتحولت بلحظة
الى وردة زاهية متعالية فوق الازهار والرياحين .

* * *

ولما جاء عصر ذلك النهار تلبد الفضاء بغيوم سوداء مبطنة بالإعصار ثم هاجت
سواءكن الوجود فابرقـت وارعدت وأخذت تحارب تلك الحدائق والبساتين بجيش عرمـ
من الامطار والاهواـ . فكسرت الاـغصان ولوـت الانصـاب واقتـلت الازهـار المتشـاخـةـ .
ولم تـبق الاـ علىـ الـريـاحـينـ الصـغـيرـةـ الـايـ تـلـتصـقـ بـالـارـضـ اوـ تـختـبـىـ بـيـنـ الصـخـورـ .
أـماـ تـلـكـ الحـديـقةـ المـنـفـرـةـ فـقـدـ قـاسـتـ مـنـ هـيـاجـ العـناـصـرـ مـاـ لـمـ تـقـاسـهـ حـديـقةـ أـخـرىـ .
فـلـمـ تـزـعـ العـاصـفـةـ وـتـنقـشـ الغـيـومـ حـتـىـ أـصـبـحـتـ أـزـاهـرـهاـ هـباءـ مـثـورـاـ وـلـمـ يـسـلمـ مـنـهاـ بـعـدـ
تلـكـ المـعـمـعـةـ الـهـوـجـاءـ سـوـىـ طـائـفـةـ الـبـنـفـسـجـ المـخـبـثـةـ بـجـدـرـانـ الـحـديـقةـ .

* * *

ورفعت احدى صبايا البنفسج رأسها فرأـتـ ماـ حـلـ باـزـهـارـ الـحـديـقةـ وـأـشـجارـهاـ .
فـابـتـسـمـتـ فـرـحاـ ظـادـتـ رـفـيقـاتـهاـ قـائـلةـ :

— « ألا فانظرن ما فعلته العاصفة بالرياحين المتشائحة تيهًا واعجابة »
وقالت بنفسجة أخرى — « نحن نلتصق بالتراب ، ولكتنا نسلم من غضب
العواصف والأنواء »

وقالت بنفسجة ثالثة — « نحن حقيرات الأجسام غير انت الزوابع لا تستطيع
التقلب علينا . »

ونظرت اذ ذاك ملائكة طائفة البنفسج فرأى على مقربة منها الوردة التي كانت
بالامس بنفسجة وقد اقتلعها العاصفة وبعثرت أوراقها الارياح وألقتها على الأعشاب
المبللة فبانت كقتيل ارداه العدو بسهم .

فرفعت ملائكة البنفسج قائمتها ومدت أوراقها ونادت رفيقاتها قائلة — « تأملن
وانظرن يا بنائي . انظرن الى البنفسجة التي غرّها المطامع فتحولت الى وردة لتشائخ
ساعة ثم هبطت الى الحضيض . ليكن هذا المشهد امثاله لكنَّ . »

عندئذ ارتعشت الوردة المحتضرة واستجمعت قواها الخائرة وبصوت يقطع قالـت
— « ألا فاسمعن أيتها الجاهلات المتنعمات ، الخائنات من العواصف والاعصار .

لقد كنت بالامس مثلken أجلس بين أوراقي الخضراء مكتفيـة بما قسم لي ، وقد كان
الاكتفاء حاجزاً منيعاً يفصلني عن زوابع الحياة واهولتها ويجعلـي محدوداً بما فيه من
السلامة ، متنهـياً بما يساوره من الراحة والطمأنينة . ولقد كان بامكاني ان اعيش نظيرـكـنـ
ملتصقة بالتراب حتى يغمرني الشتاء بثلوـجهـ واذهبـ كـنـ ذـهـبـ قبلـ الى سـكـينةـ الموـتـ
والعدم قبلـ انـ اـعـرـفـ منـ اـسـرـارـ الـوـجـودـ وـمـخـبـآـتـ غـيرـ ماـ عـرـفـهـ طـائـفةـ الـبـنـفـسـجـ مـنـذـ وـجـدـ
الـبـنـفـسـجـ عـلـىـ سـطـحـ الـأـرـضـ . لـقـدـ كـانـ بـامـكـانـيـ الـاـنـصـرافـ عـنـ المـطـامـعـ وـالـزـهـدـ فـيـ الـأـمـورـ
ـالـيـ تـلـوـ بـطـبـيـعـتـهاـ عـنـ طـبـيـعـيـ . وـلـكـنـ اـصـفـتـ فـيـ سـكـينةـ الـلـيـلـ فـسـمـعـتـ الـعـالـمـ الـأـعـلـىـ يـقـولـ
ـهـذـاـ الـعـالـمـ « اـنـماـ القـصـدـ مـنـ الـوـجـودـ الـطـمـوـحـ إـلـىـ مـاـ وـرـاءـ الـوـجـودـ »ـ فـتـمـرـدـ نـفـسيـ عـلـىـ
ـخـفـيـ وـهـامـ وـجـدـانـيـ بـقـامـ يـمـلـوـعـنـ وـجـدـانـيـ . وـمـازـلـتـ اـتـمـرـدـ عـلـىـ ذـاـيـ وـاـشـوـقـ عـلـىـ مـاـلـيـسـ
ـلـيـ حـتـىـ اـتـلـبـ تـمـرـدـيـ إـلـىـ قـوـةـ فـعـالـةـ وـاـسـتـحـالـ شـوـقـ إـلـىـ اـرـادـةـ مـبـدـعـةـ فـطـلـبـتـ إـلـىـ طـبـيـعـةـ

— وما الطبيعة سوى مظاهر خارجية لاحلامنا الخفية — ان تحولني الى وردة ففعلت ،
وطالما غيرت الطبيعة صورها ورسومها باصابع الميل والتشويق
وسكتت الوردة هنئها ثم زادت بلهجة مفعمة بالفخر والتفوق

— اي لقد عشت ساعة كوردة . لقد عشت ساعة مملكة . لقد نظرت الى الكون
من وراء عيون الورود . سمعت همس الاثير باذان الورود . ولست ثانيا يا الدور باوراق الورود .
فهل يلتفكم من تستطيع ان تدعى شرفی ؟ «

ثم لوت عنقها ، وبصوت يكاد ان يكون لها ثناً قالت

— أنا اموت الان . أموت وفي نفسي مالم تكنه نفس بنسجة من قبلي . أموت
وانا عالمة بما وراء الحيط المحدود الذي ولدت فيه . وهذا هو القصد من الحياة . هذا هو
الجوهر الكلئي وراء عرضيات الايام والاليالي »

واطبقت الوردة اوراقها وارتعدت قليلاً ثم ماتت وعلى وجوها ابتسامة علوية
— ابتسامة من حقت الحياة امانيه — ابتسامة النصر والتغلب — ابتسامة الله



مناجاة ارواح

استيقظي يا حبيبي ! استيقظي لأن روحى تناذلك من وراء الابحار ال�ائلة ، ~~ومنسي~~
 تَمَدْ جنحها نحوك فوق الامواج المزبدة الفضوية . استيقظي ، فقد سكتت الحركة واوقفت
 المدوده ضجة سبابك الخليل ووقع أقدام العابرين وعائق النوم أرواح البشر ، فبقيت
 وحدى مستيقظاً ، لأن الشوق يتشلّنى كـما أغرقني النعاس ، والمحبة تدبّنى اليك ~~عند~~
 ما تقصيني المواجه ، قد تركت مضحجي يا حبيبي خوفاً من خيالات السلو المختبئه بين
 طيات اللحف ورميتك بالكتاب ، لأن تأوهى قد أباد السطور من صفحاته ، فاصبحت
 خالية يضاء أمام عيني ، استيقظي ! استيقظي يا حبيبي واسمعني .

— ها أنت يا حبيبي قد سمعت نداءك من وراء الابحار وشعرت بلامس جناحك ،
 غاتبها وتركك مخدعي وسرت على الاعشاب ، فتبلاط قدماي واطراف ثوبى من ندى
 لليل ، ها أنا واقفة تحت أغصان اللوز المزهرة أسمع نداء نفسك يا حبيبي !

— تكلم يا حبيبي ! ودعني أنفاسك تسيل مع الهواء القادم نحوى من أودية لبنان .
 تكلم ، فلا سامع غيري ، لأن الظلمة قد دحرت جميع المخلوقات الى أوكرارها ، والنعاس
 أسكر سكان المدينة وبقيت وحدى صاحبأ

* * *

— قد نسجت السماء نقاباً من أشعة القمر وألقته على جسد لبنان يا حبيبي !
 — قد حاكت السماء من ظلمة الليل رداء كثيفاً مبطناً بدخان المعامل وأنفاس
 الظل وسترت به أضلع المدينة يا حبيبي !

* * *

— قد رقد سكان القرى في أكواخهم القائمة بين أشجار الجوز والصفصاف
 وتساقط نفوسهم نحو مراح الاحلام يا حبيبي !

— قد أنارت اجمال الذهب قمامات البشر ، وأوهرت عقبات المطامع ركبهم ،

وأشئت المتابع أجفانهم ، فارتوا على الفرش وأشباح الخوف والقنوط تعذب قلوبهم
يا حبيبي !

* *

— فد سرت في الاودية خيالات الأجيال الغابرة ، وحامت على الروابي أرواح
الملوك والأنبياء ، فانثفت فكري نحو مسارح الذكرى وأرتي عظام الكلدانين وفخامة
الأشوريين ونبالة العرب

— قد سرت في الازقة أرواح الأصوص القائمة ، وظهرت من بين شقوق المواجهة
رؤوس أفاعي الشهوات ، وجرت في منعطفات الشوارع أنفاس الامراض ممزوجة بلهاث
الميايا ، فازاحت الذكرى ستائر النسيان وأرتي مكاره صادوم وآلام عاموره

* *

— قد تمايلت الأغصان يا حبيبي وتحالف حفيتها مع خير ساقية الوادي ورددت
على مسامعي نشيد سليمان ورنات قيثارة داود وأغاني الموصل

— قد ارتعشت نفوس أطفال الحي ، وأقلقهم الجموع ، وتسارعت تهدات الامهات
لتضطجعات على اسرة الهم واليأس ، وراعت أحلام العوز قلوب الرجال المعددين ،
فسمعت نواحاً مراً وزفيرًا متقطعاً يملأ الضلوع ندبها ورثاء

* *

— قد فاحت روانح النرجس والزنبق وعانت عطر الياسمين والبيلسان ثم تمازجت
بانفاس الارض الطيبة وسرت مع تمويجات النسيم فوق الطول المتسبعة والمرات المتلوية
فلأفات النفس انطافاً ومنحتها حنيناً الى الطيران

— قد تصاعدت روانح الازقة الكريهة واختمرت بجرائم العدل ، ومثل أسمهم
حقيقة خافية قد خدشت الحس وسمت الهواء

* *

— ها قد جاء الصباح يا حبيبي ودافت أصابع اليقظة أجفان النیام وفاضت الاشعة البنفسجية من وراء الجبل وأزالت غشاء الليل عن عزم الحياة وبمحدها ، فاستفاق القرى المتکثة بهدوء وسکينة على كتفي الوادي وترنم أجراس الكنائس وملائكة الآثير . فداءً مستحباً معلنة بده صلاة الصباح ، فأرجعت الكهوف صدى وينتها كان الطبيعية بأسرها قامت مصلية ، وقد غادرت العجلول مراقبتها وترك قطعان الفنم والماعز حظائرها واثنت نحو الخقول ترتعي رؤوس الأعشاب المتلمعة بقطر الندى ومشي امامها الريعة ينفحون الشيايات ووراءها الصيايا المتأهلات مع العصافير بقدوم الصباح

— قد جاء الصباح يا حبيبي وانبسطت فوق المنازل المکردة أكف النهار . الثقلة ، فازبحت المستائر عن النوافذ واقتصرت مصاريع الابواب ، فبانت الوجوه الكلحة والعيون المعروكة ، وذهب النساء الى المعامل وداخل أجسادهم يقطن الموت في جوار الحياة ، وعلى ملامحهم المنقبضة قد بان ظل القنوط والخوف ، كأنهم منقادون قهراً الى عراك هائل هرث . ها قد غصت الشوارع بالمسرعين الطامعين وامتلا الفضاء من قلقلة الحديد ودوي الدواليب وعویل البخار وأصبحت المدينة ساحة قتال يصرع فيها القويُّ الضعيف ويستأثر الغني المظلوم بأتعب الفقير المسكين

* * *

— ما أجمل الحياة هنا يا حبيبي ، فهي مثل قلب الشاعر الملاوه نوراً ورقة
— ما أقسى الحياة هنا يا حبيبي ، فهي مثل قلب المجرم المفعم بالإثم والمخاوف



لیلی میرانه

محنون لیلی

أيتها الأرض

ما أجملك أيتها الأرض وما أبهاك .
 ما ألم امثالك للنور وابل خضوعك للشمس .
 ما اظرفك متشحة بالظل وما املح وجهك مقنعاً بالدجى .
 ما اعذب أغاني فجرك وما اهول هايل مسائك .
 ما أكلك أيتها الأرض وما أسنانك .

لقد سرت في سهولك ، وصعدت على جبالك ، وهبطت الى اوديتك ، وتسلقت
 صخورك ، ودخلت كهوك ، فعرفت حلمك في السهل ، وانفتحت على الجبل ، وهدوءك
 في الوادي ، وعزمك في الصخر ، وتكلمت في الكهف ، فانت انت المنبسطة بقوها ،
 المتعالية بتواضعها ، المنخفضة بعلوها ، اللينة بصلابتها ، الواضحة باسرارها ومكانتها .
 لقد ركبت بحارك ، وخضت انهارك ، وتبعك جداولك ، فسمعت الابدية تتكلم
 بعمرك وجزرك ، والدهور تنرم بين هضابك وحزونك ، والحياة تناجي الحياة في شبك
 ومنحدراتك ، فانت انت لسان الابدية وشفاهها ، واوتار الدهور واصبعها ، وفكرة
 الحياة ويلاتها .

لقد يقظني ريعك وسيبني الى غاباتك حيث تصاعد اتفاسك بخوراً ، واجلسني
 صيفك في حقولك حيث يتوجهر اجهادك انماراً ، وأوقفني خريفك في كرومك حيث
 يسيل دمك خمراً ، وقدني شتاوكم الى مضجعك حيث يتناثر طهرك ثمجاً ، فانت انت
 العطرة بربعها ، الجودة بصيفها ، الفياضة بخريفها ، النقيمة بشتلتها .

في الليلة الصافية قد فتحت نوافذ نفسي وابوابها وخرجت اليك متلاً بمطامعي
 مكلاً بقيود انانثي ، فالفيتك شاخصة بالكواكب وهي تنسئ لك ، ففرزعتني قيودي
 واقالي وعلمت ان منزل النفس فضاوك ، ورغائبها في رغائبك ، وسلمتها في سلامتك ،
 وسعادتها في الغبار الذهبي الذي تنشره النجوم على جسدك .

في الليلة المبطنة بالغيم ، وقد ملت غفلتي وجمودي ، خرجت اليك فوجدتك

جيارة هائلة مسلحة بالعاصفة ، تحار بين ماضيك بحاضرك ، وتصرعن قدسك بجديسك ،
وبغيرين ضئيلك بضليعك ، فلمنت ان نظام البشر نظامك ، وناموسهم ناموسك ،
وستهم سنتك ، وان من لا يهصر بارياحه مايس من اغصانه يوم ملا ، ومن لا يعزق
بثوراته ما بلي من اوراقه يفني خولاً ، ومن لا يكفن بنسيان ما مات من ماضيه كان
هو كفناً لما في الماضي .

* * *

ما اكر مك أيها الارض وما اطول افتك .

ما اشد حنانك على ابناءك المنصرفين عن حقيقتهم الى اوهامهم ، الضائعين بين
ما بلغوا اليه وما قصروا عنه .

نحن نضج وانت تضحكين .

نحن نذهب وانت تكفرین .

نحن نجذف وانت تباركين .

نحن نتجس وانت تقدسين .

نحن نهجم ولا نحالم وانت تحالمين في سهرك السرمدي ،

نحن نكلم صدرك بالسيوف والرماح وانت تغيرين كاومنا بازيت والبلسم .

نحن نزرع راحنك العظام والجاجم وانت تستبيهنا حوراً وصفصافاً .

نحن نستودعك الحيف وانت تلأبن بيادربنا بالاغمار وعاصرنا بالعنavid .

نحن نصبغ وجهك بالدم وانت تفسلين وجوهنا بالکور .

نحن نتناول عناصرك لنصنع منها المدافع والقذائف وانت تتناولين عناصرنا وتكتونين
منها الورود والزنابق .

ما اسع صبرك ايها الارض وما اكثر انعطافك .

ما انت ايها الارض ومن انت ؟

اذرة من الغبار تصاعدت من بين قدمي الله عند ما سار من مشارق الا كوان الى
خبارها ، أم شرارة قذفت من موقد اللامهية .

أنواع طرحت في حقل الائير لتشق قشرها
بغم لبابها وتعالى نصبه ربانيةً إلى
ما فوق الائير؟

أقطرة من الدم في عروق جبار الجباره ، أم أنت قطرة من العرق على جبينه ؟
أثمرة تلوجهها الشمس يبطء ؟ أثمرة أنت في شجرة المعرفة الكلية التي تمد عروقه
لي أعماق الأزل وترفع غصونها إلى أعماق الأبد ؟ أم جوهرة أنت وضعها إله الزمن
في حفنة الآلة المسافة ؟

أطفاله أنت في حضن الفضاء ؟ أم عجوز ترقب الأيام والليالي وقد شبعت من
حكمة الليالي والأيام ؟

ما أنت أيتها الأرض ومن أنت ؟
أنت أنا أيتها الأرض ! أنت بصري وبصيري ، أنت عاقلي وخيلي وأحلامي ،
أنت جوعي وعطشى ، أنت ملي وسروري ، أنت غافلي وانتباхи .
أنت الجمال في عيني . والشوق في قلبي ، والخلود في روحي .
أنك أنا أيتها الأرض فلولم أكن لما كنت .



المخدرات والمتنازع

« هو متطرف بمبادئه حتى الجنون »

« هو خيالي يكتب لينسد أخلاق الناشئة »

« لو اتبع الرجال والنساء المتزوجون وغير المتزوجين آراء جبران في الزواج لتقوضت ركائز العائلة وانهدمت مباني الجامعة البشرية وأصبح هذا العالم جحيناً وسكانه شياطين »

« قهراً عما لاسلوبه الكتابي من الجمال فهو من أعداء الانسانية »

« هو فوضوي كافر ملحد ومحن نصيح لسكان هذا الحيل المبارك بان ينبذوا تعاليمه ويحرقوا مؤلفاته لئلا يفلق منها شيء على تقوسيهم »

« قد قرأنا له الاجنحة المتكسرة فوجدناها السُّم في الدسم »

* * *

هذا بعض ما يقوله الناس عني وهم مصيرون ، فانا متطرف حتى الجنون ، أميل الى الهدم ميل الى البناء ، وفي قلبي كره لما يقدسه الناس وحب لما يأبونه ، ولو كان بإمكانى استئصال عوائد البشر وعقادتهم وتقاليدهم لما ترددت دقيقة . اما قول بعضهم ان كتاباتي « سُم في دسم » فكلام يبين الحقيقة من وراء ثواب كثيف — فالحقيقة العارية هي اني لا امزج « السُّم » بالدسم بل أسكبه صرفاً . غير اني أسكبه في كؤوس نظيفة شفافة اما الذين يعتذرون عني أمام تقوسيهم قائلين « هو خيالي يسبح صرفاً بين الغيوم » فهم الذين يحدقون بلمعان تلك الكؤوس الشفافة من صرفين عما في داخلها من الشراب الذي يدعونه « سماً » لأن معدهم الضعيفة لا تهضممه

قد تدل هذه التوطئة على الوقاحة الخشنة ، ولكن أليست الوقاحة بخشونتها أفضل من الخباثة بنعومتها ؟ ان الوقاحة تظهر نفسها بنفسها اما الخباثة فترتدي بملابس فصلت لغيرها

* * *

يطلب الشرقيون من السكّاب ان يكون كالنحلات التي تطوف سرفقة في المقول
جامعة حلاوة الازهار لتصنع منها اقراصاً من العسل
ان الشرقيين يحبون العسل ولا يستطيعون سواه ما كلاماً وقد افروطا بالتهامه حتى
تحولت نقوسهم الى عسل تسيل امام النار ولا تتجمد الا اذا وضعت على الثلوج *
ويطلب الشرقيون من الشاعر أن يحرق نفسه بخوراً أمام سلاطينهم وحكامهم
وبطاركتهم . وقد قابل فضاء الشرق بغيره البخور المتضاد من جوانب العروش والمذايا
والمقابر ولكنهم لا يكتفون . ففي أيامنا هذه مداحون يضارعون النبي ، وراثون
يضا هون الخنساء ، ومهنئون أكثر طلاوة من صفي الدين الحلي
ويطلب الشرقيون من العالم أن يبحث في تاريخ آباءهم وجذورهم ، متعمقاً بدرس
آثارهم وعوائدهم وتقاليدهم صارفاً أيامه ولياليه بين مطولات لغاتهم واشتقاقات الفاظهم
ومeanes وبيانهم وبديعهم
ويطلب الشرقيون من المفكّر أن يعيد على مسامعهم ما قاله ييدبا وابن رشد وافرام
السرياني ويوحنا الدمشقي وأن لا يتعدى بكتاباته حدود الوعظ البليد والارشاد السقيم
وما يجيء بينها من الحكم والآيات التي اذا ما تمثّل عليها انفرد كانت حياته كالاعشاب
الضئيلة التي تنبت في الغلال ونفسه كلما . الفاتر المزوج بقليل من الافيون
وبالاختصار فالشرقيون يعيشون في مسارح الماضي القابر ويميلون الى الامور السلبية
المسلية المفكرة ويكرهون المبادىء والتعاليم الایجابية المجردة التي تذهبهم وتقبرهم من
رقادهم العميق المعمور بالاحلام المهدأة

* * *

انما الشرق صريض قد تناوبته العمل وتداوته الاوبئة حتى تعود السقم والفن الام
وأصبح ينظر الى أوصابه وأوجاعه كصفات طبيعية بل كخلال حسنة ترافق الارواح النبيلة
والاجساد الصحيحة فن كان خالياً منها عد ناقصاً محروماً الموهوب والكلالات العلوية
وأنطهاء الشرق كثيرون يلazمون مضجعه ويتآمرون في شأنه ولكنهم لا يداوونه
بعير المخدرات الوقتية التي تطيل زمن العلة ولا تبرئها

أما تلك المخدرات المعنوية فكثيرة الأنواع متعددة الأشكال متباعدة الألوان . وقد تولد بعضها من بعض مثلما تناشت الأمراض والمعاهدات بعضها عن بعض . وكلما ظهر في الشرق سرطان جديد يكتشف له أطباء الشرق مخدراً جديداً هواماً الاسباب الذي آتى إلى وجود المخدرات فعديدة أهمها استسلام العليل إلى فلسفة القضاء والقدر المشبورة ، وجيانة الأطباء وخوفهم من تهيج الألم الذي تحدوه الأدوية الناجحة

والإليك أمثلة من تلك المخدرات والمسكنات التي يتخذها الأطباء الشرقيون لمعالجة الأمراض العائمة والوطنية والدينية :

ينفر الرجل من زوجته والمرأة من بعلها لأسباب وضعية حيوية فيتخاصلان ويتضاربان ويتباعدان ولكن لا يزد يوم وليلة حتى يجتمع أهل الرجل أهل زوجته فيتبادلا الآراء المزخرفة والآفكار المرصعة ثم يتلقوا على تحدّي السلام بين الزوجين فيأتون بالمرأة ويستهون عواطفها بالمواعظ الملقة التي تخجلها ولا تقنعها ثم يستدعون الرجل ويفمرون رأسه بالأقوال والأمثال المزركشة التي تلين أفكاره ولا تغيرها . وهكذا يتم الصلح — الصلح الولي — بين الزوجين المتنافرين بالروح فيعودا قهراً عن ارادتهما إلى السكينة تحت سقف واحد حتى « يوخ » الطلاء ويزول تأثير المخدر الذي استخدماه الأهل والأنسباء فيعود الرجل إلى اظهار نفوره ومقته والمرأة إلى إزالة النقاب عن تعاستها . غير أن الذين أوجدوا الصلح في المرة الأولى يوجدونه ثانية ومن يرشف جرعة من المخدرات لا يأبى شرب كأس دهاق

يتمرد قوم على حكومة جائرة او على نظام قدّم فيلوفون « جمعية اصلاحية » ترمي إلى التهوض والانتقام فيخطبون بشجاعة ويكتبون بمحاسة وينشرون « الواضح والبرامع » وييمثون « الوفود والممثلين » ولكن لا يمر شهراً أو شهراً حتى نسمع ان الحكومة قد سجنـت رئيس الجمعية أو عهدـت اليـه بـوظـيفة . أما « الجمعـية الـاصـلاحـية » فلا نـعـود نـسـعـ عنـها شـيـئـاً لأنـ أـفـرـادـهـاـ قدـ تـجـرـعواـ قـلـيلـاًـ مـنـ المـخـدـراتـ المـعـهـودـةـ وـعـادـوـاـ إـلـىـ السـكـيـنـةـ والـاسـتـسـلامـ

تمرد طائفة على رئيس دينها: لأمور أولية فتنتقد شخصه وتذكر أفعاله وتبرم من
ما آتاه ثم تهدده باعتناقها مذهبًا آخر أقرب إلى العقل وأبعد عن الاوهام والخرافات .
ولكن لا يمر روح من الزمن حتى نسمع بأن عقلاً البلاد قد ازلاوا الخلاف بين الراعي
ورعيته وأرجعوا بفضل المخدرات السحرية المحبة إلى شخص الرئيس والطاعة العميماء
إلى نفوس المرؤوسين العقوقين !

يتظلم مغلوب ضعيف من ظالم قوي فيقول له جاره « اسكت فالعين التي تعاذد
السهم تفقر »

يشك القروي بتقى الرهبان واخلاصهم فيقول له زميله « اصمت فقد جاء في
الكتاب اسمعوا أقوالهم ولا تفعلوا أفعالهم »

يعرض التلميذ عن استظهاره بباحث البصرىين والковيين اللغوية فيقول له استاذه
« أن الكسالى المتوانين يختلقون لنفسهم أغذاراً أقبح من الذنب »

تتعذر الصبية عن اتباع عوائد العجائز فتقول لها والدتها « ليست الابنة أفضل من
أمهَا فالطريق التي سلكتها سلَكْنِهَا أنت أيضًا

يسأل الشاب مستفسرًا معاني الزوابع الدينية فيقول له الكاهن « من لا ينظر بعين
الإيمان لا يرى في هذا العالم سوى الضباب والدخان »

وهكذا تمر الأيام أثغر الليالي والشريقي مُضجع على فراشه الناعم ، يستيقظ دقيقة
عند ما تلمسه البراغيث ثم يعود ويهرج جيلاً بحكم المخدرات التي تمازج دمه وتسير
في عروقه . فإذا ما قام رجل وصرخ بالنائين وملاً منازلهم ومعابدهم ومحاكهم بالضجيج
يفتحون أجفانهم المطبقة بالنعاس الابدي ثم يقولون متاثرين « ما أخشنه فتى لainam
ولا يدع الناس ينامون » ثم يغمضون عيونهم ويهمسون في آذان أرواحهم
« هو كافر ملحد يفسد أخلاق الناشئة ويهدم مباني الأجيال ويرشق الإنسانية
بالسهام السامة »

قد سألت نفسي مرات ما اذا كنت من المستيقظين المتمردين الذين يأبون شرب المخدرات والمسكنات ، فكانت نفسي تجنيني بكلمات مبهمة ملتبسة ، ولكنني لما سمعت الناس يجتمعون على اسمي ويتناقشون من مبادئي اقتنت بحقيقة يقظتي وعلمت انني لست من المنتسبين الى الاحلام اللذيدة والخيالات المستحبة بل من أولئك المستوحدين الذين قسوا لهم الحياة على سبل ضيقة مفروضة بالاشوك والازهار محفوفة بالذئاب الخاطفة وبالبلاد المترنة

ولو كانت اليقظة فضيلة لمعنى الاحتشام عن ادعائنا ولكنها ليست بفضيلة بل حقيقة غريبة تظهر على حين غفلة للافراد المستوحدين وتسير امامهم فيتبعونها اقسى رادتهم مجذوبين باسلالها الخفية محدقين بمعانها الميبة وعندى ان الاحتشام في اظهار الحقائق الشخصية هو نوع من الرياء الايض المعروف عند الشرقيين باسم التهذيب

* * *

غداً يقرأ « الادباء المفكرون » ما تقدم فيقولون متضجعين « هو متطرف ينظر الى الحياة من الوجهة المظلمة فلا يرى غير الظلم وقد طالما وقف فيما نادباً نائحاً باسكيناً علينا متأوهًا حاناً »

فلهؤلاء الادباء المفكرين أقول — أنا اندب الشرق لان الرقص امام نعش لميت جنون مطبق

انا ابكي على الشرقيين لان الضحك على الامراض جهل مرکب
أنا انوح على تلك البلاد المحبوبة لان الغناء أمام المصيبة العمياء غباؤه عبياء
أنا متطرف لان من يعتدل باظهار الحق يبين نصف الحق وييفي نصفه الآخر
محجوياً وراء خوفه من ظنون الناس وقولاتهم

أنا أرى الحيفة المتنفسة فتشعرني قسي وتضطرب احشائي ولا استطيع ان اجلس
قبالها وفي يديني كأس من الشراب وفي شمالي قطعة من الحلوي

فان كان هناك من يريد ان يبدل نوحى بالضحك ويتحول اشمئزازي الى الانطافه
وتطرفى الى الاعتدال فعما يرى انه انتقام من الشرقيين حاكماً عادلاً ومتشارعاً مستقلاً
ورئيس دين يعمل بما يعلم وزوجاً ينظر الى امرأته بامرين التي يرى بها نفسه
ان كان هناك من يريد ان يشاهدني راقصاً ويسمعني مطبلأً ومنمراً فعليه ان
يدعوني الى بيت العريس لا ان يوقفني بين المقابر



لـ جبرانه هليل جبرانه

ابو العلاء المعري

البحر الاعظم

بالامس -- وما أبعد الامس وما أقربه -- ذهبت ونفسي الى البحر الاعظم
لنفس بعائمه ما علق بنا من غبار الارض واحمالها .

ولما بلقنا الشاطئ طفقنا نبحث عن مكان خالٍ يحجبنا عن العيون .
ويينا نحن سائران التفتنا فاذا ب الرجل جالس على صخرة غبراء وفي يده كيس يأخذ
منه الملح قبضة بعد قبضة ويطرحها الى البحر .

فقالت لي نفسي -- « هوذا المتشائم الذي لا يرى من الحياة سوى ظلمها . وليس
المتشائم بخليق ان يرى جسدينا العاريين . فلنن قادر هذا المكان اذ لا سبيل الى الاستحمام
ه هنا . »

فتركتنا ذلك المكان وتابعنا المسير حتى وصلنا الى خور في الشاطئ . فاذا ب الرجل
واقف على صخرة بيضاء وفي يده صندوق مرصعة بالجواهر وهو يتناول منها قطعاً من
السكر ويرمي بها في البحر .

فقالت لي نفسي -- « وهذا هو المتفائل الذي يستبشر بما لا يشرفه . وحدراً
من المتفائلين ان يروا جسدينا العاريين » . فعدنا نواصل المسير حتى عثنا على رجل
واقف بقرب الشاطئ يلتقط الاسماك الميتة ويعيدها بخنو الى البحر .

فقالت لي نفسي -- « وهذا هو الشفوق الذي يحاول ارجاع الحياة لمن في القبور .
فلابتعد عنه . »

ثم انتهينا الى حيث رأينا رجلاً يرسم خياله على الرمال فتجيء الامواج وتحوم مارسمه
وهو يتبع عمله المرة بعد الأخرى .

فقالت لي نفسي -- « هوذا المتصوف الذي يقيم في اوهامه صنعاً ليعبده . فلنندعه
وشأنه . »

ومشينا الى ان تبصرنا في خايج هادىء رجلاً يكشف الزبد عن سطح الماء ويفعل
في آناء من العقيق .

فقالت لي نفسي — « هوزا الخجالي الذي يحوك من خيوط العنبوت رداءً ليبلسه .
وهو ليس بجدير أن يرى جسدينا عاريين »
فتابعنا المسير . وإذا بنا نسمع صوتاً هائماً — « هوزا البحر العميق . هو في البحر
اللهايل العظيم »
فحثنا عن مصدر الصوت فرأينا رجلاً واقفاً مديراً ظوره إلى البحر وقد وضع صدفة
على أذنه وهو يصفي إلى دمدمتها .
فقالت لي نفسي — « سر بنا . فهذا هو الدهري الذي يدير ظهره إلى كليات
اللهايل الاحاطة بها ويشغل ذاته بجزئيات تستميل كاليته . »
فسرنا إلى أن رأينا في معشبة رجلاً بين الصخور وقد دفن رأسه في الرمال .
فقللت لنفسي — « هلمي يانفس نستحم هنا . فهذا الرجل لا يستطيع أن يصرنا . »
فهزت نفسي رأسها قائلة —
« لا والفل لا . ان من تراه هو شر الناس اجمعهم . هو الباقي الذي يحجب
نفسه عن مأساة الحياة فتحجب الحياة مسراتها عن نفسه . »
حيث ظهر على وجه نفسي حزن عميق . وبصوت تقطعه المراارة قالت — « لذهبنَ
من هذه الشواطئ . فليس هنا مكان خفي محجوب نستطيع ان نستحم به . وأنا لن
تُرضي أن اسرح غداً في الذهيبة في هذه الريح ، أو ان اكشف صدرى البعض امام هذا
الفضاء ، أو أن أتجبرد واقف عارية امام هذا النور . »
ففادرت ونفسي ذلك البحر العظيم . وسرنا ننشد البحر العظيم .

النملات الثلاث

ثلاث نملات اجتمعن على أنف رجل نائم في الشمس . وبعد أن حيت كل واحدة رفيقها بتحية قومها المألوفة وقفن هنالك يتحدثن

فقالت النملة الأولى — « ما أفتر هذه التلال والأودية فاني لم أر لها مثيلاً في القحط والجدب . لقد بحثت النهار بطوله عن حبة من الحنطة فلم أظفر بشيء . قط . »

فقالت النملة الثانية — « أنا مثالك لم أجد شيئاً مع اني فتشت كل الزوايا والشعاب .

فهل ، يا ترى ، نحن واقفات الآن في البقعة التي يدعوها قومي بالارض اللينة المتحركة حيث لا ينبت شيء البتة ؟ »

فرفعت اذ ذاك النملة الثالثة رأسها قائلة — « ألا فاسمعا ، يا صديقي . نحن الآن واقفات على أنف النملة العظمى ، النملة الرهيبة غير المتناهية ، النملة التي تعاظم جسمها حتى لم يعد بامكاننا أن نراها ، وامتد ظلها حتى أصبحنا لا نستطيع تحديده ، وتعالى صوتها حتى عجزنا عن سماعه . وهي ازليه تلا الأرجاء بكيانها .

فلما انتهت النملة الثالثة من كلامها تبادلت رفيقتها النظارات ثم ضحكتا استهزاء بها .

في تلك الدقيقة تحرك الرجل في نومه . ثم رفع يده وحث أنفه فسحق النملات الثلاث .

الكلب الحكيم

سرّ كلب حكيم ذات يوم بجماعة من الهردة . وعند ما اقترب منهم ورأى انهم يحفروا به وقف هنالك مستغرباً .

واذا به كبرٌ كبيرٌ عليه امائر الهيبة والوقار وقف في وسطهم وقال رافعاً عينيه نحو السماء —

« أيها الاخوة المؤمنون ، الحق أقول لكم انكم اذا صلیتم بحرارة وایمان مبنیه على
بستجاب دعائكم وتطركم السماء فهذا . »

فَلَمَا سَمِعَ السَّكَلُ هَذَا الْكَلَامَ ضَحَّى فِي قَلْبِهِ وَتَحَوَّلَ عَنِ الْجَمَاعَةِ قَائِلاً فِي نَفْسِهِ —
« مَا أَغْبَى هَؤُلَاءِ النَّطَطُ ، وَمَا أَعْنَى بِصَائِرِهِمْ ! أَلَمْ يَجِدُوا فِي الْكِتَابِ ، بِلْ أَلَمْ أَعْرَفْ
كَمَا عَرَفَ آبَائِي وَأَجَدَادِي مِنْ قَبْلِي أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا صَلَوُا وَتَضَرَّعُوا فَالسَّمَاءُ لَا تَمْطَرُهُمْ فَثَرَانًا
بِلْ تَمْطَرُهُمْ عَظَامًا ». —

في سهنة مل نسكن قط في التاريخ

... في تلك الدقيقة ظهرت من وراء اشجار الصفاصاف صبية تجر اذيلها على الاعشاب ووقفت بجانب الفتى النائم ووضعت يدها الحريرية على رأسه فنظر اليها نظرة نائم أيقظه شعاع الشمس . فرأى ابنة الأمير واقفة حذاءه خبشاً على ركبتيه مثالمافعل موسى عند ما رأى المليقة مشتعلة ولما أراد الكلام أرتجع عليه فنابت عيناه الطافتان بالدموع عن لسانه ثم عادته الصبية وقبلت شفتيه ، وقبلت عينيه راشفة المدامع السخينة وقالت بصوت أطفف من نفمة الناي

— « قد رأيتاك يا حبيبي في أحلامي ونظرت وجهك في وحدتي وانقطاعي فانت رفيق نفسي الذي فقدته ونصفي الجليل الذي انفصلت عنه عند ما حكم علي بالمجيء الى هذا العام . قد جئت سراً يا حبيبي لالتقى بك وها أنت الآن بين ذراعي فلا تجزع ؟ قد تركت بحمد والدي لاتبعك الى اقصى الارض وأشرب معك كأس الحياة والموت .

قم يا حبيبي فنذهب الى البرية البعيدة عن الانسان »

ومشي الحبيبات بين الأشجار تخفيهما ستائر الليل ولا يخيفها بطش الأمير
ولا أشباه الظلمة .

الجبايرة

ليس من يكتب بالخبر كمن يكتب بدم القلب
 وليس السكوت الذي يحدنه المال كالسكوت الذي يوجده الالم
 أما أنا فقد سكت لأن آدان العالم قد انصرفت عن همس الضعفاء وأينهم إلى عویل
 لهاوية وضجتها ، ومن الحكمة ان يسكت الضعيف عند ما تتكلم القوى الكامنة في
 ضمير الوحد — تلك القوى التي لا ترضى بغير المدافن ألسنةً ولا تنفع بسوى القنابل الفاظاً
 نحن الآن في زمن أصغر صغاره أكبر من كبار ماتقدمه . فلامور التي كانت تشغله
 فكارنا وأميالنا وعواطفنا قد انزوت في الظل . والمسائل والمشاكل التي كانت تتلاعب
 بارائنا وبمبادئنا قد توارت وراء نقاب من الاهمال . أما الاحلام المستحبة والاشباح الجميلة
 التي كانت تعيش متنقلة على مسارح وجداننا فقد تبدلت كالضباب وحل محلها جبارة
 قسيرو كالعواصف ، وتمايل كابحار ، وتتنفس كالبراكين

وما عسى أن يصير إليه العالم بعد أن تتهي الجبايرة من صراعها ؟

هل يعود القروي إلى حقله فيلقي البذور حيث زرع الموت جاجم القتل ؟
 هل يقود الراعي مواشيه إلى صروج منقط أديها السيف ويوردها مناهمل ينزح
 مأواها بنجيع الدماء ؟

هل يركع العابد في هيكل رقصت فيه الشياطين ، ويردد الشاعر قصائدہ أمام
 كواكب حجيت بالدخان ، وينغم المنشد أغانيه في ليل عانقت سکینته الاھوال ؟
 هل تجلس الأم بجانب سرير رضيعها مرثلة بالهدوء أغاني النوم وهي لا ترتجف
 وجلاً مما سيجلبه الغد ؟

وهل يلتقي الحبيب بحباته ويتبادل انتقامات القبل حيث التقى العدو بمدوه وتبادل
 القذائف ؟

وهل يعود نيسان إلى الأرض ويستر بقميصه اعضاءها المقاومة ؟

ليت شعري ! هل يعود نيسان الى المقول ؟
وماذا عسى تصير اليه بلادكم وبلاادي ، وأي من الحبارة يضع يده على تلك التلال
والمضبات التي ابنتنا وسيرتنا رجالاً ونساء امام وجه الشمس ؟
وهل يطلع الفجر فوق قم لبنان ؟
كما خلوت بنفسي أطرح عليها هذه السؤالات غير ان النفس كالفضاء تبصر ولا
تتكلم ، وتسير ولكنها لا تلتفت ، فهي ذات عيون تتجلى واقدام تتسارع ، أما
لسانيها فتفيل

ومن منكم أيها الناس لم يسأل نفسه في كل يوم ولية عن مصدر الارض وسكنها
بعد ان تختهر الحبارة من دموع الارامل والآيتام ،
أنا من القاتلين بسنة النشوء والارقاء ، وفي عرفي ان هذه السنة تناول بفاعيلها
الكيانات المعنوية بتناولها الكائنات المحسوسة ، فتنقل بالاديان والحكومات من الحسن
إلى الاحسن اتقاها بالمخوقات كافة من المناسب إلى الانسب . فلا رجوع إلى الوراء الا
في الظاهر ولا لخطاط إلا في السطحي

ولسنة الارقاء سبل متشعبة يتفرع بعضها من بعض ولكنها متلازمة الاصول ،
ومظاهر قاسية ظالمة مظلمة تذكرها الأفكار المحدودة وتتمرد عليها القلوب الضعيفة ،
أما خفاياها فعادلة منيرة ، متمسكة بحق اسمى من حقوق الأفراد مدققة بفرد أعلى
من سر ام الجماعة . صاغية إلى صوت يغمر بهوله وعذوبته تهدات المسكوبين وغضات
المتوجعين

حولي بكل مكان اقزام برون عن بعد اشباح الحبارة متناضلين ويسمعون في
النلام صدى تهاليلهم فيضجون كالضفادع قاتلين : لقد رجع العالم إلى فطرته الوضعيه
فا بتنه الاجيال بالعلم والفن قد هدمه الانسان الوحشي بالطعم والامانة . فخانا اليوم
حال سكان الكهوف ولا يميزنا عنهم سوى آلات بنتدعها للدمار وحيل نستخدمها للهلاك
هذا ما يقوله هؤلاء الذين يقيسون ضمير العالم بمقاييس ضمائهم ويحللون مراد

الوجود بالفكرة القصيرة التي يستخدمونها لحفظ وجودهم الفردي . فـكأن الشمس لم تكن الا لتدفهم ، فـكأن البحر لم يوجد الا لفسل أرجلهم

* * *

من أحشاء الحياة ، ومن وراء المـئـيات ، من اعماق الـكون المـدـير حيث تصـانـتـ سـرـائرـ الـكونـ المـدـيرـ قدـ اـبـثـقـ الـحـيـاـبـرـةـ كـالـرـجـعـ وـتـصـادـعـواـ كـالـفـيـوـمـ ثـمـ تـلـاقـواـ كـالـحـيـاـلـ وـهـمـ الـآنـ يـتـصـارـعـونـ لـيـحـلـوـاـ مـشـكـلـةـ فـيـ الـأـرـضـ لـاـ يـحلـهـاـ غـيرـ الـصـرـاعـ

أـمـاـ الـبـشـرـ وـكـلـ مـاـ فـيـ رـؤـوسـهـمـ مـنـ الـمـدـارـكـ وـالـمـارـافـ ، وـمـاـ فـيـ قـلـوبـهـمـ مـنـ الـحـبـةـ

وـالـبـغـضـاءـ ، وـمـاـ يـعـانـقـ نـفـوسـهـمـ مـنـ الصـبـرـ وـالـجـزـعـ وـالـأـوـجـاعـ فـآـلـاتـ يـتـنـاـوـلـهـاـ الـحـيـاـبـرـ

وـيـدـيـرـونـهـاـ تـوـصـلـاـ إـلـىـ غـايـةـ عـلـوـيـةـ لـاـ بـدـ مـنـ بـلـوغـهـاـ

أـمـاـ الدـمـاءـ الـتـيـ اـهـرـقـتـ فـسـوـفـ تـجـريـ اـنـهـارـاـ كـوـثـرـيـةـ ، وـأـمـاـ الدـمـوعـ الـتـيـ ثـرـتـ

فـسـتـبـتـ اـزـهـارـاـ زـكـيـةـ ، وـأـمـاـ الـأـرـوـاحـ الـتـيـ فـاضـتـ فـسـوـفـ تـجـمـعـ وـتـنـاـلـفـ وـتـنـطـلـعـ مـنـ وـرـاءـ

الـأـفـقـ الـجـدـيدـ صـبـاحـاـ جـدـيدـاـ فـيـعـمـ النـاسـ بـاـنـهـمـ قـدـ اـبـتـاعـوـاـ الـحـقـ فـيـ سـوقـ الـبـؤـسـ وـاـنـ مـنـ

يـنـقـقـ فـيـ سـبـيلـ الـحـقـ لـنـ يـخـسـرـ

وـاـمـاـ نـيـسـانـ فـسـيـعـودـ — وـلـكـنـ مـنـ يـطـابـ نـيـسـانـ مـنـ غـيرـ كـفـ الشـتـاءـ فـلـنـ يـجـدهـ



جبرانه خلیل جبرانه

ابن سیدنا

ابن سينا وقصيدة

ليس بين ما نظمه الاقمون قصيدة أدنى الى معتقدى وأقرب الى ميولي النفيسة
من قصيدة ابن سينا في النفس .

في هذه القصيدة النبيلة قد وضع الشيخ الرئيس أبعد ما يراود فكرة الانسان ،
وأعمق ما يلازم خياله من الاماني التي تولدها المعرفة ، والسؤالات التي يشمرها الرجاء ،
والنظريات التي لا تصدر الا عن التفكير المستمر والتأملات الطويلة .

وليس من الغرائب صدور هذه القصيدة عن وجدان ابن سينا وهو نابغة زمانه ،
ولكن من الغرائب أن تكون مظهراً لجل صرف عمره مستقصياً أسرار الاجسام ومنها
المهيبى . فكأنى به قد بلغ خفايا الروح عن طريق الماده وأدرك مكونات المقولات
بواسطة المرئيات فجاءت قصيده هذه برهاناً نيراً على أن العلم هو حياة العقل
بتدرج بصاحبه من الاختبارات العمليه — الى النظريات العقلية — الى الشعور
الروحي — الى الله

قد يجد المطالع في ما نظمه كبار شعراء الغربين مقاطع متفرقة تذكره بهذه القصيدة
السامية . في روايات شكسبير الخالدة أبيات لا تختلف بمعانها عن قول ابن سينا .

وصلت على حكمك اليك وربما كرهت فرائك وهي ذات تفجع

وفي أقوال تشلي ما يماثل

سجمت وقد كشف الغطاء فابصرت ما ليس بدرك العيون المجمع

وفي تأملات غوئي ما يضارع

ونعود عالمة بكل خفية في العالمين فرقها لم يرقع

وفي ما قاله براونن ما يضاهي

فسكانها برق تألق بالسمى ثم انطوى فكانه لم يلمع

ولكن الشيخ الرئيس قد تقدم جميع هؤلاء بقرون عديدة . فوضع في قصيدة

واحدة ما هبط يصور متقطعة على أفكار مختلفة في أزمنة مختلفة . وهذا ما يجعله ثابتة لمصره وللتصور التي جاءت بعده ، ويجعل قصيده في النفس أبعد وأشرف ما نظم في أشرف وأبعد موضوع

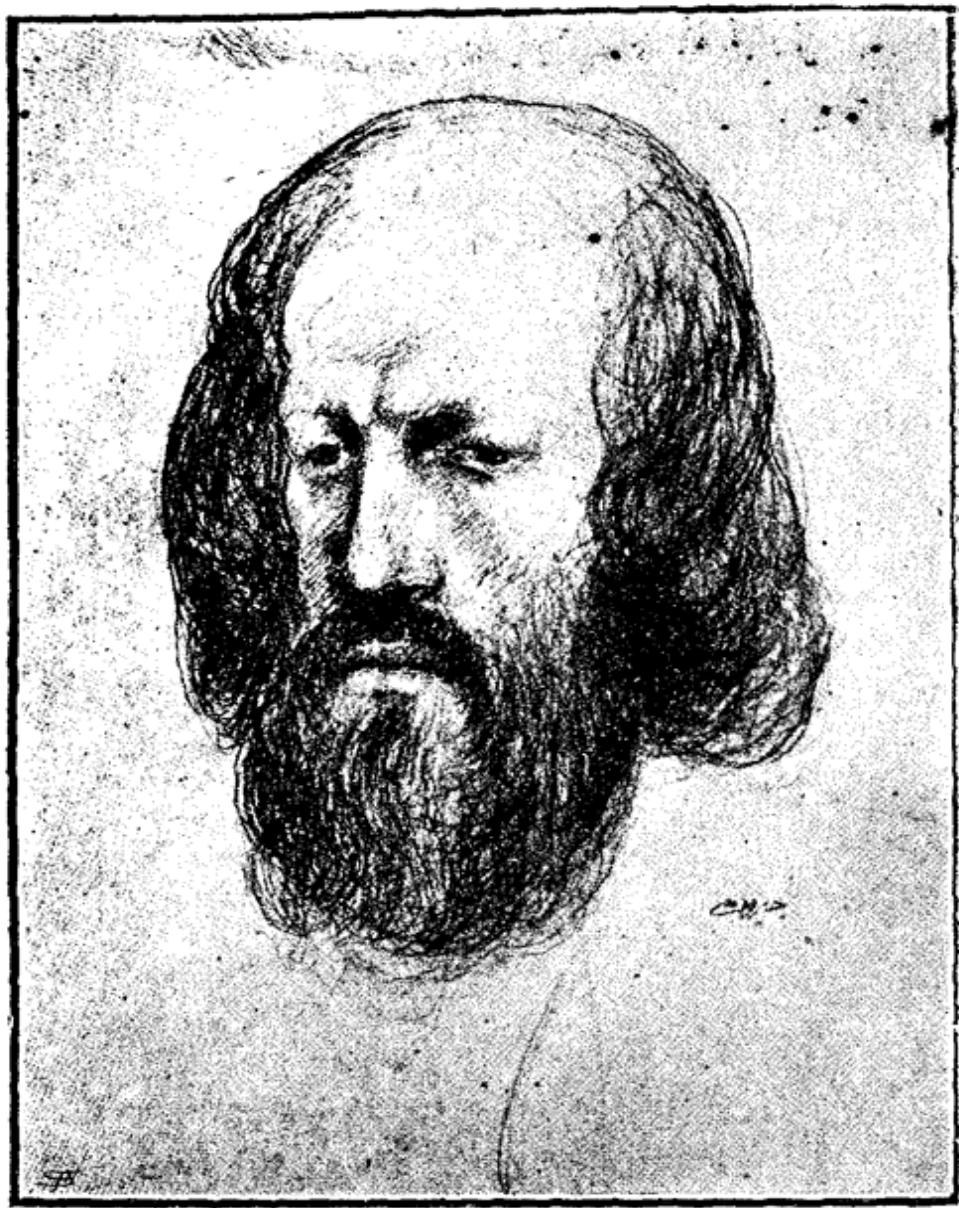
الغزالى

بين الغزالى والقديس أوغسطينوس رابطة نفسية . فهما منظران متشابهان لمبدأ واحد . رغم ما بين زمانيهما ومحطيهما من الاختلافات المذهبية والاجتماعية . أما ذلك المبدأ فهو ميل وضي في داخل النفس يتدرج بصالبه من المرئيات وظواهرها إلى المعقولات فالفلسفة فالآلهيات

انتزل الغزالى الدنيا وما كان له فيها من الرخاء والمقام الرفيع وانفرد وحده متصوفاً ، متوجلاً في البحث عن تلك الخيوط الدقيقة التي تصل أواخر العلم باوائل الدين ، متعمقاً في التفتيش عن ذلك الاتاه الخفي الذي تترج فيه مدارك الناس واختباراتهم بعواطف الناس واحلامهم

وهكذا فعل أوغسطينوس قبله بخمسة أجيال . فمن يقرأ له كتاب « الاعتراف » يرى أنه قد اتخذ الأرض وما عليها سلماً يصعد عليه نحو ضمير الوجود الأعلى غير أنني وجدت الغزالى أقرب إلى جواهر الأمور وأسرارها من القديس أوغسطينوس . وقد يكون سبب ذلك في الفرق الكائن بين ما ورثه الأول من النظريات العلمية العربية واليونانية التي تقدمت زمانه وما ورثه الثاني من علم اللاهوت الذي كان يشغل آباء الكنيسة في القرنين الثاني والثالث لل المسيح واعني بالوراثة ذلك الأمر الذي ينتقل مع الأيام من فكر إلى فكر مثلاً تلازم بعض المزايا الجسدية مظاهر الشعوب من عصر إلى عصر .

ووجدت في الغزالى ما يجعله حلقة ذهبية موصولة بين الذين تقدمواه من متصوفي



الغزالى

لبرانه خليل ميرانه

تركتُ هوى اليلى وسعدى بمعرى
وعدتُ الى مصحوبِ أول منزل
جونادت بي الاشواقُ مهلاً فهذمه
منازلُ من تهوى رويدكَ فائز
سفرلتُ لهم غزلاً دقيقاً فلم أجده
لغزلي نساجاً فسكنستُ مغزلي
« الغزالى »

المهد والذين جاءوا بهده من الالهيين . ففي ما بلغت اليه أفكار البوذيين قد يُعَدَّ شيئاً من
ميول الغزالى ، وفي ما كتبه سبنوزا ووليم بلايك حدثاً شيئاً من عواطفه .
وللغرزالى عند مستشرقى الغرب وعلمائه منزلة رفيعة . وهم يضعونه مع ابن سينا وابن
وشد في المقام الاول بين فلاسفة الشرق . اما الروحيون بينهم فيحسبونه أبل وأسمى
فكرة ظهرت في الاسلام . ومن الفرائض التي شاهدت على جدران كنيسة في فلورنسا
(ايطاليا) من بناء الحيل الخامس عشر صورة الغزالى بين صور غيره من الفلاسفة
والقديسين واللاهوتيين الذين تعتبرهم أئمة الكنيسة في الاجيال الوسطى دعائماً واعمدة
في هيكل الروح المطلق

ولكن الأغرب من ذلك هو ان الغربيين يعرفون عن الغزالى أكثر مما يعرفه
الشرقيون . فهم يترجمونه ويبحثون في تعاليمه ويدققون النظر في منازعه الفلسفية ورمسيه
الصوفية . أما نحن ، نحن الذين لم نزل تكامل اللغة العربية ونكتبهما ، فقلما ذكرنا الغزالى
أو تحدثنا عنه . نحن لم نزل مشغولين بالاصداف لأن الاصداف هي كل ما يخرج من
بحر الحياة الى شواطئ الايام والليالي



جرجي زيدان

لقد مات زيدان وممات زيدان عظيم كحياته ، جليل كأعماله
 لقد رقدت تلك الفكرة الكبيرة وحول مضمونها تحوم الآن سكينة توحى الهيبة
 والوقار وترتفع عن الحزن والبكاء
 قد تملصت تلك الروح الطيبة ورحلت الى عالم نشعر به ولا ندركه وفي رحيلها عضة
 للباقين في قبضة الايام والمبالي

قد تحرر ذلك الوجدان النبيل من متاعب العمل ومشاقه وسار ملتفاً برباده مجده
 الى حيث يتسامي العمل عن المشاق والمتاعب . قد ذهب زيدان الى حيث لا تراه العين
 ولا تسمعه الاذن — ولكن اذا كان زيدان قد انتقل الى احدى السيارات السابحة في
 بحر الانهابة فهو الاَن مشغول بنفع سكانها . منهك بجمع معارفها . مأخذ بجمال
 تاريخها . منصب على درس لغامتها

هذا هو زيدان — فـ فكرة متحمسة لا ترتاح الا الى العمل وروح ظامنة لا تنام
 الا على منكبي اليقظة وقلب كبير مفعم بالرقى والغيره . فإذا كانت تلك الفكرة لا تزال
 كائنة بيكان العقل العام فهي تشتعل الآن مع العقل العام . وإذا كانت تلك الروح
 موجودة بوجود النواميس فهي الآن تعمل مع النواميس . وإذا كان ذلك القلب باقياً
 ببقاء الله فهو الآن ملتهب بشعلة الله

هذه هي حياة زيدان — ينبع تدفق من صدر الوجود وصار نهرًا صافياً بروي
 ما على جانبي الوادي من النبات والانصاب

وها قد بلغ النهر شاطئ البحر فأي متطفل يا ترى يجسر ان يندهه او يرثيه
 او ليس الندب والنواح خليقين بالذين يقفون امام عرش الحياة ثم ينصرفون قبل
 أن يسكبوا في راحتها قطرة من عرق جبينهم أو دم قلوبهم ؟
 أو لم يصرف زيدان ثلاثين سنة مذيعاً قلبه مستقطرأً جبينه . وهل يتنا من لم
 يستقِ من تلك المجرى البلورية العذبة ؟

اذاً فن شاء ان يكرم زيدان فليعرف نحو روحه تربمة الشكر وعرفان الجميل بدلاً
من ندبات الحزن والابي
من شاء ان يكرم ذكر زيدان فليطلب قسمته من خزان المعرف والمدان ^{التي}
جمعها زيدان وتركها ارثاً للعالم العربي
لا تعطوا الرجل الكبير بل خذوا منه وهكذا تكرمهونه
لا تعطوا زيدان ندباً ورثاءً بل خذوا من موهبه وعطايته وهكذا تخليدون ذكره



المرحوم جسر. حسني زيدان

مستقبل اللغة العربية

• (٤) ما هو مستقبل اللغة العربية؟

انما اللغة مظهر من مظاهر الابتكار في مجموع الامة ، أو ذاتها العامة ، فاذا هجمت قوة الابتكار توقفت اللغة عن مسيرها ، وفي الوقوف التقهقر وفي التقهقر الموت والاندثار اذاً فمستقبل اللغة العربية يتوقف على مستقبل الفكر المبدع الكائن - أو غير الكائن - في مجموع الامم التي تتكلم اللغة العربية . فان كان ذلك الفكر موجوداً كان مستقبل اللغة عظيماً كاضيها وان كان غير موجود فمستقبلها سيكون حاضر شقيقتهما السريانية والعبرانية وما هذه القوة التي ندعوها بقوة الابتكار ؟

هي في الامة عزم دافع الى الامام . هي في قلبها جوع وعطش وسوق الى غير المعروف ، وفي روحها سلسلة احلام تسعى الى تحقيقها ليلاً ونهاراً ولكنها لا تحقق حلقة من احد طرفيها الا اضافت الحياة حلقة جديدة في الطرف الآخر . هي في الافراد النبوغ وفي الجماعة الحماسة ، وما النبوغ في الافراد سوى المقدرة على وضع ميل الجماعة الخفية في اشكال ظاهرة محسوسة . وفي الجاهلية كان الشاعر يتأهّب لأن العرب كانوا في حالة التأهّب ، وكان ينمو ويتمدد أيام المخضرمين لأن العرب كانوا في حالة النمو والتعدد ، وكان يتشعب أيام المولدين لأن الامة الاسلامية كانت في حالة التشعب . وظل الشاعر يتدرج ويتتصاعد ويتوّلون فيظهر آنّا كفيلسوف ، وأونّة كطبيب ، وأخرى كفلكي حتى راود النعاس قوة الابتكار في اللغة العربية فنامت وبنومها تحول الشعراء الى ناظمين والفلسفه الى كلاميين والاطباء الى دجالين والفلكيون الى منجمين

اذا صح ما تقدم كان مستقبل اللغة العربية رهن قوة الابتكار في مجموع الامم التي تتكلّمها ، فان كان تلك الامم ذات خاصة (أو وحدة معنوية) وكانت قوة الابتكار في تلك الذات قد استيقظت بعد نومها الطويل كان مستقبل اللغة العربية عظيماً كاضيها — والا فلا

(٢) وما عسى أن يكون تأثير التدين الاربى والروح الغريبة فيها؟
انما (التأثير) شكل من الطعام تتناوله اللغة من خارجها فتتمنجه وتبتلعه وتحول
الصالح منه إلى كيانها الحى كأنه الشجرة النور والهواء وعناصر التراب إلى افانات
فاوراق فازهار فانمار . ولكن اذا كانت اللغة بدون اضراس تقضى ولا معذبة تهضم فالطعام
يذهب سدى بل ينقلب سماً قاتلاً : وكم من شجرة تحاول على الحياة وهي في الظل
فإذا ما نقلت إلى نور الشمس ذابت وماتت . وقد جاء « من له يعطى ويزاد ومن ليس
له يؤخذ منه »

وأما الروح الغربية فهي دور من أدوار الإنسان وفصل من فصول حياته . وحياة
الإنسان موكب هائل يسير دائمًا إلى الامام ، ومن ذلك الغبار الذهبي المتتصاعد من
جوانب طريقه تكون اللغات والحكومات والمذاهب : فالامم التي تسير في مقدمة هذا
الموكب هي المبتكرة ، والمتذكر مؤثر ، والامم التي تمشي في مؤخرته هي المقلدة ، والمقلد
يتآثر ، فلما كان الشرقيون سابقين والغربيون لاحقين كان لمدينتنا تأثير العظيم على
لغاتهم ، وهذا قد أصبحوا هم السابقين وأمسينا نحن اللاحقين فصارت مدinetهم بحكم الطبيع
ذات تأثير عظيم على لغتنا وافكارنا واخلاقنا

ييد أن الغربيين كانوا في الماضي يتناولون ما يطبخه في مضمونه ويتعلمونه محولين
الصالح منه إلى كيانهم الغربي ، أما الشرقيون في الوقت الحاضر فيتناولون ما يطبخه
الغربيون ويتعلمونه ولكن لا يتحول إلى كيانهم بل يحوّلهم إلى شبه غربيين ، وهي حالة
اخشاها وأتبرم منها لامها تبين لي الشرق تارةً كعجوز فقد اضراسه وطوراً كطفل
بدون اضراس !

ان روح الغرب صديق وعدونا . صديق اذا تكنا منه وعدو اذا تمكن منا ،
صديق اذا فتحنا له قلوبنا وعدو اذا وهبنا له قلوبنا ، صديق اذا اخذنا منه ما يوافقنا
وعدو اذا وضعنا نفوسنا في الحالة التي توافقه

* * *

(٣) وما يكون تأثير التطور السياسي الحاضر في الاقطار العربية؟

قد اجمع الكتاب والمفكرون في الغرب والشرق على ان الاقطار العربية في حالة التشویش السياسي والأداري والنفسي . ولقد اتفق أكثرهم على ان التشویش مجلبة الخراب والاضمحلال

اما اما فاسئل — هل هو تشویش أم ملل ؟
ان كان مللاً فمللاً نهاية كل أمة وخاتمة كل شعب — الملل هو الاختصار في صورة النعاس والموت في شكل النوم

وان كان بالحقيقة تشویشاً فالتشویش في شرعي ينفع دائمًا لأنه يبين ما كان خافياً في روح الأمة ويدل نشوتها بالصحو وغيريتها باليقظة ونظير عاصفة هرث بعزمها الاشجار لا تقلعها بل لتكسر اغصانها اليابسة وتبعر اوراقها الصفراء . واذ ما ظهر التشویش في أمة لم تزل على شيء من القطرة فهو اوضح دليل على وجود قوة الابتکار في افرادها والاستعداد في مجموعها . انما السديم أول كلمة من كتاب الحياة وليس باخر كلام منها ، وما السديم سوى حياة مشوشة

اذاً فتأثير التطور السياسي سيمحول ما في الاقطار العربية من التشویش الى نظام ، وما في داخلها من الغموض والأشكال الى ترتيب والفة ، ولكن لا ولن يدل ملامها بالوجد وضجرها بالحماسة ، ان الخراف يستطيع ان يصنع من الطين جرة للخمر أو للخل ولكن لا يقدر ان يصنع شيئاً من الرمل والخصى

* * *

(٤) هل يعم انتشار اللغة العربية في المدارس العالية وغير العالية وتتعلم بها جميع العلوم ؟

لا يعم انتشار اللغة في المدارس العالية وغير العالية حتى تصبح تلك المدارس ذات صبغة وطنية مجردة ، ولن تعلم بها جميع العلوم حتى تنتقل المدارس من ايدي الجماعات الخيرية والاجانط الطائفية والبعثات الدينية الى ايدي الحكومات المحلية في سوريا مثلاً كان التعليم يأتيها من الغرب بشكل الصدقة ، وقد كنا ولم نزل نلتقط خبز الصدقة لاننا جياع متضورون ، وقد أحياناً ذلك الخبز ، ولما أحيا

آماتنا . أحياًنا لانه أيقظ جمِيع مداركنا وتبه عقولنا قليلاً ، وأماتنا لانه فرق كلتنا . وأضعف وحدتنا وقطع روابطنا وأبعد ما بين طوائفنا حتى أصبحت بلادنا مجموعة مستعمرات صغيرة مختلفة الاذواق متضاربة المشارب كل مستعمرة منها تشد في حبل احدى الامم الغربية وترفع لواءها وتترنم بمحاسنها وابجادها . فالشاب الذي تناول ثقمة من العلم في مدرسة أميركية قد تحول بالطبع الى معتمد أميركي ، والشاب الذي تجرع رشقة من العلم في مدرسة يسوعية صار سفيراً افريقياً ، والشاب الذي ليس قيضاً من نسيج مدرسة روسية أصبح مثلاً لروسيا . الى آخر ما هنالك من المدارس وما تخرجـه في كل عام من الممثلين والمعتمدين والسفراء . وأعظم دليل على ما تقدم اختلاف الآراء وتبادر المنازع في الوقت الحاضر في مستقبل سوريا السياسي . فالذين درسوا بعض العلوم بانغمة الانكليزية يريدون اميركا وانكلترا وصية على بلادهم ، والذين درسواها باللغة الافرنسية يطلبون فرنسا أن تتولى أمرهم ، والذين لم يدرسوا بهذه اللغة أو تلك لا يريدون هذه الدولة ولا تلك بل يتبعون سياسة أدنى الى معارفهم واقرب الى مداركهم

وقد يكون ميلنا السياسي الى الاية التي تعلم على نفقها دليلاً على عاطفة عرفان الجميل في نفوس الشرقيين ، ولكن ما هذه العاطفة التي تبني حجراً من جهة واحدة وتهدم جداراً من الجهة الأخرى ؟ ما هذه العاطفة التي تستنبت زهرة وتقتل غابة ؟ ما هذه العاطفة التي تحيننا يوماً وتهيننا دهراً ؟

ان المحسنين الحقيقيين وأصحاب الارجحية في الغرب لم يضعوا الشوك والحسك في الخبز الذي بعثوا به علينا ، فهم بالطبع قد حاولوا تفعنا لا الضرب بنا . ولكن كيف تولد ذلك الشوك ومن أين أتى ذلك الحسك ؟ هذا بحث آخر أتركه الى فرصة أخرى

نعم سوف يعم انتشار اللغة العربية في المدارس العالمية وغير العالمية وتعلم بها جميع العلوم فتتوحد ميلانا السياسية وتبتاور منازعنا القومية لأن في المدرسة توحد الميلول وفي المدرسة تتجوهر المنازع ، ولكن لا يتم هذا حتى يصير بامكاننا تعليم الناشئة على تقنية إلامة . لا يتم هذا حتى يصير الواحد منا ايناً لوطنه واحد بدلاً من وطنيين متناقضين .

أحد هما لجده والآخر لروحه . لا يتم هذا حتى تستبدل خنز الصدقة بخنز معجون فيه .
يكتنا ، لأن المتسول المحتاج لا يستطيع أن يشترط على المتصدق الاربعي . ومن يضم
نفسه في منزلة الموهوب لا يستطيع معارضه الواهب ، فالموهوب مسيّر دائمًا الواهب خيراً بدأ

* * *

(٦) وهل تغلب (اللغة العربية الفصحى) على اللهجات العامية المختلفة وتحدها؟
إن اللهجات العامية تحور وتذهب ويُدَكَّ الخشن فيها . ففيما هيَّأَتْها ولكن
تغلب — ويجب ألا تغلب — لأنها مصدر ما ندعوه فصيحةً من الكلام ومنبت
ـ مما نعده بليةً من البيان

ان اللغات تتبع مثل كل شيء آخر سنة بقاء الانسب ، وفي اللهجات العامية الشيء
الكثير من الانسب الذي سيق لانه أقرب الى فكرة الامة وأدنى الى سلامي ذاتها
العامية : قلت انه سيق وأعني بذلك انه سيلتحم بجسم اللغة ويصير جزءاً من مجموعةها
ـ لكل لغة من لغات الغرب لهجات عاية ، ولذلك اللهجات مظاهر أدبية وفنية
ـ لا تخلو من الجيل المرغوب والجديد المبتكر ، بل في أوربا وأميركا طائفة من الشعراء
ـ المهوهون الذين تكروا من التوفيق بين المامي والفصيح في قصائدهم وموشحاتهم
ـ فجاءت بلية ومؤثرة : وعندى أن في الموالي والزجل و «العتاب» و «المعنى» من الكنيات
ـ المستجدة والاستعارات المستملحة والتعابير الرشيقه المستنبطة ما لو وضعناه بجانب ذلك
ـ القصائد المنظومة بلغة فصيحة ، والتي نملاً جرائدنا وبجلاتنا ، لبيان كيادة من الرياحين
ـ بقرب راية من الخطب ، أو كسرب من الصبايا الراقصات المسترنات قبلة مجموعة من
ـ الجث المخنطة

لقد كانت اللغة الايطالية الحديثة لهجةً عامية في القرون المتوسطة ، وكان انتخاصه
ـ يدعونها بلغة «المهج» ، ولكن لما نظم بها دانتي وبترالوكامونس وفرنسيس
ـ داسينزي قصائدهم وموشحاتهم الخالدة أصبحت تلك اللغة لغة ايطاليا الفصحى وصارت
ـ اللاتينية بعد ذلك هيكلًا يسير ولكن في نعش على اكتاف الرجعيين .. وليس
ـ اللهجات العامية في مصر وسوريا والعراق أبعد عن لغة المعربي والمتنبي من لهجة «المهج»

الإيطالية عن لغة أوفيدى وفرجيل . فإذا ما ظهر في الشرق الادنى عظيم ووضع كتاباً عظيماً في احدى تلك اللهجات تحولت هذه إلى لغة فصحى : يد آني أستبعد حدوث ذلك في الأقطار العربية لأن الشرقيين أشد ميلاً إلى الماضي منهم إلى الحاضر أو المستقبل ، فهم المحافظون ، على معرفة منهم أو على غير معرفة ، فإن قام كبير بينهملزم في اظهاره مواجهة للسبل البينية التي سار عليها الأقدمون ، وما سبل الأقدمين سوى أقصر الطرق بين جهد الفكر ولحده

* * *

(٧) وما هي خير الوسائل لاحياء اللغة العربية ؟
أن خير الوسائل ، بل الوسيلة الوحيدة لاحياء اللغة هي في قلب الشاعر وعلى شفتيه وبين أصابعه ، فالشاعر هو الوسيط بين قوة الاتكال والبشر ، وهو السلك الذي ينقل ما يحده عالم النفس إلى عالم البحث ، وما يقرره عالم الفكر إلى عالم الحفظ والتدوين
الشاعر أبو اللغة وأمها ، تسير حيناً يسير وتر乒乓 أيها يربض ، وإذا ما قضى جلسات على قبره باكية متتجبة حتى يمر بها شاعر آخر ويأخذ بيدها
وإذا كان الشاعر أباً اللغة وأمها فالمقلد ناسج كفنها وحفار قبرها
أعني بالشاعر كل مخترع كبيراً كان أو صغيراً ، وكل مكتشف قوياً كان
أو ضعيفاً ، وكل مختلف عظيماً كان أو حقيراً ، وكل محب للحياة المجردة إماماً كان أو
صلوحاً ، وكل من يقف متاهياً أمام الأيام والديالي فيلسوفاً كان أو ناطوراً للكروم
أما المقلد فهو الذي لا يكتشف شيئاً ولا يختلف أمراً بل يستمد حياته النفسية
من معاصره ويصنع أنوابه المعنوية من رقع بجزها من أثواب من تقدمه
أعني الشاعر ذلك الزارع الذي يفلح حقله بحراث مختلف ولو قليلاً عن الحراث
الذى ورثه عن أبيه فيجيء بعده من يدعوا الحراث الجديدة باسم جديد ، وذلك البستاني
الذى يستنبط بين ازهرة الصفراء وازهرة الحمراء زهرة مائة برقالية اللون فإذاً بعده
من يدعوا الزهرة الجديدة باسم جديد ! وذلك الحائم الذى ينسج على نوله نسيجاً ذا
رسوم وخطوط مختلف عن الأقمشة التي يصنعها جيرانه الحائكون فيقوم من يدعوا نسيجه

هذا باسم جديد . أعني بالشاعر الملاح الذي يرفع لسفينة ذات شراعين شراعاً ثالثاً ، والبناء الذي يعني بيتاً ذا بابين ونافذتين بين بيوت كلها ذات باب واحد ونافذة واحدة ، والصباغ الذي يمزج الالوان التي لم يمزجها أحد قبله فيستخرج لوناً جديداً ، هيأني بعد الملاح والبناء والصباغ من يدعونا سار أعلامهم بأسماء جديدة فيضيف بذلك شراعاً الى سفينة اللغة ونافذة الى بيت اللغة ولو ناً الى ثوب اللغة

أما المقلد فهو ذلك الذي يسير من مكان الى مكان على الطريق التي سار عليها ألف قافلة وقافلة ولا يجيد عنها مخافة أن يتنهى ويضيع ، ذلك الذي يتبع بمعيشته وكسب رزقه وأكله ومشربه وملبسه تلك السبل المطروقة التي مشى عليها ألف جيل وجيل فظل حياته كرجع الصدى ويبقى كيانه كظل ضئيل لحقيقة قصية لا يعرف عنها شيئاً ولا يريد ان يعرف

أعني بالشاعر ذلك المتبع الذي يدخل هيكل نفسه فيجو باكيًا فرحاً نادباً مهلاً مصغياً مناجياً ثم يخرج وبين شفتيه ولسانه اسماء وأفعال وحروف واشتقاقات جديدة لاشكال عبادته التي تتجدد في كل يوم واواع الجاذبه التي تتغير في كل ليلة فيضيف بعمله هذا وترًا فضيًّا لـ قيثارة اللغة وعداً طيباً الى موقدها

أما المقلد فهو الذي يردد صلاة المصلين وابطال المتباهين بدون اراده ولا عاطفة فيترك اللغة حيث يجدها والبيان الشخصي حيث لا بيان ولا شخصية

أعني بالشاعر ذلك الذي ان احب امرأة اقردت روحه وتنعمت عن سبل البشر تلبس احلامها أجساداً من بهجة النهار وهول الليل وولولة العواصف وسكونية الاودي ثم عادت لتضفر من اختبارتها أكيلًا لرأس اللغة وتصوغ من اقتناعها قلادة لعنق اللغة

أما المقلد فقلد حتى في حبه وغزله وتشبيهه فان ذكر وجه حبيبته وعنقها قال « بدر وغازال » وان خطر على باله شعرها وقدها ولحظتها قال « ليل وغضن بان وسهام » وان شكا قال « جفن ساهر وفخر بعيد وعزل قريب » وان شاء أن يأني بمعجزة بيانية قال « حبيبتي تستمطر لؤلؤ الدمع من نرجس العيون لتسقي ورد الخدوود وتغض على عناب

اناملها ببرد أسنانها ». يترنم صاحبنا البقاء بهذه الأغنية القتيبة وهو لا يدرى أنه يسمم
بيلاده دسم اللغة ويتهن بسخافته وابتذاله شرفها ونبالتها
قد تكلمت عن المستبط ونفعه والعميق وضرره ولم أذكر أولئك الذين يصرفون
حياتهم بوضع القواميس وتأليف المطولات وتشكيل المجتمع الاغوية — لم أقل كلمة عن
هؤلاء، لاعتقادي بأنهم كالشاطئ، بين مدّ اللغة وجزرها وإن وظيفتهم لا تعدى حدّ
الغربلة — والغربلة وظيفة حسنة ولكن ما عسى يغربل المغربلوف اذا كانت قوة
الابتکار في الامة لا تزرع غير الزوان ولا تحصد الا الهشيم ولا تجتمع على يادرهما سوى
الشوك والقطرب؟

أقول ثانية أن حياة اللغة وتوحيدها وتميمها وكل ما له علاقة بها قد كان وسيكون
وهن خيال الشاعر. فهل عندنا شعراء؟

نعم عندنا شعراء، وكل شرقى يستطيع أن يكون شاعراً في حقله وفي بستانه وأمام
نوله وفي معبده وفوق منبره وبجانب مكتبه. كل شرقى يستطيع أن يعتق نفسه من
سجن التقليد والتقاليد وينخرج إلى نور الشمس فيسير في موكب الحياة. كل شرقى
يستطيع أن يستسلم إلى قوة الابتکار المختبئة في روحه — تلك القوة الأزلية الابدية
التي تقيم من الحجارة أبناء الله

أما أولئك المنصرفون إلى نظم مواهفهم ونشرها فلهم أقول : ليكن لكم من مقاصدكم
الخصوصية مانعاً عن اقتداء أثر المتقدمين خير لكم ولغة العربية أن تبنوا كوخاً حقيرياً
من ذاتكم الوضعية من أن تقيموا صرحاً شاهقاً من ذاتكم المقتبسة. ليكن لكم من عزة
نفوسكم زاجراً عن نظم قصائد المدح والرثاء والتهنئة خير لكم ولغة العربية أن تموّوا
مهملين محقررين من أن تحرقوا قلوبكم بخوراً أمام الانصاب والاصنام. ليكن لكم من
حاستكم القومية دافماً إلى تصوير الحياة الشرقية بما فيها من غرائب الألم وعجائب الفرج
خير لكم ولغة العربية أن تتناولوا أبسط ما يتمثل لكم من الحوادث في محيطكم
وتلبسوها حلقة من خيالكم من أن تعرّبوا أجمل وأجمل ما كتبه الغربيون

الفارض

كان عمر بن الفارض شاعراً ربانياً . وكانت روحه الطاًنة تشرب من خمرة الروم
فتسكر ثم تهم ساححة ، صرفة في عالم المحسوسات حيث تطوف أحلام الشعراء وأميال
العشاق وأمني المتصوفين . ثم يفاجئها الضحو متعدد إلى عالم المزئيات لتدون ما رأته
وسمعته بلغة جليلة مؤثرة ، لكنها غير خالية في بعض الأحيان من ذلك التعقيد اللغطي
المعروف بالبديع ، وهو في شرعي ليس بالبديع

ولكن اذا وضعنا صناعة الفارض جانباً ونظرنا الى فنه المجرد وما وراء ذلك الفن من
المظاهر النفسية وجدناه كائناً في هيكل الفكر المطلق ، أميراً في دولة الخيال الوسيع ،
قائداً في جيش المتصوفين العظام — ذلك الجيش السائر بعنم بطىء نحو مدينة الحق ،
المتغلب في طريقه على صفات الحياة وتوافتها ، المحقق ابداً بهيبة الحياة وجلالها .

وقد عاش الفارض في زمان خالٍ من التوايد العقلي والاحداث النفسي بين قوم
منصرفين الى التقليد والتقاليد ، مشغولين باستفسار واستيضاخ ما تركه الاسلام من
الابحاث الادبية والفلسفية . غير ان النبوغ — والنبوغ معجزة الهمة — قد صار بشاعرَ
الموي فتشحى عن زمه وعن محبيه واختلى بذاته لينظم ما يتراهى لذاته شعراً ابدياً يصل
ما ظهر من الحياة بما خفي منها .

للمتناول الفارض مواضيعه من ماجريات يومه كما فعل المتنبي ، ولم تشغله معميات
الحياة وأسرارها كما شغلت المعربي ، بل كان يغمض عينيه عن الدنيا ليرى ما وراء الدنيا ،
ويغلق أذنيه عن ضجة الارض ليسمع أغاني اللامهایة .

هذا هو الفارض — روح نقية كأشعة الشمس وقلب متقد كالنار ، وفكرة صافية
كبحيرة بين الخيال . وهو إن كان دون المجهولين عزماً وأقل من المولدين ظرفاً في
شعره ما لم يحلم به الأولون ولم يبلغه الآخرون



جبران

جبران هليل جبران

العارف بالله شرف الدين

* عمر بن الفارض *

حفار القبور

في وادي ظل الحياة ، المرصوف بالعظام والجاجم ، سرت وحيداً في ليلة حجب
الضباب نحوها ، وخامر الموت سكينتها .

هناك ، على ضفاف نهر الدما ، والدمع ، المناسب كالحياة الرقطاء ، المراكض
كأحلام المجرمين ، وقفت مصغياً همس الاشباح ، محدقاً باللالشيء
ولما انتصف الليل وقد خرجت مواكب الارواح من اوخارها ، سمعت وقع أقدام
ثقلة تقترب مني ، فالتفت فإذا بشبح جبار مهيب متنصب أمامي ، فصرخت مذعوراً
« ماذا تريدين ؟ »

فنظر اليَّ بعينين مشعشعتين كالسراج ثم أجاب بهدوء « لا أريد شيئاً وأريد
كل شيء »

قلت « دعني وشأنني وسر في سبائكك »
فقال متسبماً « سبيلي سبائكك » فانا سائر حيث تسير ورابض حيث تربس »
قلت « جئت أطلب الوحدة خلني ووحدتي »
فقال « أنا الوحدة نفسها فلماذا تخافني ؟ »

قلت « ليست بخائف منك »
فقال « ان لم تكون خائفاً فلماذا ترجم مثل قصبة الريح ؟ »
قلت « ان الهواء يتلاعب باثوابي أما أنا فلا ارتجف »
فضحلك مقهقاً بصوت يضارع ضجيج العاصفة ثم قال
« انت جبان تخافني وتخاف ان تخافني فخوفك من دوج ولكنك تحاول اخفاء
عني وراء خداع أوهى من خيوط العنكبوت فتضحكني وتغيبظني »
ثم جلس على الصخر فجلست قسر أرادتي محدقاً بملامحه المهيبة
و بعد هنبلة خلتها ألف عام نظر اليَّ مستهزئاً وسائلني قائلاً « ما اسمك »

قلت « اسْمِي عَبْدُ اللَّهِ »

فقال « مَا أَكْثَرَ عَبْدَ اللَّهِ وَمَا أَعْظَمَ مَتَاعِبَ اللَّهِ بَعْدِهِ ، فَهَلَّا دَعَوْتَ نَفْسَكَ سَيِّدَ الشَّيَاطِينَ وَاضْفَتِ بِذَلِكَ إِلَى مَصَابِ الشَّيَاطِينَ . مَصِيرَةً جَدِيدَةً »

قلت « اسْمِي عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ اسْمُ عَزِيزٍ أَعْطَانِي إِيَاهُ وَالَّذِي يَوْمَ وَلَادِي فَلَنْ أَبْدِلَهُ بِاسْمٍ آخَرَ »

فقال « أَنْ بَلِيهُ الْأَبْنَاءُ فِي هَبَاتِ الْآَبَاءِ ، وَمَنْ لَا يَحْرُمْ نَفْسَهُ مِنْ عَطَائِيَا آَبَاهُ وَاجْدَادَهُ يَظَالُ عَبْدُ الْأَمْوَاتِ حَتَّى يَصِيرَ مِنَ الْأَمْوَاتِ »

خَنِيتَ رَأْسِي مُفَكَّرًا بِحَكْمَاهُ ، مُسْتَرْجِعًا إِلَى حَافِظَتِي رِسُومَ أَحَلَامٍ شَبِيهَةً بِحَقِيقَتِهِ ثُمَّ عَادَ وَسَأَلَنِي قَائِلًا : « وَمَا حَسَنَتِكَ ؟ »

قلت « أَنْظَمَ الشَّعْرَ وَأَنْتَرَهُ وَلِي فِي الْحَيَاةِ آرَاءً أَطْرَحُهَا عَلَى النَّاسِ »

فقال « هَذِهِ مِنْهُنَّ عَتِيقَةٌ مَهْجُورَةٌ لَا تَنْفَعُ النَّاسَ وَلَا تَنْضَرُهُمْ »

قلت « وَمَاذَا عَنِّي أَنْ أَفْعُلَ بِأَيَامِي وَلِيَالِي لَا نَفْعَ لِلنَّاسِ »

فقال « أَنْخَذَ حَفْرَ الْقَبُورَ صَنَاعَةً تَرْعِي الْأَحْيَاءَ مِنْ جَثَّ الْأَمْوَاتِ الْمَكْرُدَةِ حَوْلَ مَنَازِلِهِمْ وَمَحاَكِيمِهِمْ وَمَعَابِدِهِمْ »

قلت « لَمْ أَرَ قَطْ جَثَّ الْأَمْوَاتِ . مَكْرُدَةً حَوْلَ الْمَنَازِلِ »

فقال « أَنْتَ تَنْظَرُ بَيْنَ الْوَهْمِ فَتَرَى النَّاسَ بِرْتَشُونَ إِمَامَ عَاصِفَةِ الْحَيَاةِ فَتَظْلَمُهُمْ أَحْيَاءً وَهُمْ أَمْوَاتٌ مِنْذِ الولادةِ وَلَكُنْهُمْ لَمْ يَجْدُوا مِنْ يَدْفَعُهُمْ فَظَلُّوا مُنْظَرِحِينَ فَوْقَ التَّرَى وَرَائِحَةُ النَّنْفِ تَنْبَعِثُ مِنْهُمْ »

قلت وقد ذَهَبَ عَنِي بَعْضُ الْوَجْلِ « كَيْفَ امْيَزَ بَيْنَ الْحَيِّ وَالْمَيْتِ وَكَلَّاهَا يَرْتَشِعُ إِمَامُ الْعَاصِفَةِ ؟ »

فقال « إِنَّ الْمَيْتَ يَرْقَعُشُ إِمَامَ الْعَاصِفَةِ أَمَّا الْحَيِّ فَيَسِيرُ مَعَهَا رَاكِضًا وَلَا يَقْفَ الْأَبْوَاقُ فِيهَا »

وَاتَّكَأْ أَذْدَاكَ عَلَى سَاعِدَهُ فَإِنْتَ عَضْلَاتُهُ الْحَبُوكَةُ كَاصُولٌ سَنْدِيَانَةٌ مَمْلُوَّةٌ بِالْعَزْمِ

قلت « نعم وزوجتي امرأة حسناء وأنا كلف بها »

فقال « ما أكثرك ذنوبك ومساوئك ، إنما الزواج عبودية الإنسان لقوة الاستمرار
فإن شئت ان تتحرر فطلق امرأتك وعش خالياً »

قلت « لي ثلاثة أولاد كبيرهم يلعب بالاسكروصينيهم يلوك الكلام ولا يلتفظ بهم
شافاً أفعل بهم؟ »

فقال « عليهم حفر القبور ، وانقطع كلّاً منهم رفشارم دعهم وشأنهم »

قلت « ليس لي طاقة على الوحدة والانفراد فقد تعودت لذلة العيس بين زوجتي
وصغارى فان تركتهم تركتني السعادة »

فقال « ما حياة المرأة بين زوجته وأولاده سوى شقاء أسود مستتر وراء طلاء
أبيض . واكمن ان كان لا بد من الزوج فاقترن بصبية من بنات الجن »

قلت مستغرباً « ليس للجن حقيقة فلماذا تخدعني »

فقال « ما أغباك فني ، ليس لغير الجن حقيقة ومن لم يكن من الجن كان في
عالم الريب والالتباس »

قلت « وهل لصبيا الجن ظرف وجمال »

فقال « هنّ ظرف لا يزول وجمال لا يذبل »

قلت « أرنى جنية فاقتنع »

فقال « لو كان بامكانك ان ترى الجنية وتلمسها لما اشرت عليك بزواجهها »

قلت « وما النفع من زوجة لا ترى ولا تمس؟ »

فقال « هو نفع بطلي ، يتبع عنه انقراض المخاليف والاموات الذين يختلجون أمام
العاشرة ولا يسرون معها »

وحول وجهه عني دقيقة ثم عاد وسألني قائلاً : « وما دينك »

قلت « أؤمن بالله وأكرم أنبياءه وأحب الفضيلة ولي رجاء بالأخرة »

فقال « هذه الفاظ رتبتها الاجيال الغابرة ثم وضعها الاقتباس بين شفتيك . أما
الحقيقة المجردة فهي أنك لا تؤمن بغير نفسك ولا تكرم سواها ولا تهوى غير أميالها

ولا رجاء لك الا بخلودها . منذ البدء والانسان يعبد نفسه ولكنها يلقبها بأسماء مختلفة باختلاف أطياله وأمانيه ، فتارة يدعوها البعل وطوراً المشترى وأخرى الله »
ثم ضحك فافرجمت ملامحه تحت نقاب من المزء والسخرية وزاد قائلاً : « ولكن
ما أغرب الذين يعبدون نقوسهم وتقوسهم جيفة منته »

وسرت دقة وأنا أفكر بأقواله فأجد فيها معانٍ أغرب من الحياة وأهول من
موت وأعمق من الحقيقة . حتى اذا ما تاهت فكري بين مظاهره ومن اياته ، صرخت
 قائلاً : « ان كان لك رب فبربك قل من أنت »

قال « أنا رب نفسي »

فقلت « وما اسمك ؟ »

قال « الإله المجنون »

فقلت « وأين ولدت ؟ »

قال « في كل مكان »

فقلت « وأي متى ولدت ؟ »

قال « في كل زمان »

فقلت « من تعلم الحكمـة ، ومن ذا الذي باح لك بأسرار الحياة وباطن الوجود ؟ »

قال « لست بمحكمـ فالحكمة صفة من صفات البشر الضعفاء بل أنا مجنون قوي
أسير فتميد الأرض تحت قدمي واقف فتفقـ معي مواكب النجوم وقد تعلمـت
لاستهزـاء بالبشر من الأبالسة ، وفهمـت اسرار الوجود والمـعدم بعد ان عـاشرت ملوك الجن
ورافقـت جبابرة الليل »

فقلـت « وماذا تفعلـ في هذه الأودية الوعرة وكيف تصرف أيامك ولـياليك ؟ »

قال « في الصباح أجـدف على الشمس ، وعند الظهـيرة المنـ البشر ، وفي المسـاء

أسـخـرـ بالطـبـيعة ، وفي اللـيل أـركـعـ اـمامـ نـفـسيـ وأـعـبـدـهاـ »

فـقلـت « وماذا تـأـكلـ وماذا تـشـربـ وأـينـ تـنـامـ ؟ »

قال « أنا والزمان والبحر لا نام ولكننا نأكل أجساد البشر ونشريد دمهم
وتحلى بهماهم »

« واتصب اذ ذاك مبكلاً ذراعيه على صدره ثم أحدق بعيني » وقال بصوت عميق
هادئ « الى اللقاء فأنا ذاهب الى حيث تلتهم الغيلان والحيابرة »
فهتفت قائلًا : « امهلي دقيقة فلي سؤال آخر »
فأجاب وقد انحجب بعض قامته بضباب الليل « ان الآلهة المجانين لا يهلوون
أحداً ، فإلى اللقاء »

واختفى عن بصرى وراء ستار الدجى وتركني خائفاً طائشاً محترراً به وبنفسى
ولما حولت قد미 عن ذلك المكان سمعت صوته متوجهاً بين تلك الصخور
الباسقة قائلًا : « الى اللقاء — الى اللقاء »

وفي اليوم التالي طلقت امرأى وتزوجت صبية من بنات الجن ، ثم أعطيت كل
واحد من أطفالي رفشاً ومحفراً وقلت لهم اذهبوا وكلما رأيتم ميتاً واروه في التراب »
ومن تلك الساعة الى الان وأنا أحفر القبور والخد الاوات . غير أن الاموات
كثيرون وأنا وحدي وليس من يسعفي !



العاصرة

١

كان يوسف الفخرى في الثلاثين من عمره عند ما ترك العالم وما فيه وجاء ليعيش وحيداً متهزاً صامتاً في تلك الصومعة المنفردة القائمة على سقف وادي قاديشا في شمال لبنان.

وقد اختلف سكان القرى المجاورة في أمر دفنه من قال — « هو ابن أسرة شريفة مثيرة وقد أحب امرأة خانت عهده فهجر الديار وطلب الخلوة توصلاً إلى السلوان ». ومنهم من قال — « هو شاعر خيالي قد انصرف عن ضجة المجتمع ليدون افكاره وينظم عواطفه ». ونهم من قال — « هو متتصوف تعبد قد اقتنع بالدين دون الدنيا ». ومنهم من اكتفى بقوله — « هو مجنون »

اما أنا فلم أكن من رأي هذا ولا ذاك لعلني أن في داخل الأرواح أسراراً غامضة لا تكشفها العيون ولا يبوح بها التخمين . غير أنني كنت أتمنى لقاء هذا الرجل الغريب وأشتري محادثته . وقد حاولت مرتين التقرب إليه لاستطلع حقيقته واستفسر مقاصده وأمانيه . فلم أظفر منه بسوى نظرات حادة وبعض ألفاظ تدل على الجفاء والبرودة والترفع . في المرة الأولى ، وقد لقيته سائراً بقرب غابة الأرض ، حينته باحسن ما حضرني من الكلام فلم يرد التحية إلا بهز رأسه ثم تحول عني مسرعاً . وفي المرة الثانية وجدته واقفاً في وسط كرمة صغيرة بقرب صومعة فدنوت منه قائلاً « قد سمعت بالأمس أن هذه الصومعة بناتها ناسك سرياني في القرن الرابع عشر فهل لك علم بذلك يا سيدي ؟ » فاجاب بلهجة خشنة « لا أعلم من بني هذه الصومعة ولا أريد أن أعلم » ثم ادار لي ظهره وزاد ساخراً « لماذا لا تسأل جدتك فهي أقدم عهداً وأكثر علمًا بتاريخ هذه الأودية » فتركته مكسوفاً نادماً على تطفله

وهكذا سرّ عامان وحياة هذا الرجل المكتنفة بالأسرار تراود خيالي وتهايل مع أفكاري وأحلامي :

٢

في يوم من أيام الخريف وقد كنت متوجولاً بين تلك التلول والمنحدرات المجاورة لصومعة يوسف خوري ، فاجأني العاصفة باهواها وأمطارها وأخذت تتلاعُب بي مثلما يتلاعُب البحر الهائج بمركب دسرت الامواج دفنه ومنقت الرابع شراعه ، فتحولت نحو الصومعة قاتلاً في نفسي — هذه فرصة موافقة لزيارة هذا المتنسك وستكون العاصفة عذري وأثوابي البليلة شفيعي .

بلغت الصومعة وأنا في حالة يرثى لها ولم أطرق الباب حتى ظهر أمامي الرجل الذي طالما تشوقت إلى لقائه حاملاً بيده طائراً مهشماً الرأس منبوش الريش وهو يختلي كأنه على آخر رمق من الحياة . فقلت بعد أن حيته « اعذرني يا سيدى على مجھي إليك في هذه الحالة ولكن العاصفة شديدة وأنا بعيد عن المنازل »

ففُرس في عابساً وأجاب بصوت يساوره الاستنكاف — « الكهوف كثيرة في هذه النواحي وقد كان بإمكانك الانجاء إليها »

قال هذا وهو يلامس رأس الطائر بانعطاف لم أر مثله في حياتي فعجبت لرأي الضدين — الرأفة والخشوة — في وقت واحد وتحيرت في أمري . وكأنه قد علم بما يخalog ضميري فنظر إلى نظرة استياضاح واستعلام ثم قال — « إن العاصفة لا تأكل اللحوم الخامضة فلم تخافها وتهرب منها »

فاجبته — « العاصفة لا تحب الحوامض ولا الموالح ولكنها تميل إلى الرطب البارد ولا أشك بأنها ستتجذبني لقمة لذذة إذا قبضت عليَّ تانية »

فقال وقد انفرجت ملامحه قليلاً — « لو مضتني العاصفة لقمة لحصلت على شرف رفيع لا تستحقه »

فاجبته — « نعم يا سيدى ، ولقد جئت إليك هارباً من العاصفة لكي لا أثال ذلك الشرف الذي لا تستحقه !

خول وجهه محاولاً اخفاء ابتسامة ضئيلة ، ثم أشار نحو مقعد خشبي بقرب موقد تأجيج فيه النار وقال — « اجلس وجفف أنوابك »

خلست بقرب النار شاكراً وجلس هو قبالي على مقعد محفور في الصخر وأخذ يغمس أطراف أصابعه بزيت ذيتي في طاسة فخارية ويدهت بها جامع الطائر ورأسه المخروح ، ثم التفت نحوي قائلاً — « قد دفعت الريح هذا الشحور فهبط على الصخور بين حي وميت »

فقلت « والريح قد حملتني أيضاً الى بابك يا سيدى وأنا للآن لا أدرى ما اذا كانت قد كسرت جانحي أو هشمت رأسي »

فنظر الى وجهي بشيء من الاهتمام وقال — « حبذا لو كان للانسان بعض اطباع الطيور . حبذا لو كسرت العاصف أجنحة البشر وهشمت رؤوسهم . ولكن الانسان مطبوخ على انخوف والحبابة فهو لا يرى العاصفة مستيقظة حتى يختبئ في شقوق الأرض ومخاوفها »

فقلت وقدري متابعة الحديث — « نعم ان للطيير شرفاً ليس للانسان ، فالانسان يعيش في ظلال شرائع وتقاليد ابتدعها لنفسه أما الطيور فتحيا بحسب الناموس الكلي المطلق الذي يسير بالارض حول الشمس »

فلمعت عيناه وانبسطت ملامحه كأنه وجد بي تلميذاً سريع الفهم ثم قال — « أحسنت ، أحسنت ، فإذا كنت تعتقد حقيقة بما تقول فأترك الناس وتقاليدهم الفاسدة وشرائعهم التافهة وعش كالطيور في مكان بعيد خالٍ الا من ناموس الارض والسماء »

فقلت — « اني أعتقد بما أقول يا سيدى »

فرفع يده وقال بصوت يمازجه التعتن والتصلب — « الاعتقاد شيء والعمل به شيء آخر . كثيرون هم الذين يتكلمون كالبحر أما حياتهم فشبهة بالمستنقعات . كثيرون هم الذين يرفعون رؤوسهم فوق قمم الجبال أما نفوسهم فتبقي هاجمة في ظلمة الكهوف »

قال هذا ولم يدع لي فرصة للكلام بل قام من مكانه ومدد الشحور على جهة قدية بقرب النافذة ثم تناول رزمة من القضايا اليابسة وألقاها في الموقد قائلاً —

« اخلع حذاءك وقف قدميك فالرطوبة أضر بالانسان من كل شيء آخر . جففه
أثوابك جيداً ولا تكون خجولاً »

فاقتربت من النار والبخار يتصاعد من أنواعي الرطبة . أما هو فوقف في باب
الصومعة محدقاً بالقضاء الغضوب .

وبعد هنีهة سأله قائلاً — « هل جئت الى هذه الصومعة منذ زمن بعيد؟ »
فأجاب بدون أن يلتفت نحوه — « جئت الى هذه الصومعة عند ما كانت الارض
خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله برف على وجه المياه »
فسكت قائلاً في سري — « ما أغرب هذا الرجل وما أصعب السبيل الى حقيقته ،
ولكن لا بد من محادثته ومعرفة خفايا روحه ، وسوف أصبر حتى يتحول شموخه الى
اللين والدعة .

٣

ونغر الليل تلك البساط بردائه الاسود وفت العاصفة وغزرت الامطار حتى خيل
لي ان الطوفان قد جاء ثانية لبييد الحياة ويطهر الارض من أدرانها وكأن ثورة العناصر
قد ولدت في نفس يوسف الفخرى تلك الطانية التي تجبي في بعض الاحيان مظهراً
لرد الفعل فتدول نفوده وهي الى الاستئناس بي ، فقام وأشعل شمعتين ثم وضع أمامي
جرة طافحة بالحمر وطبقاً عليه الخبز والحبين والزيتون والعسل وبعض الاعمار المحفوظة ، ثم
جلس قبالي وقال بلطفي : « هذا كل ما عندي من ازاد ففضل يا أخي وشاركتني به »
تناولنا العشاء صامتين صاغين الى ولوه الربيع وبكاء الامطار ، غير اني كنت
أتبصر وجهه بين القمة والآخر ، مستفسراً ملائمه عن غواصه ، سائلاً معانيه عن
الميل والمقاصد المستحکمة بوجданه .

وبعد ان رفع المائدة تناول من جانب المقد ابريقاً نحاسياً وصب منه قهوة صافية
زكية الراحلة في فنجانين ثم فتح علبة مفعمة بلقائف التبغ وقال بهدوء . « تفضل يا أخي »
فأخذت لفافة رافعاً ييدي فتجان القهوة وأنا لا أصدق ما تراه عيني فنظر اليه
وكأنه قد سمعني مفكراً فابتسم هازاً رأسه ثم قال بعد ان أشعل لفافة وشرب قليلاً من

القهوة ، انت بالطبع تستغرب وجود الخمر والتبغ والقهوة في هذه الصومعة . وقد تستغرب وجود الطعام والفراش ، وأنا لا ألومك فأنت واحد من الكثيرين الذين يتوهمن ان البعد عن البشر يستوجب البعد عن الحياة وما في الحياة من الملامات الطبيعية والمسرات البسيطة »

فأجبته « نعم يا سيدى فقد تمودنا الاعتقاد بأن من يتنحى عن العالم ليعبد الله يترك وراءه كل ما في العالم من المذمات والمسرات ليعيش وحده متسلكاً متقدساً مستكيناً بالماء والاعشاب »

قال — « لقد كان بامكاني عبادة الله وأنا بين خلقه لات العبادة لا تستلزم الوحدة والافراد وانا لم اترك العالم لاجد الله لأنني كنت أجده في بيت ابي وفي كل مكان آخر ، ولكنني هجرت الناس لأن أخلاقي لاتنطبق على اخلاقهم وأحلامي لاتتفق مع أحلامهم ، تركت البشر لأنني وجدت نفسي دولاً يدور يمنة بين دوايلب تدور يساراً ، تركت المدينة لأنني وجرتها شجرة مسنة فاسدة قوية هائلة عروقها في ظلمة الأرض وغاصبها تتعالى الى ما وراء الغيم ، أما آザاهراها فطعام وشرور وجائم وأما أنمارها فويل وشقاء وهموم . وقد حاول بعض المصلحين تعليمها وتغيير طبيعتها فلم يفلحوا بل ما توا قاطنين مصطفهدين مغلوبين على أمرهم »

واتسألاً اذ ذاك الى جانب الموقد وكأنه قد وجد لذة في تأثير كلامه على فرفع صوته أكثر من ذي قبل وزاد قائلاً : « لا ، لم أطلب الوحدة للصلة والنسك ، لأن الصلة ، وهي أغنية القلب ، تبلغ آذا الله وان تصاعدت مزوجة بصياح ألف الاف ، وأما النسك ، وهو قهر الجسد وامانة رغائب ، فسألة لا مكان لها في ديني لأن الله قد بنى الاجسام هيما كل للارواح وعلينا ان نحافظ على هذه الهياكل لتبقى قوية نظيفة لاثنة بالالوهية التي تحمل فيها . لا يأخي لم أطلب الوحدة للصلة والتقشف بل طلبتها هارباً من الناس وشرائعهم وتعاليمهم وتقاليدهم وأفكارهم وضجيجهم وعویلهم ، طلبت الوحدة لكي لا أرى أوجه الرجال الذين يبكون نفوسهم ليشتروا بأناملها ما كان دون نفوسهم قدرًا وشرفاً . طلبت الانفراد لكي لا ألتقي بالنساء اللواتي يسرن مددادات الاعناق

غامرات العيون وعلى ثفورهن الف ابتسامة وفي اعمق قلوهن غرض واحد . طلبته .
الافراد لكي لا أجالس ذوي « النصف معرفة » الذين يتصرون في النام خيال العلم
فيتخيلون انهم اصروا من المدارك بمقام القطة من الدائرة ، ويرون في اليقظة أحد
أشباح الحقيقة فيتوهمون انهم قد امتلكوا جوهرها الكامل المطلق . طلبت الخلوة لاني
مللت بحالة الخشن الذي يظن اللطف ضرراً من الضعف ، والتساهل نوعاً من الحياة ،
والرفع بكلأ من الكبراء . طلبت الخلوة لأن نفسي تعبت من معاشرة المتمولين الذين
يظلون ان الشموس والاقار والكواكب لا تطلع الا من خزاناتهم ولا تغيب الى في
جيوبهم . ومن الساسة الذين يتلاعبون بأمني الامم وهم يذرون في عيونها الغبار الذهبي .
ويملأون آذانها بربنين الالفاظ ، ومن الكهان الذين يمظلون الناس بما لا يتعظون به
ويطلبون منهم بما لا يطبوه من نقوتهم . طلبت الوحدة والافراد لاني لم أحصل
على شيء من يد بشري الا مدان دفعت منه من قابي . طلت الوحدة والافراد لاني
سنت ذلك البناء العظيم المأثر المدعو حضارة ، ذلك البناء الدقيق الصنع والمديدة
القائم فوق راية من الجماجم البشرية . طلبت الوحدة لأن في الوحدة حياة للروح والفكر
والقلب والجسد . طلبت البرية الخلالية لأن فيها نور الشمس ورائحة الازهار وأنفاس
السوقى . طلبت الجبال لأن فيها بقظة الربيع وأشواق الصيف وأغاني الخريف وعزم
الشتاء . جئت الى هذه الصوقة المفردة لاني أريد معرفة اسرار لارض والدنو من
عرش الله »

وسلكت متنفساً الصعداء كأنه التي حملها ثقلأ عن عاته وقد تلمعت عيناه باشعة
غرية سحرية وظهرت على وجهه امارات الانفة والارادة والقوة
ومرت بضم دقائق واما انظر اليه مسروراً بظهور ما كان محظياً عني ثم خاطبته
قولاً — أنت مصيبة في كل ماقلت ، ولكن لا ترى يا سيدى ان تشخيصك امراض
الاجماع واوصابه قد ابنت لي ايك احد الاطباء الماهرین وانه لا يمجد بالطبيب الإعراض
عن العليل قبل ان يشفى او يموت ؟ ان العالم بحاجة ماسة الى امثالك وليس من العدل
ان تهزل عن الناس وانت قادر على تفهم

خدق بي هنية ثم قال بلسحة ملؤها القنوط والمرارة « منذ البدء والاطباء يحاولون اقناذ العليل من عليه . فنهم من جاء بالمباضع ومنهم من جاء بالأدوية والمساحيق ، ولكنهم ما توا جيماً بدون رجاء ولا أمل ويليت عليل الدهور يكتفي بملازمه مضجعة القدر ومؤانسة قروحه المزمنة ولكنه عذر يده من بين اللحف ويقبض على عنق كل منه . يزوره مريضاً ويخنقه والأسر الذي يغطيظني ويحول الدم في عروقي الى نار محقة هو ان ذلك العليل الخبيث يقتل الطبيب ثم يعود ويغمض عينيه قائلاً لنفسه لقد كان بالحقيقة طبيباً عظياً » .. لا يا أخي . ليس بين الناس من يستطيع ان ينفع الناس فالحارث وان كان حكيناً ماهراً لا يقدر على استنبات حقله في أيام الشتاء »

فاجبته قائلاً — « قد يمر شتاء العالم ياسيدى ويحيى ، بعده ربيع بهي جميل فتظهر الاذهار في الحقول وتترنم الجداول في الأودية »

فقطب ما بين عينيه متهدداً وبصوت تعاقه الكآبة قال « ليت شعري هل قسم الله حياة الانسان — وهي الدهر بكلمه — الى فصول تشابه فصول السنة بسيرها وتتابعها ؟ هل يظهر على سطح الارض بعد الف الف عام طائفة من البشر تحيا بالروح والحق ؟ هل يأتي زمن يتمجد فيه الانسان فيجلس عن يمين الحياة فرحاً بنور النهار وطمأنينة الليل ؟ هل يتم ذلك يارى ؟ — هل تم ذلك بعد ان تشبع الارض من لحوم البشر وترتوى من دمائهم ؟ »

وأتصب اذ ذاك واقفاً رافعاً يمينه نحو العلاء كأنه يشير الى عالم غير هذا العالم — « تلك احلام بعيدة ، وليس هذه الصومعة منزلة للاحلام ، لأن ما اعلمه يقيناً يشغل كل فسحة وكل قرنة فيها ، بل يشغل كل مكان في هذه الأودية وهذه الجبال . أما ما اعلمه يقيناً فهو هذا — أنا كان موجود ، وفي اعمق وجودي جوع وعطش ، ولني الحق لآن اتناول خبز الحياة وخرها من الآنية التي اصنعها يدي ، من اجل ذلك تركت موائد الناس وولائمهم وجئت هذا المكان وسأبقى فيه حتى النهاية »

وأخذ يمشي ذهاباً واياباً في وسط تلك الغرفة وانا اتأمله وافكر بكلمه وبالعوامل والبواعث التي صورت له الجامعة البشرية بخطوط عوجاء والوان قاتمة ، ثم استوقفته قائلاً —

« اني احترم افكارك ومقاصدك يا سيدى ، واحترم وحدتك وانفرادك غير انني اعلم — والعلم بمحنة الاسف — ان هذه الأمة الممسة قد فقدت بتنحيتك وابتعادك رجالاً موهوبآ قادرآ على خدمتها وايقاظها »

فاجاب — هازأ رأسه — « ليست هذه الأمة الا كالامم كافة ، فالناس من جملة واحدة وهم لا يختلفون بعضهم عن بعض الا في الظواهر والمظاهر الخارجية التي لا يعتقد بها ، فتعاسة الامم الشرقية هي تعاسة الارض بكلاملها . وليس ماتحسبه رقياً في الغرب سوى شبح آخر من اتساع الفساد الفارغ ، فالرياء يظل رداء وان قلم اظافره ، والخش يبقى غشاً وان لانت ملامسه ، والكذب لا يصير صدقآ اذا لبس الخرير وسكن القصور ، وانخداع لا يتحول الى امانة اذا ركب القطار او اعتلى المنطاد ، والطعم لا ينقلب قناعة اذا قاس المسافات او وزن العناصر ، والجرائم لا تصبح فضائل وان سارت بين المعامل والمعاهد . . . أما العبودية — العبودية للحياة ، العبودية للماضي ، العبودية للتعاليم والعوائد والازداء ، العبودية للاموات فستبقى عبودية وان طلت وجهها وغيرت ملابسها . العبودية تظل عبودية حتى وان دعت نفسها حرية . لا يا اخي ليس الغربي ارق من الشرقي ولا الشرقي احط من الغربي وما الفرق بينها الا كالفرق الكائن بين الذئب والضبع . ولقد نظرت فرأيت وراء مظاهر الاجتماع المتباينة ناموساً اولياً عادلاً يفرق التعasse والعبادة والجهالة على السواء فلا يميز شعباً على شعب ولا يظلم طائفة دون طائفة »

فقلت وقد بلغ بي الاستغراب حد الالتباس — « اذا فالمدنية باطلة وكل ما فيها باطل ؟ »

فاجاب متنهجاً — « نعم باطلة هي المدنية وباطل كل شيء فيها ، فما الاختراعات والاكتشافات سوى الاعيب يتسلى بها العقل وهو في حالة الملل والتضجر ، وما تقصر المسافات وتعميد الحيوان والاوبيات والتغلب على البحار والقضاء غير انوار غشاشة مملوقة بتدخان لا ترضي العين ولا تغذى القلب ولا ترفع النفس أما تلك الالغاز والاحاجي التي يدعونها بالمعارف والفنون فهي قيود وسلسل ذهبية يجرها الانسان متهجاً بلمعانها وورين حلقاتها ، بل هي اقفال ابتداً الانسان بتطريق اعمدها واسلوكها منذ القدم

غيرَ عالمٍ بانه لا ينتهي من صنعها الا ويجد نفسه اسيراً بسجوناً في داخلها نعم باطلة هي اعمال الانسان ، وباطلة هي تلك المقصود والمترامي والمنازع والاماني وباطل كل شيء على الارض ، وليس بين اباطيل الحياة سوى أمر واحد خلائق بحب النفس وشوقها وهيامها — ليس هناك غير شيء واحد »

فقلت « وما ذلك ياسيدى ؟ »

فوقف دقيقة ساكتاً ثم اغمض اجهانه واضم يديه على صدره ، وقد اشرق وجهه وانبسط ملامحه ، وبصوت عذب صرتش قال — « هي يقظة في النفس . هي يقظة في عمق اعمق النفس . هي فكرة تفاجىء وجداً انسان على حين غفلة وتفتح بصيرته فيرى الحياة ككتفة بالانعام ، محاطة بالحالات ، متنصبة كبرج من النور بين الارض واللانهاية . هي شعلة من شعلات ضمير الوجود تأجج فجأة في داخل الروح فتحرق ما يحيط بها من الهشيم وتصعد سائحة مرفقة في الفضاء الوسيع . هي عاطفة تهبط على قلب الفرد فيقف مستغرقاً مسجناً كل ما يخالها . كارها كل شيء لا يجارها . متوردة على الذين لا يفهمون اسرارها . هي يد خفية قد ازالت الغشا عن عيني وانا في وسط الاجتماع بغير اهلي واصحابي ومواطني فوقت منهلاً مدهوشًا قائلًا في نفسي — ما هذه الوجوه وما شأن هؤلاء الناظرين الى وكيف عرفتهم ، وain لقيتهم ، وماذا أقيم بينهم بل لماذا اجالسهم واحادثهم ؟ هل أنا غريب بينهم أم هم الغرباء في ديار بيتها الحياة لي واسلمتني مفاتيحها »

وكتب فجأة كأن الذكرى قد رسمت على حافظته صوراً وأشباعاً لا يريد اظهارها ، ثم بسط ذراعيه وقال همساً — « هذا ما حلّ في منذ أربع سنوات فترك العالم وجئت هذه البرية الخالية لاعيش في اليقظة متمتعاً بالفكر والعاطفة والسكنية »

ومشى اذ ذاك نحو باب الصومعة ناظراً الى اعماق الليل ثم هتف كأنه يخاطب العاصفة — « هي يقظة في اعماق النفس فمن يعرفها لا يستطيع اظهارها بالكلام ومن لم يعرفها فلا ولن يدرك اسرارها

٤

وسرت ساعة طويلة منطقه بهمس الفكر ونداء العاصفة ويوسف الفخرى يمشي تارةً في وسط تلك الحجرة وقف طوراً في بابها محدقاً بالقضاء العايس ، اما اما فبقيت صامتاً يشعاعراً بتموجات روحه ، مستظهراً اقواله مفكراً بمحياه وما وراء حياته من الله الواحدة وألامها . وعند انتصاء المزيع الثاني من الليل اقترب مني ونظر طويلاً الى وجهي كأنه يريد ان يحفظ في ذا كرمه رسم الرجل الذي باح له بسر وحدته وانفراده . ثم قال بيطره — « أنا ذاهب الآن للتجول في العاصفة ، هي عادة امتع بالذاتها في الخريف وفي الشتاء ... هاك أبريق القهوة واللافت ، وان طلبت نفسك الخر تجدها في الجرة . واذا شئت النوم تجد اللحف والمساند في تلك القرنة »

قال هذا والتلفَ بمحبة سوداء كثيفة ثم زاد مبتسمـاً — « أرجوك أن تصعد بباب الصومعة عند ما تذهب في الصباح لأنني سأصرف الغد في غابة الارز »

ثم سار نحو الباب وتناول من جانبه عكازاً طويلاً وقال — « اذا فاجأتك العاصفة ثانية وأنت في هذه النواحي فلا تتأخر عن الاتجاه الى هذه الصومعة . ولكنني أرجو ان تعلم نفسك حب العواصف لا الخوف منها مساء الخير يا أخي »

وخرج الى الليل مسرعاً

ولما وقفت في باب الصومعة لاري وجهته كان الظلام قد اخفاه ولكنني بقيت بعض دقائق اسمع وقع قدميه على حصباء الوادي

٥

جاء الصباح وقد سرت العاصفة وانقضت الغيوم وظهرت تلك الصخور والغابات متشحة بنور الشمس فتركـت الصومعة بعد ان قفلت بابها وفي نفسي شيء من تلك اليقظة المعنوية التي تكلـم عنها يوسف الفخرى

ولكنـي لم ابلغ منازل الناس واري حركاتهم واسمع اصواتهم حتى وقفت قائلـاً في سري — « نعم ، ان اليقظة الروحية هي لخلق شيء بالانسان بل هي الغرض من

الوجود ، ولتكن اليست المدنية بما فيها من التلبس والاشكال من دواعي اليقظة الروحية ؟ وكيف ياترى نستطيع انكار امر موجود ونفس وجوده دليل على اثبات صلاحيته . قد تكون المدنية الحاضرة عرضا زائلا ولكن الناموس الابدي قد جمل الاعراض سلما تنتهي درجاته بالجوهر المطلق »

لم اجتمع ثانية يوسف الفخري لأن الحياة ابعدتني عن شمال لبنان في اواخر ذلك الخريف فحيثت منفيا الى بلاد قصبة عواصفها دائمة اما التنسك فيها فضرب من الجنون .

شدرات

عند ما رمى بي الله حجراً الى بحيرة الحياة احدث الدواير على سطحها ولكنني ما بلغت اعماقها حتى صرت هادئاً .

الناس رجالان ، رجل مستيقظ في الظلام ورجل نائم في النور .

أنا كولبس نفسي ، وفي كل يوم اكتشف قارة جديدة فيها .

الحب الذي لا يتجدد في كل يوم وليلة يتحول الى شكل من قوة الاستمرار وهذه دورها لاتثبت ان تقلب عبودية .

أشد الناس كآبة كثيير لا يعرف سبب كآبته .

حقيقة الناس في ما يخفونه عنك فان شئت ان تعرف الناس فلا تصنع الى ما يقولونه
ل الى ما لا يقولونه .

ما اظلم من يعطيك من جيبه ليأخذ من قلبك .

الخيال حقيقة لم تتحجر بعد .

تشربون الحر لتسكرروا واشربها لاصحوم من حرقة أخرى .

بعض الوجوه الحريرية مبطنة بنسيج خشن .

اقرب الناس الى قلبي ملك لا مملكة له وفقير لا يعرف كيف يستعطي .

لم يعمل البشر الا بعقتضى قول القائل « خير الامور الوسط » لذلك تراهم يقتلون
ال مجرمين والانبياء ..

يظن بعض الناس اني اغافلهم عند ما اغضض عيني كي لا اراه .
كان الموهوب في الماضي يفاخر بخدمه الملوك أما اليوم فانه يدعى خدمة المساكين .
الحياة مركب يستسرعه البطيء فيتنحنى عنه ، ويستبطنه السريع فيتنحنى عنها ايضاً .
يقولون لي لست والعالم الذي تسكته سوى ذرة رمل على شاطئه بحر الانهاية
وليس العالم أجمع سوى ذرات على شاطئي .

أشتاق الى الا بدية لاني سأجتمع فيها بقصائدِي غير المنظومة وصورِي غير المرسومة -
أنا الشعلة وأنا الهشيم وبعدي يا كل بعدي فهلا حولت وجهك عني كي لا
يعميك دخاني ؟

كيف أشك بعدل الحياة وأحلام من يفترش الريش ليست باجمل من أحلام
من يفترش الثرى ؟

لولا جهلي ما تعرفونه لما عرفت ما تجهلوه .
كيف يستطيع صربع الرأس أن يفتكر أفكاراً مستديرة ؟
اللؤلؤة هيكل بناء الالم حول حبة رمل وأجسادنا هيا كل بناتها التشويق حول
ذرات من الروح .

كلما وضع أمامي شكل من الطعام أسأل ذاتي ما هذا الذي سأتهمه الآن ياترى
أعلم شمسي كامل التكوين أم سديم لم يكمل بعد .

ما أضيق عيش من يؤثر اجتهد التقل على انشاد الجنادب !

المتدين لا يتمذهب والمتذهب لا دين له .

هل كانت محبة أم يوداص ولودها أقل من محبة صريم ليسوع ؟
تو قال الشتاء « الربيع مختبئ في قلبي » فمن ياترى يصدقه ؟
لأجعلني يا رب فريسة للأسد قبل ان تجعل الارنب فريسة لي .

الجعل يارب قوة اعدائي مضارعة لقوى كي لا تكون الغلبة الا للحق .
اذا كان القصد من الدين الثواب ، ومن الوطنية المصلحة ، ومن العمل التفوق ،
اذن فاعطني الدنيوي الحر ، وعديم الوطنية الخلاص ، والغبي التواضع .
سيأتي زمن يأبى فيه ابناءه الانتساب اليانا مثلكم يأبى بعضا انتساب ^{آله}
طائفة السعادين .

بعض الناس يسمعونت باذانهم والبعض يطعنهم والبعض يحيو بهم والبعض
لا يسمع ابدا .

ما أشبه أرواح بعض الناس بالاسفنج فانك لا تستقر منها الا ما امتصته منك .
أبعد الناس عن قلبي راغب يمثل دور مرغوب .
لو وجد رجلان متشابهان لما وسعتها الدنيا .
ولدت ثانية لما تزوج جسدي من نفسي .
قلت للحياة الا فأسمعني الموت متكلماً فرفعت الحياة صوتها عن ذي قبل وقالت
أنت تسمعه الآن .

هذا تاريخ البشر — ولادة وزواج وموت ثم ولادة وزواج وموت ثم ولادة وزواج
وموت — ولكن في خبر كل عهد من سلسلة أجيال خالية الا من الولادة والزواج
والموت يظهر في الارض مجانون ذو فكرة غريبة وبقص على البشر حلمًا رأاه في عالم غير
هذا العالم وبين مخلوقات أرق من سكان هذه الارض الذين لا يرون في أحلامهم سوى
الولادة والزواج والموت .

انها الانتظار سنا يك الزمن .

ما أغربني عند ما أشكوا ^{الله} فيه لذتي
عند ما تبلغ قلب الحياة تجد أنك لست أرفع من الجرمين ولا أدنى من الانبياء .
أكثر ذوي العواطف الرقيقة يتسرعون بمس عواطفك خوفاً من أن تسبقهم
وتمس عواطفهم .

عند ما يلمس الرجل يده بيد امرأة يلمس كلابها أذیال ثوب الابلية .
 حما أكثر النساء اللواتي يستهون قلب الرجل وما أقل اللواتي يمتلكنه .
 قوله انك لا تفهمي مني لا تستحقه أنت وأهانة لا تستحقها أنت .
 لم تكن المجرة في داخلي لما عرفت بوجودها .

وقفت أمامك صرآة صافية فنظرت بي ورأيت ذاتك منعكسة بخطوطها والوانها
 غتوهت انك تحبني والحقيقة انك لم تحب سوى شبحك .
 للرجل العظيم قلبان ، قلب يدمي وقلب يتجلد .

قد تخور الصداع كالجوميس غير أنها لا تجر المحراث في الحقل ولا النوارج على
 البيدر أما جلودها فلا تصلح للاحدية .

كم مرة عزوت لنفسي جرائم لم أرتكبها قط كي لا أظهر أرفع من يجالسني
 من الجرميين .

حجتي تقنع الجاهم وحجة الحكم تقنعني . أما من تراوحت عاقلته بين الحكمة
 والجهالة فلا أقنعه ولا يقنعني .





المقتد بن عباد

جبرانه خليل جبرانه

العهد الجديد

في الشرق اليوم فكتان متصارعتان ، فكرة قديمة وفكرة جديدة . أما الفكرة القديمة فستغلب على أمرها لأنها منهكة القوى محلولة العزم وفي الشرق يقظة تراود النوم ، واليقظة قاهرة لأن الشمس قائدها والفجر جيشه وفي حقول الشرق ، ولقد كان الشرق بالامس مبانة واسعة الارجاء ، يقف اليوم فتى الرياح منادياً سكان الاجداد ليهبا ويسيروا مع الايام اذا ما أنسد الربيع اغنية بُث مصروع الشتا . وخلع أكفانه ومشي وفي فضاء الشرق اهتزازات حية تنمو وتمدد وتوسيع وتناول النفوس المتنبه الحساسة فتضمهما اليها ، وتحيط بالقلوب الابية الشاعرة لتكلسها وللشرق اليوم سيدان ، سيد يأمر وينهي ويطاع ولكن شيخ يختضر ، وسيد ساكت بسكت النوميس والأنظمة ، هادي بهدوء الحق ، ولكنه جبار مقتول الساعدين يعرف عزمه ويثق بكيانه ويؤمن بصلاحيته

* * *

في الشرق اليوم رجالان ، رجل الامس ورجل الغد ، فأي منهما أنت أيها الشرق ؟
ألا فاقرب مني لاتفرسك وأتبصرك وأتحقق من ملامحك ومظاهرك ما إذا كنت من الآتين الى النور أو الذاهبين الى الظلم تعال واخبرني ما أنت ومن أنت

أسياسي يقول في سره « أريد ان اتفعم من أمري » ؟ أم غبور متحمس يهمس في نفسه « أتوق الى نعم أمري » ؟

ان كنت الاول فانت بنت طفيلية ، وان كنت الثاني فانت واحة في صحراء آثار يتخذ عوز الناس وسيلة للربح والاتفاق فيحتكر الضروريات ليبيع بدينار

ما ابتعاه بدرهم ؟ ام رجل جدِّ واجتهد يسهل التبادل بين الحاثك والزارع ويجعل نفسه
حلقة بين الراغب والمرغوب ، فيفيد المرغوب والراغب ويستفيد بعذل منهما ؟
ان كنت الاول فأنت مجرم سكنت القصور أم السجون ، وان كنت الثاني فأنت
محسن شكرك الناس أم جحدوك

أرئيس دين يحوك من سذاجة القوم برفيراً لجسده ، ويصوغ من بساطة قلوبهم
ناجاً لرأسه ، ويدعى كره ابليس ويعيش بخيراته ؟ ام تقي ورع برى في فضيلة الفرد
أساساً لرقي الامة ، وفي استقصاء اسرار روحه سلماً الى الروح الكلية ؟

ان كنت الاول فأنت كافر ملحد صُمت النهار أو صليت الليل ، وان كنت
الثاني فأنت زنبقة في جنة الحق ضاع ارجيها بين أنوف البشر أم تصاعد حراً طليقاً
إلى الغلاف الاثيري حيث تحفظ أنفاس الازهار

أصحابي يبيع فكرته ومبدأه في سوق النخاسين وينمو ويتزرع على ما يفرزه
الاجتماع من أخبار المصائب والويلات . ونظير الشوحة الجائعة لا تهبط الى على الحيف
المتننة ؟ ام معلم واقف على منبر من منابر المدنية يستمد من ما في الايام مواعظ يلقبها
على الناس بعد ان يتعظ بها هو نفسه ؟

ان كنت الاول فأنت بثور وقروح ، وان كنت الثاني فدواء وبلسم
احاكم يتضاغر أمام من ولاه ويستصغر من تولى عليهم ، فلا يحرك يداً الا يضعها في
جيوبهم ، ولا يخطو خطوة الا لمطعم له فيهم ؟ ام خادم أمين يدير شؤون الشعب
ويشهد على مصالحه ويسعى الى تحقيق أمانيه ؟

ان كنت الاول فأنت زوان في يبادر الامة ، وان كنت الثاني فأنت بركة في
اهرائها

أزوج يستبيح لنفسه ما يحرمه على زوجته ، ويسرح ويمرح وفي حزنه مفتاح
سجنهما ، ويلتهم ما يشهيه حتى التخمة وهي جالسة في وحدتها امام صحفة فارغة ؟ ام
رفيق لا يسير الى امر الا ويده بيد رفيقته ولا يفعل امراً الا ولها فيه فكرة ورأي ،
ولا يفوز بأمر الا لتساهمه افراحه وأمجاده ؟

ان كنت الاول فأنت مما يقي حيآ من قبائل اقرضت وهي تسكن الگھوف وتلبس
الجلود ، ان كنت الثاني فأنت في طليعة أمة تسير مع الفجر نحو ظهيرة المدالة والمحصافة
أـ كاتب بحثة يشمخ برأسه الى ما فوق رؤوسنا أما ما في داخل رأسه فيدب في
حوة الماضي الغابر حيث القت الاجيال مارث من أنواعها ، ورمي مالم يعد صالحآ لها ،
أم فكرة ضافية تتفحص محيطها لتعلم ما ينفعه وما يضره فتصرف العمر في بناء النافع
وهدم المضر ؟

ان كنت الاول فأنت سخافة مطرسة وبلادة مزركشة ، وان كنت الثاني فأنت
نجزي للجائعين وماه لظائمين

أشاعر انت يضرب الطنبور امام ابواب الامراء وينثر الازهار في الاعراس ،
ويسيـر وراء الحيث الهاـدة وبين فـكـيهـ أـسـفـنـجـهـ مـثـلـةـ بـلـاءـ الفـاتـرـ حتىـ اذاـ ماـ بلـغـ المـقـبرـةـ
خفـطـ عـلـيـهـ بـلـسـانـهـ وـشـفـتـيهـ ، أمـ موـهـوبـ وضعـ اللهـ فيـ يـدـهـ قـيـشـارـةـ يـسـتوـلـدـهاـ انـقامـاـ عـلـوـيةـ
تجـذـبـ قـلـوبـناـ وـنـوقـنـاـ مـتـهـيـيـنـ اـمـامـ الحـيـاةـ وـماـ فـيـ الحـيـاةـ مـنـ الجـالـ وـالـهـولـ ؟

ان كنت الاول فأنت من المشعوذين الذين لا ينبهون في نفوسنا سوى عكس
ما يقصدون فان تبا كوا نضحك ، وان صروا نكتئب ، وان كنت الثاني فأنت بصيرة
خشوعة وراء بصرنا . وسوق عذب في قلوبنا ، ورؤيا ربانية في غيبو بتنا

* * *

أقول في الشرق موکبان ، موکب من عجائز محدودي الظهور ، يسيرون متوكفين
على العصي " الموجاء ، ويلهبون منهوكين مع انهم ينحدرون من الاعالي الى المنخفضات ،
وهوکب من فتيان يتراکضون كأن في ارجلهم أجنحة ، ويهالون كأن في حناجرم أوبارا ،
ويتهبون العقبات كأن في جهات الحال قوة تجذبهم وسحرا يختلب لبابهم
فنـ آيـةـ فـتـةـ أـنـتـ إـيـهـاـ الشـرـقـ وـفـيـ آيـ وـكـبـ تـسـيرـ ؟

الـ اـ فـاسـلـ نـفـسـكـ ، اـسـتـجـوـبـهاـ فـيـ سـكـيـنـةـ اللـيـلـ وـقـدـ صـحـتـ منـ مـخـدـرـاتـ محـيـطـهاـ
عـماـ اـذـاـ كـنـتـ مـنـ عـبـيدـ الـامـسـ أـمـ مـنـ أـحـرـارـ الـقـدـ ؟

أقول لك ان أبناء الامس يمشون في جنازة العهد الذي أوجدهم وأوجدوه . أقول
إنهم يشدون بمحب اوهت الايام خيوطه ، فإذا ما اقطع — وعما قريب ينقطع —
هبط من تعلق به الى حفرة النسيان . أقول إنهم يسكنون منازل متداعية الاركان ، فإذا
ما هبت العاصفة — وهي على وشك الهبوط — انهدمت تلك المنازل على رؤوسهم
وكان لهم قبوراً أقول ان أفكارهم وأقوالهم ومنازعهم وتصانيفهم ودواوينهم ونحو كل
ما آتتهم ليست سوى قيود تجبرهم بثقلها ولا يستطيعون جرها لضعفهم
أما ابناء الغد فهم الذين نادتهم الحياة فاتبعوها باقدام ثابتة ورؤوس مرفوعة .
هم فجر عهد جريء ، فلا الدخان يحجب أنوارهم ، ولا قلقلة السلاسل تغمر اصواتهم ؛
ولا نتن المستنقعات يتغلب على طيبهم . هم طائفة قليلة العدد بين طوائف كثيرة عددها ،
ولكن في الفصن المزهر مالبس في غابة يابسة ، وفي حبة القمح مالبس في راية من
التبغ . هم فئة مجهرولة لكنهم يعرفون بعضهم بعضاً ومثل قم عالية يرى واحدهم الآخر
ويسمع نداءه ويناجيه ، اما المعاور فهم ياء لا ترى ، وطرشاء لا تسمع . هم النواة التي
طرحها الله في حقلةٍ مَا فشققت قشرتها بعزم لبابها ، وتمايلت نصفة غضة امام وجه
الشمس ، وسوف تنمو شجرة عظمى تتد عروقها الى قلب الارض وتتصاعد فروعها الى
اعماق الفضاء



على شاطئِ البحار

« صرب »

إذا اتصف النهار وتناولات الطعام كنت أذهب مع رفيقي المدرسي وقتش كلانا على مكان رطب في قمة الصخور المشرفة على البحر لنقضي الساعات الحارة من النهار بـ
في النظر وطوراً في التأمل والمطالعة

وكان أول مجلد صرف فكري إليه كتاباً إيطالياً صغيراً يسمى كتابات « جاكوبى أورتيس » يبحث عن السياسة والفرام مما . وهو متداول بين الشباب الذين يحملون نظيرنا بوسام العشق وناج السياسة ثم تلوت رواية بولس وفرجينيا تأليف برناردين دي سان بيير وهذا الكتاب المختصر للممثل الحب الصافي يحال لي أنه صفحة جلبلة لعظة أولاد الملوك ممزوجة من قلب التاريخ البشري ومحفوظة بغاية العفة والطهارة بدروع سريعة العدوى لاعين ستة عشر عاماً . وبعد هذا قرأت كتاب تأسست ذلك الكتاب المشتمل على صفحات ملأى بالفساد والعار حيث يمثل فيه الفضيلة قابضة بعزم ثابت على قلم النقاش لرسم صورة ظاهرة وغير منها من التاريخ الذي يوحى للذين يفهمونه بعض الظلم والاستبداد وقوة الاسترقاء الشديد وهذه الكتب الثلاثة مطابقة للحاسبات التي كانت منذ ذلك الزمان كدليل القلب فتهز في أنفسنا أوتار الحب والشهامة وإدارة لاعمال الخطيرة التي كان يمثلها لنا تأسست وينعش بها أنفسنا منذ حداثتها بنار الفضيلة القديمة .
وكنا نقرأ بصوت عال فنتعجب تارة ونبكي تارة ونتأمل طوراً وينبئ أحياناً علينا سكون طويل وعميق لا يتخلله إلا بعض تأوهات متباينة كأنها تظهر لنا بدون تروي إنفعالاتنا وتضمحل مع الريح بأحلامنا ثم تنتقل بالتصورات إلى بعض المواضيع الخيالية التي كان الشاعر أو المؤلف يقصها علينا ويجعل أنفسنا محل العاشق الخيالي الوطني المجاهد في سبيل الحياة وعند غريب الشمس كنا نقطع المسافات الطويلة حتى نعود إلى المدينة وجوهنا وأيدينا ملائى من الهدايا ونلتئم بالعائلة على سطح المنزل ولا شيء مبهج وجدير .

بالتوصير سوى منظر السطح في نور القمر ونغمات الآلات الموسيقية التي تشبه أنين الغابة
المضطربة من الأمواج أو بغناء الزرزور المقلق في الشمس وفي وسط الطبيعة الهادئة
وإذ ذاك كان يوجد في الاهواء والهيبات حتى في جنون ذلك الهذيان المفرح شيء من
اللوقار والحزن كما وان كل فرح لم يكن سوى جنون زائل وهكذا الشبيهة والجمال لكن
يمحصل على شرارة أو لمعة في السعادة يتحاجان إلى الطيش ويصبحان في حالة مثلث ولهم
أن الآلات كانت مفرحة والمواقف تترجم عن حاسيات الفرح والسرور فقد كانت
اللحان الحزنة والأغاني المشجعة المبكية والعلامات الموسيقية البطيئة والنادرة تذهب إلى
أعماق الفؤاد وتهز أوتار القلب النائمة

وهذه هي حالة الموسيقى في أي مكان حيث لم تكن حركة إلا وهي للأذن فقط بل
هي حركة الاهواء والأميرال التي تخرج مع الصوت وكل تلك الحركات هي زفات وكل
تلك العلامات تسكب الدموع الغزيرة مع الصوت

فلم يكن أن نقع بشدة على قلب الإنسان بدون أن تهطل من اقامة الدموع طالما
الطبيعة مملوءة من حزن عميق وطالما الحرك لها يخرج لخناً من أفواهنا ودموعاً من عيوننا
وطالما كنا نتوسل ونستعطف الصبية بأدب لكي ترقص التار تلا (نوع من الرقص
الوطني في إيطاليا على أصوات النقارة) فكانت تدور على ذاتها مجذوبة بالحركة المستديرة
من ذلك الرقص الوطني مقلدة بتأملها تصفيق النقارات فينحدر عرقها على أقدامها نظير
 قطرات المطر المتساقطة على السطح

ويالله ما أجمل ذلك المنظر وما أشد وقعاً على النفس والشعور فقد مرّ على عشرين
عاماً وأنا لا أزال أذكره وأنتخيل به كأنه ابن اليوم بل الساعة التي أنا فيها

وهكذا تبقى أبهج أيام الشباب وأكثرها على النفس إلى زمن الرجولية والهرم والـ
نهاية حياة الإنسان تكون له سلوى في الشيخوخة وعزاء في انتهاء الأجل

وإذا كانت تلك الصفحة هي صفحة الحياة الأولى التي قضيتها تحت سماء إيطاليا
وبين ربع نابولي وعلى شاطئ البحر بين تدافع الأمواج فهي صفحة خالدة في نفسي
وعواطفني وشعوري وستبقى كذلك ذات تأثير فعال في حياتي الثانية تحت عرش الله

الضمير

مصرب

فَرَّ قَايِينَ مِنْ إِيمَانِ رَبِّهِ يُضْرِبُ فِي بَيْدَاءِ الْأَرْضِ حَتَّىٰ بَلَغَ ذَاتَ مَسَاءٍ سَفْحَ جَبَلٍ فِيهِ
سَهْلٌ فَسِيقٌ وَكُلُّنَّ التَّعْبَ قَدْ لَهُكَ اسْرَأَهُ وَأَوْلَادَهُ فَانطَرَحُوا عَلَى الْأَرْضِ وَنَامُوا بَيْنَ
الرُّوعَةِ وَالْمَوْعَةِ

رَانَ الْقَرْيَ عَلَى عَيْوَنِهِمْ أَمَا قَايِينَ خَلْسٌ وَغَاصٌ فِي تَأْمَلَتِهِ وَهُوَاجِسُهُ لَأَنَّ النَّوْمَ
كَانَ بَعِيدًا عَنْ عَيْنِيهِ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ الْحَالِكَةِ فَرَأَى فِي أَقْصَى الْأَفْقِ عَيْنَاهَا هَائِلَّةَ
مَنْتَوْحَةً تَحْدِقُ فِيهِ تَحْدِيقًا شَدِيدًا فَمَرَّتْ رَعْدَةً وَهَلَكَ مِنْهُ الْخُوفُ فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : لَا أَزَالَ
عَلَى مَقْرَبَةِ مِنْهُ . ثُمَّ قَامَ وَأَيْقَظَ اسْرَأَهُ وَأَوْلَادَهُ وَعَادَ الْمَسِيرُ فَطُوْيُ الْفَيَافِي حَزِينًا كَثِيرًا
وَلَبِثَ ثَلَاثَيْنِ يَوْمًا وَثَلَاثَيْنِ لَيْلَةً هَائِمًا عَلَى وَجْهِهِ شَاحِبُ الْلَّوْنِ مَضْعُضُ الْحَوَاسِ لَا يُنْطِقُ
يَنْتَشِرُ شَفَةٌ وَلَا يَجْسِرُ أَنْ يَنْظُرَ وَرَاءَهُ وَلَا أَنْ يَنْامَ حَتَّىٰ اتَّهَىٰ إِلَى سَاحِلِ الْبَحَارِ فِي أَرْضِ
أَشْوَرٍ وَهَذَاكَ قَالَ لَنْلَقِ عَصَا التَّرْحَالِ فِي هَذَا الْمَكَانِ اسْكُونْ فِي أَمَانٍ . أَجْلِ لَنْقَمْ هَنَا
فَقَدْ جَاوزَنَا حَدُودُ هَذَا الْعَالَمَ . وَبَيْنَمَا كَانَ يَنْحِنِي لِيَجْلِسَ إِذْ بَهُ يَرِى فِي الْجَوَاقِيمِ الْعَيْنَ
نَفْسَهَا فِي وَضْعِهَا نَفْسَهُ فِي أَقْصَى الْأَفْقِ فَاضْطَرَبَ عَنْدَ ذَلِكَ اضْطَرَابًا شَدِيدًا وَأَخْذَ
يَنْتَفِضُ مِنْ شَدَّةِ الْخُوفِ وَالْوَجْلِ وَصَاحَ بَنْ حَوْلَهُ (اخْفُونِي) وَكَانَ أَوْلَادُهُ وَاقِفِينَ يَنْظُرُونَ
إِلَيْهِ بِأَكْتَبَ وَحْزَنٍ وَاصْبَاهُمْ عَلَى شَفَاهِهِمْ

الْتَّفَتْ قَايِينَ إِلَى جَوْبَالَ جَرَّ الذِّينَ يَعِيشُونَ فِي الْقَفَارِ تَحْتَ مَضَارِبِ الْوَبَرِ وَقَالَ لَهُمْ
مَدَّا مِنْ هَذِهِ الْجَهَةِ سَتَارٌ لِلْخِيمَةِ فَنَشَرَ السَّتَارَ وَوَضَعَ عَلَيْهِ ثَقَلاً عَظِيمًا مِنَ الرَّصَاصِ .
وَحِينَئِذٍ قَالَتْ لَهُ تَسِيلًا حَفِيدَتِهِ وَكَانَتْ رَقِيقَةً كَالصَّبَاحِ . هَلْ تَرَى بَعْدُ شَيْئًا ؟ أَجَابَهُ
قَايِينَ أَيَّ نَعْمَ هَذِهِ هِيَ الْعَيْنُ لَا أَزَالَ ارَاهَا

فَقَامَ جَوْبَالَ وَنَفَخَ فِي الْأَبْوَاقِ وَضَرَبَ عَلَى الطَّبُولِ وَصَاحَ : لَا بَدْ مِنْ أَنْ أَقِيمَ حَاجِزًا .

دونها شم بني جداراً كثيناً من الحديد ووضع قاين وراءه ولكن قاين نظر وقال لا .

هذه العين لازال تنظر اليَّ

أجاب جو بال يجب ان تقيم دائرة منيعة من الاسوار لا يجسر واحد ان يقرب منها
فلبن مدينة ولنقم فيها قلعة حصينة ثم نلقنها فقام حينئذٍ تيال ابو الحدادين بشيد
مدينة هائلة تفوق طاقة البشر و بينما هو دائم في العمل كان اخوه يطأدون اولاده فوش

وشيت في السهل ويفقوئ عين كل من يجسر على المرور

وفي المساء أخذوا يطلقون السهام ويرشدون بها النجوم حتى قامت المدينة وجمل
الصوان فيها مقام مضارب الشعر وشدت الصخور بسلاسل من حديد فكان يخال بن
يراها أنها بناية من بنايات الجحيم لأن اسوارها كانت بكثافة الجبال وظلها كان يحجب
النور عن البراري ونقشوا على ابوابها هذه الكلمات (محظوظ على العلي الدخول)

ولما فرغوا من السد والبناء وضعوا الجدب في الوسط ضمن برج من الصخور ولكن
خل حزيناً من تعداً فنادته تسيلا وهي ترتجف . يا أبي هل اختفت العين فأجاب : لازال
هنا . ثم قال اريد ان اسكن تحت التراب كالميت في قبره لا ارى ولا ارى
فحفروا حفرة وقال قاين : حسناً ثم نزل وحده في تلك الهرة المظلمة . ولما اجلس
على مقعد وسط الظلام واغلقوا عليه الحفرة كانت العين في القبر وكانت تحدق بقاين ...





ديك الجن الحصي

جبرانه خليل جبرانه

الوحدة والانفراد

للحياة جزيرة في بحر من الوحدة والانفراد

الحياة جزيرة صخورها الاماني ، واسجارها الاحلام ، وازهارها الوحشية ،

وينابيعها التمطش وهي في وسط بحر من الوحدة والانفراد

حياتك يا اخي جزيرة منفصلة عن جميع الجزر والاقاليم ومهما سيرت من المراكب

والزوارق الى الشواطئ الاخرى ومهما بلغ شواطئك من الاساطيل والمعارات فائت اثنى

الجزيرة المنفردة بالامها المستوحدة بافراحها البعيدة بحنينها المجهولة بأسرها وخفاياها

رأيتك يا اخي جالساً على راية من الذهب وأنت فرح بثروتك متفوق بفنائك شاعر

ان في كل حفنة من التبر سلكاً « خفياً » يصل فكرة الناس بفكرتك ويربط ميوتهم

بميولك . ومثل فاعم كبير تبصرتك تقود فياليق جنود الصفر الى المعاقل الحصينة فتدكها

والى المستحکمات المنيعة فتمتلکها ولکنني نظرت اليك ثانية فرأيت وراء جدران

خزانتك قلباً يختلج في وحدته وانفراده اختلاج ظاهري في قفص مصنوع من الذهب

والجوهر ولكنكه خال من الماء

رأيتك يا اخي جالساً على عرش من المجد وقد وقف حولك الناس متربين باسمك

مرددين حسناتك معددين مواهبك محدثين بك كأنهم في حضرةنبي يرفع ارواحهم

بعزم روحه ويطوف بها بين النجوم والكواكب ، وانت تنظر اليهم وعلى وجهك سيماء

النبطة والقوة والتغلب كانك منهم بقام الروح من الجسد . ولکنني نظرت اليك ثانية

فرأيت ذاتك المستوحدة واقفة الى جانب عرشك وهي تتوجع بغرتها وت نفس بوحشتها

ثم رأيتها تند يدها الى كل ناحية كأنها تستعطف وتستعطي الاشباح غير المنظورة . ثم

رأيتها تنظر من فوق رؤوس الناس الى مكان قصي الى مكان خالٍ من كل شيء سوى

وحديها وانفرادها

رأيتك يا اخي مشغوفاً بحب امرأة جميلة وأنت تسكب على مفرق شعرها ذوب

قلبك وتملاً راحتها قبل شفتوك وهي تنظر اليك واسعة الانعطاف في عينيها وحلاؤه

الامومة على ثغراها فقلت بسري لقد أزالت المحبة وحدة هذا الرجل ومحى افراده فعاد
وأتصل بالروح الكلية العامة التي تجذب اليها بالحب ما انفصل عنها بالخلو والسلوات
ولبكتني نظرت اليك ثانية فرأيت طي قلبك المشغوف قلباً منفراً ي يريد أن يسكن
مخابئه على رأس المرأة ولا يقدر ورأيت وراء نفسك الذائبة جسماً نفساً أخرى مستوحدة
شبيهة بالضباب تروم ان تحول في حفنتي رفيقتك الى قطرات من الدموع ولكنها لا تستطيع

* * *

حياتك يا أخي منزل منفرد عن جميع المنازل والاحياء
حياتك المعنوية منزل بعيد عن سبل الظواهر والمظاهر التي يدعوها الناس باسمك.
فإن كان هذا المنزل مظلماً فانت لا تقدر أن تثيره بسراج قريبك وإن كان خالياً فانت
لاتستطيع ان تملأه من خيرات جارك وإن كان قائماً في صحراء فانت لا تقدر ان تنقله
إلى حديقة غرسها سواك وإن كان متتصباً على قمة جبل فانت لا تستطيع ان تهبط به إلى
وادٍ وطئةه أقدام غيرك
حياتك النفسية يا أخي محاطة بالوحدة والانفراد ولو لا هذه الوحدة وذاك الانفراد
لما كنت أنت وأنا أنا . لو لا هذه الوحدة وذاك الانفراد لكونت إن سمعت صوتك
ظننتني متكلماً . وإن رأيت وجهك توهمت تقسي ناظراً في المرأة

موت الشاعر حياته

خيم الليل بمنحوه فوق المدينة وألبسها الثلوج ثوباً وهزم البرد ابن آدم من الأسواق
فاختبأ في أوكراره وكانت الأرواح تتاؤه بين المساكن كمؤمن وقف بين القبور الرخامية
يرثي فريسة الأسد

وكان في أطراف الاحياء يدت حقير تداعت أركانه وأنقلته الثلوج حتى أوشك
أن يسقط . وفي احدى زوايا ذلك البيت فراش بال عليه مختضر ينظر إلى سراج ضيق
يفالب الظلمة فتلبه . فتى في ربيع العمر قد علم بقرب أجل انتقامه من قيود الحياة فصار
يتناول المنية وعلى وجهه المصفر نور الأمل ، وعلى شفتيه ابتسامة محزنة ، شاعر جاء ليفرح
قلب انسان بأقواله الجميلة ، يموت جوعاً في مدينة الاحياء الاغنياء . نفس شريفة هبطت مع
نسم الاله لتحمل الحياة عذبة تودع دنيانا قبل أن تبتسم لها الانسانية . منازع يتهدى أنفاسه
الاخيرة وليس بقربه سوى سراج كان رفيق وحده وأوراق عليها خيالات روحه الطيبة
جمع ذاك الفتى المختضر بقايا قوة قاربت الفناء ورفع يديه نحو العلاء وحرك أجنفه
الذابلة كأنه يريد أن يخترق بنظراته الاخيرة سقف ذلك الكوخ البالي ليري النجوم
ثم قال تعالى أيتها المنية الجميلة فقد اشتاقت نفسى ، اقتربى وحلي قيود المادة فقد تعبت
من جرها ، تعالى أيها الحلوة وانقذيني من بين البشر الذين يحبونني غريبا عنهم لاني
أتترجم ما أسمعه من الملائكة الى لغة البشرية ، اسرعى نحوى فقد تخلى عنى الانسان
وطرحي في زوايا النسيان لاني لم أكن طاماً بالمال نظيره ولا باستخدام من هو أضعف
مني ، تعالى أيتها المنية العذبة وخذيني فأولاد مجدي لا يحتاجون اليه ضميمي الى صدرك
المملوء محبة ، قبل شفتي اللتين لم تذوقا طعم قبلة الوالدة ولا لستا وجنة الاخت ولا
لتها شفر المحبوبة ، وأسرعى وعاقبني يا حبيبي المنية ، اذ ذاك اتصب بجانب فراش المنارع
طيف امرأة ذات جمال غير بشري ترتدي ثوباً ناصعاً كالثلج وتتحمل يدها اكيل
ذباب من نبت الحقول الملوية ثم دنت منه وعاقته وغضبت عينيه كي يراها بين قصه

وَقَبَلَتْ شَفْتِيهِ قَبْلَةَ حَبَّةِ قَبْلَةٍ تَرَكَتْ عَلَى شَفْتِيهِ أَبْنَاسَةً اسْتَكْفَاهُ وَفِي تِلْكَ الدِّقْيَةِ أَصْبَحَ
ذَلِكَ الْبَيْتُ خَالِيًّا مِنَ التَّرَابِ وَبَعْضِ أُوراقِهِ مُشَوَّرٌ فِي زَوَالِ الظَّلَامِ
مَرَأَتِ الْأَجْيَالَ وَسَكَانَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ غَرَقَ فِي سَبَاتِ الْجَمْودِ وَكَرَى الْأَهْمَالِ وَعَدَمِ
الْإِكْتَرَاثِ وَلَا أَفَاقُوا وَرَأَتِ عَيْنُهُمْ فَجَرَ الْمَعْرِفَةِ أَقَامُوا لِذَلِكَ الشَّاعِرَ نَمَثَالًاً عَظِيمًاً فِي
وَسْطِ السَّاجِةِ الْمُمُومَةِ . وَعِيدُوا لَهُ فِي كُلِّ عَامٍ عِيدًاً . . . آهَ مَا أَجْهَلُ الْإِنْسَانَ

حياة الحب

— الربيع —

هَلَّمِي يَا حِبْوبِي نَمَشَ بَيْنَ الطَّلَولِ ، فَقَدْ ذَابَتِ الثَّلَوْجُ ، وَهَبَتِ الْحَيَاةُ مِنْ سَرَادِهَا
وَتَمَاهَيْلَتِ فِي الْأَوْدِيَةِ وَالْمَنَدِرَاتِ . سَيِّرِي مَعِي لِتَنْبِعِ آثَارَ اقْدَامِ الرَّبِيعِ فِي الْحَفَلِ الْبَعِيدِ .
تَمَاءَلِي لِنَصْدُدَ إِلَى اعْلَى الْرَّبِيعِ وَتَأْمَلُ فِي تَمَوجَاتِ اخْضَرَارِ السَّهُولِ حَوْلَهَا .

هَا قَدْ نَشَرَ فَجَرَ الرَّبِيعُ ثُوَبًا طَوَاهُ لَيلَ الشَّتَاءِ فَأَكَبَتْتُ بِهِ أَشْجَارَ الْخَوْنَ وَالْتَّفَاحِ
فَظَهَرَتْ كَالْعَرَائِسِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَاسْتِيقَظَتِ الْكَرْوَمُ وَتَعَانَقَتْ قَضْبَانِهَا كَمَا شَرَعَ الْمَشَاقُ ،
وَجَرَتِ الْجَدَالُونَ رَاقِصَةً بَيْنَ الصَّخْوَرِ مَرَدَدَةً أَغْنِيَةَ الْفَرَحِ ، وَانْبَشَقَتِ الْأَزْهَارُ مِنْ قَلْبِ
الْطَّبِيعَةِ ابْنَاثَقِ الزَّبْدِ مِنَ الْبَحْرِ .

تَمَاءَلِي لِلنَّشَرِبِ بِقَائِيَا دَمْوَعَ الْمَطَرِ مِنْ كَوْسِ النَّرْجِسِ وَنَمَلَأْ تَقْسِيْنَا بِأَغْانِيِ الْعَصَافِيرِ
الْمَسْرُورَةِ وَنَقْنُومُ اسْتِنْشَاقِ عَطْرِ النَّسِيَّاتِ .

لِنَجْلُسُ بِقَرْبِ تِلْكَ الصَّخْرَةِ حِيثُ يَنْجُو بِهِ الْبَنْفَسَجُ وَتَبَادُلُ قَبَلَاتِ الْحَبَّةِ .

— الصيف —

هِيَا بَنَا إِلَى الْحَفَلِ يَا حِيَّبِي فَقَدْ جَاءَتِ أَيَّامُ الْحَصَادِ وَبَلَغَ الْرَّزْعُ مَبْلَفِهِ وَأَنْضَجَهُ
حِزَارَةُ حَبَّةِ الشَّمْسِ لِلطَّبِيعَةِ . تَعَالَى قَبْلَ انْ تَسْبِقَنَا الطَّيْوَرُ فَتَسْتَغْلِلُ أَنْعَابَنَا ، وَجَمَاعَةُ النَّمَلِ
فَتَأْخُذُ أَرْضَنَا . هَلَّي نَجْنِي نَمَارِ الْأَرْضِ مَثَلًا جَنْتَ النَّفْسِ حَبُوبُ السَّعَادَةِ مِنْ بَنْدُورِ الْوَقْدِ

التي زرعتها الحبة في أعماق قلبينا ، ونعلاً المخازن من تاج العناصر كاملاً لـ الحياة اهراً عواطفنا
هلي يا رفيقي نفترش الاعشاب ونلتحف السماء ونوسد رأسينا بضفت من القشر
النابع فترتاح من عمل النهار ونسمع مسامرة غدير الوادي .
— التريف —

لذهب الى السكمة يا محبو بي ونضر العنب ونوعيه في الاجران مثلما نوعي النفس
حكمة الاجيال ونجم الامصار اليابسة ونستقطر الازهار ونستعيض عن العين بالانر
لترجع نحو المساكن فقد اصفرت أوراق الاشجار ونثرها الهواء كأنه يريد ان
يكفن بها ازهاراً قضت لوعة عند ما ودعها الصيف . تعالي فقد رحلت الطيور نحو
الساحل وحملت معها أنس الرياض وخلفت الوحشة للباسدين والسيسبان فبكى باقي
الدموع على أديم التراب .

لترجع ، فالجدائل قد وقفت عن مسيرها ، والعيون نشفت دموع قرحمها ، والطلول
خلمت باهي أثوابها ، تعالي يا محبو بي ، فالطبيعة قد راودها النعاس ، فأمسكت تودع
البيضة بأغنية مهاوندية مؤثرة .

— الشتاء —

اقربني يا شريكه حياتي ، اقربني مني ولا تدعني أنقاس الثلوج تفصل جسمينا .
جلسني بجانبي امام هذا الموقد ، فالنار فاكهة الشتاء الشهية . حدثني بما تى الاجيال ،
فآذاني قد تعبت من تأوه الارياح وندب العناصر . اوصدني الابواب والنواوفد ، فرأى
وجه الجبو الفضوب بحزن نفسي والنظر الى المدينة الجالسة كالثكلى تحت أطباق الثلوج
يذمي قلبي . . اسقي السراح زيتاً . يا رفيقة عمري ، فقد اوشك ان ينطفئ ، وضععيه
بالقرب منك لاري ما كتبته الليالي على وجهك . . هات جرة الخمر لنشرب ونذكر أيام العصر .
اقربني ! — اقربني مني يا حبيبة نفسي فقد خدت النار وكماد الرماد يخفىها . .
ضموني فقد انطفأ السراج وتغلبت عليه الظلمة . . ها قد اثقلت علينا خمرة السنين . .
لرمياني بعين كلها النعاس . . عانقينا قبل أن يعانقنا الكرى .. قبليني فالثلوج قد تغلب
على كل شيء الا على قلبك .. آه يا حبيبي ما أعمق بحوزك . آه ما بعد الصباح .. في هذا العالم

في مدینة الاموات

تملأست بالامس من غوغاء المدينة وخرجت أمشي في الحقول الساكنة حتى بلغت
نسمة عالية ألبستها الطبيعة أجمل حلاتها . فوقفت وقد بانت المدينة بكل ما فيها من
البنيات الشاهقة والقصور الفخمة تحت غيمة كثيفة من دخان المعامل .

جلست أنا ملأ عن بعد في أعمال الانسان فوجدت أكثرها عنا ، فحاوت في
قلبي ألا افتكر بما صنعه ابن آدم وحوات عيني نحو المقل كرسى محمد الله فرأيت في وسطه
مقبرة ظهرت فيها الاحداث الرخامية المحاطة باشجار السرو

هذاك بين مدینة الاحياء ومدینة الاموات جلست أفكراً — أفكراً في كيفية العراك
المستمر والحركة الدائمة في هذه وفي السکينة السائدة والهدوء المستقر في تلك . من الجهة
الواحدة أمال وقنوط ، ومحبة وبغض ، وغنى وفقر ، واعتقاد وجحود ، ومن الاخرى
تراب في تراب تقلب الطبيعة بطنه ظاهراً وتبدع منه نباتاً ثم حيواناً وكل ذلك يتم
في سکينة الليل .

يدنا أنا مستسلم لعوامل هذه التأثيرات استلقت ناظري جمع غفير يسير الهوينا
تققدمه الموسيقى وبلاً الجو الحاناً محزنة . موكب جمع بين الفخامة والعظمة وألف بين
أشكال الناس . جنازة غني قوي . رفات ميت تتبعها الاحياء وهم يكونون ويولون
ويثنون بالهواء الصراح والعويل .

بلغوا الحياة فاجتمع الكهان يصلون ويخررون وانفرد الموسيقيون ينفحون الابواق
وبعد قليل انبرى الخطباء فأبنوا الراحل بمنتقى الكلام ثم الشعراً فرنوه بمنتخبات المعانى
وكل ذلك كان يتم بتطويل مملّ وبعد قليل اقشع الجميع عن جدث سابق في صنعه
الحفارون والمهندسوون وحوله أكاليل الازهار المنقة بأيدي المتنفسين .

رجع الموكب نحو المدينة وأنا انظر من بعيد وأفتكر
ومالت الشمس نحو الغروب واستطالت خيالات الصخور والأشجار وأخذت
تلجم أبواب النور .

في تلك الدقيقة نظرت فرأيت رجلين يقلان تابوتاً جنبياً ووراءهما امرأة ترثي
أطلاها باليسة وهي حاملة على منكبيها طفلاً رضيعاً وبجانبها كلب ينظر إليها تارة والى
التابوت أخرى - جنازة فقير حقير وراءها زوجة تدفر دموعاً لاسى طفل يبكي
بكاء أمه وكلب أمين يسير وفي مسيره حزن وكآبة .

وصلوا هؤلاء إلى المقبرة وأودعوا التابوت حفرة في زاوية بعيدة عن الاجداث الرخامية
ثم رجعوا بسكتة مؤثرة والكلب يتلفت نحو محطة رجال رفيقه حتى اختفوا عن بصرى
وراء الأشجار

فالتفتُّ إذ ذاك نحو مدينة الاحياء وقلت في نفسي : - تلك للاغنياء الاقوياء .
نعم نحو مدينة الاموات وقلت : - هذـلـلـلـاـغـنـيـاءـ الـاقـوـيـاءـ . فـأـيـنـ موـطـنـ الفـقـيرـ الضـعـيفـ يـارـبـ ؟
قلت هذا ونظرت نحو الغروب المتلبدة المتلوية اطرافها بذهب من أشعة الشمس
الجميلة . وسمعت صوتاً من داخلي يقول . . هناك .



بنات البحر

في أعماق البحر الذي يحيط بالجزائر القرية من مطلع الشمس — هنالك في الاعماق حيث الدر الكبير جثة فتى هامدة بقربها بنات البحر ذوات الشعور الذهبية قد جلسن بين نبات المرجان ينظرون اليها بعيونهن الزرقاء الجميلة ويتحدثن بأصوات موسيقية . حدثناً سمعته اللغة فحملته الأمواج الى الشواطئ فجاء به النسيم الى نفسي .

قالت واحدة : — « هذا بشريٌّ هبط بالامس اذ كان البحر حاتماً »
 فقالت الثانية : « لم يكن البحر حاتماً ولكن الانسان — وهو الذي يدعى بأنه من سلالة الاطه — كان في حرب حامية أهرقت فيها الدماء حتى صار لون الماء قرمزاً وهذا البشري هو قتيل الحرب . »

قالت الثالثة : — « لا ادرى ما هي الحرب ولكنني أعلم ان الانسان بعد ان تقلب على اليابسة طمع بالسيطرة على البحر فابتدع الآلات الغريبة وخر العباب فدري نبتون الله البحار وغضب من هذا التعدي فلم ير الانسان بدأ اذ ذاك من إرضاء مليكنا بالذائع والمدايا . فلا شلاء التي رأيناها بالامس هابطة هي آخر تقدمة من الانسان الى نبتون العظيم »

قالت الرابعة : — « ما أعظم نبتون ولكن ما أقسى قلبه . لو كنت أنا سلطانة البحار لما رضيت بالذائع الدموية . تعالين لنرى جثة هذا الشاب فربما أفادتنا شيئاً عن طاقة البشر » .

اقربت بنات البحر من جهان الشاب وبخن في جيوب أنوائه فعنن على رسالة في التوب الملائقة قلبه فأخذت الرسالة واحدة منه وقرأت :

« ياحبيبي . — هاقد اتصف الليل وانا ساهرة وليس لي مسلٌ غير دموعي ولا معزٌ سوى امي برجوعك اليـ من بين مخالب الحرب ولا اقدر بأن افكـر بما قلته لي عند الوداع بل عند كل انسان أمانة من الدمع لا بد من ردها يوماً .. لا ادرى ياحبيبي ماذا أكتب بل اترك نفسـي تسيل على الورق . تنسـي يعذبها الشقاء ويعزـبها الحب الذي يجعل الالم

لذة والحزان مسرا . لما وحَدَ الحب قلينا وصرنا تتوقع ضم جسمين تجول فيها روح واحدة نادثك الحرب فاتبعتها مدفوعاً بعوامل الواجب والوظنية . ما هذا الواجب الذي يفرق المحبين ويرمل النساء ويتم الأطفال ؟ ما هذه الوطنية التي من أجل أسباب صغيرة تدعى الحرب لتخريب البلاد ، ما هذا الواجب المحتوم على القروي المسكين والذي لا يحفل به القوي وابن الشرف الموروث ؟ اذا كان الواجب ينفي السلم من بين الأمم ، والوطنية تزعج سكينة حياة الإنسان ؟ فسلام على الواجب والوطنية . . . لا لا ياحبيبي ؟ لا تحفل بكلامي بل كن شجاعاً ومحباً لوطنك ولا تسمع كلام ابنة أمها الحب وأضاع بصيرتها الفراق . اذا كان الحب لا يرجمك الى في هذه الحياة فالحب يضمني اليك في الحياة الآتية »

وضعت بنات البحر تلك الرسالة تحت أنوار الشاب وسبحن بسكنة محزنة ولما بعدن قالت واحدة منهن : — « ان قلب الانسان أقسى من قلب نبتون »



شذرات

الحقيقة في المظاهر تحتاج إلى متكلم وسامع . أما الحقيقة في المصدر فلا تحتاج إلى لسان ولا إلى آذان

الكبير من الناس يعزى إلى الكبر ، والصغير منهم يشكو من صغرى . والغريب أن كلها محق عادل .

يقول لي منزلني « لا تفادي فاما حافظ اسرار ماضيك » وتقول لي السبل « قم واتبعني في منعطفاتي اسرار مستقبلك » . وانا أقول لمنزلي وللسبل « ليس لي ماض ولا مستقبل ، فان بقيت هنا في بقائي الذهاب ، وان ذهبت الى هناك في ذهابي البقاء » ما أبعدني عن البشر وأنا بينهم ، وما أقربتهم إلى أنا بعيد عنهم .

لا يحترم الناس الامومة الا اذا جاءت مرتبة بآواب شرائهم .

الحب كالموت يغير كل شيء

ارواح بعض الناس شبيهة باللوحات السوداء المعلقة على جدران المدرسة تكتب عليها أيام بعض الآيات والقواعد والأمثال ولكنها تعود وتحوّلها باسفنج بليلة .

حقيقة الموسيقى في ما يبقى من تعشاً بسمعتك بعد ان ينتهي المغني من انشاده ويقف العازف عن نقر أوتاره .

ما رغبت في أسر الا وقام من رغبتي فيه شيء يصدني عنه
قالت لي امرأة كيف أشك بأن الحرب الكونية كانت مقدرة وبمحيدة وقد صرخ
وحيداً في احدى ساحلاتها ؟

ماذا عسى أقول في من يستدين مالي ليشتري سيفاً ليبارزني به ؟
ليس هناك من قيمة للأعمال التي نستطيع ارجاعها او اسنادها الى أسباب معلومة لدينا .

قال لي نبي « حب عدوك » فامتثلت وأحببت ذاتي
يقول السواد للبياض لو كنت رمادياً لتساءلت معك .

ما أكثُرَ الَّذِينَ يَعْرُفُونَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يَعْرُفُونَ قِيمَةَ لَشَبِيهٍ .

تَرْجُمَةُ كُلِّ اسْرَىٰ مِكْتَوْبَةٍ عَلَى جَبَهَتِهِ وَلَكِنْ بِلِفَةٍ لَا يَحْسُنُ قِرَاءَتِهَا الْأَمْنُ أَوْنِي الْوَحْيِ -

مِنْذُ أَرَبِّيْنَ قَرْنَآ سَمِعْتُ فِي بَابِلِ اسْرَأَةً تَنُولُ حِلَارِهَا «عِنْدَ مَا قَالَ لِي كَذَا قَلْتَ

لَهُ كَذَا وَكَذَا» وَبِالْأَمْسِ سَمِعْتُهَا فِي نِيُويُورْكَ تَنَاهُ حِدِّيَّهَا حِلَارِهَا قَاتِلَةً «وَلَا أَجَابَنِي

بِكَذَا وَكَذَا عَدْتُ قَلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا»

أَرْنِي وَجْهَ أَمْكَ أَقْلَ لَكَ مِنْ أَنْتَ .

حِرْيَةٌ مِنْ يَتَبَعِّجُ بِحُرْيَتِهِ شَكْلٌ مِنْ الْعَبُودِيَّةِ .

يَشْكُرُنِي بِعَصْبِهِمْ لَا اقْرَارًا بِعِرْفَاتِ الْجَمِيلِ بَلْ لِيَذْيِعُ أَمَامَ النَّاسِ أَهْلِيَّتِهِ الرَّائِشَةَ:

لَمَوَاهِبِيِّ السَّنِيَّةِ .

لَيْسَ الذُّوقُ السَّلِيمُ بِالْتَّعْنَتِ أَوْ بِالْاِنْتِخَابِ بَلْ بِتَرتِيبِ الْأَشْيَاءِ وَإِجَادِ الْفَةِ طَبِيعِيَّةِ

بَيْنَ كَيْانِهَا وَمِنْ إِيَّاهَا .

خَشْوَةٌ بِعَصْبِهِمْ أَفْضَلُ مِنْ لَطْفِ الْبَعْضِ الْآخِرِ

أَشْهَدُ زَازَ النَّاسِ مَا لَا يَفْهَمُونَ كَأَشْهَدُ زَازَ الْمَهْمُوبِينَ مِنَ الْمَآكِلِ الشَّهِيَّةِ

لَيْسَ التَّرْثِيرَةُ عَيْنًا بَلْ مَرْضًا .

أَحَبُّ الْأَطْفَالَ وَلَكِنْ بَدْوُتْ لَهُ وَشَارِبَ وَاحْتَرَمَ الشَّيْوُخَ وَلَكِنْ لَيْسَ

بِالْمَهْبُودِ وَالْأَقْطَةِ .

الصلبان

المكان — منزل يوسف مسراة في بيروت
الزمان — ليلة من ليلي الخريف سنة ١٩٠١

الاشخاص

بولس الصليان موسقي وأديب

يوسف مسراة — كاتب وأديب

الآنسة هيلانة مسراة — شقيقة يوسف

سليم معوض — شاعر وعواد

خليل بك ناصر — موظف في الحكومة

يرفع الستار عن قاعة حسنة في منزل يوسف مسراة مفعمة بالكتب والأوراق .

خليل بك ناصر يدخل بالنارجيلة . الآنسة هيلانة نظرز . يوسف مسراة يدخن لقافة .

خليل بك « مخاطباً يوسف مسراة » — قد قرأت اليوم مقالاتك في الفنون الجميلة :
وتأثيرها على الأخلاق وقد أتعجبتني كثيراً ، ولو لا صبغتها الأفرنجية ل كانت خيراً
ما كتب في الموضوع . أنا يا مسراة أتفدي من الذين يرون أن تأثير الآداب الفريدة
على لقتنا من الأمور المضرة .

يوسف مسراة « مبتسماً » — قد يكون الحق معك يا صديقي ولكن بارتدائك .

الملابس الأفرنجية وتناولك الطعام آنية أفرنجية وبحلوك على مقاعد أفرنجية قد عارضت .
ذاتك بذاته . وفوق كل ذاك أنت أكثر ميلاً إلى مطالعة الكتب الأفرنجية منه
إلى مطالعة الكتب العربية .

خليل بك — ليس هذه الأمور السطحية من علاقة بالآداب والفنون .

يوسف مسراة — نعم هناك علاقة حيوية وضدية . وإذا تعمقت قليلاً في الموضوع .

تجد ان الفنون تلازم العادات والازياه والتقاليد الدينية والاجتماعية بل تلازم كل مظاهر من مظاهر حياتنا الاجتماعية .

خليل بك — أنا شرقى وسابق شرقاً الى آخر حياتي وقهرأ عن بعض مظاهري الاوربية فانا أرجو أن تبقى الآداب العربية طاهرة ونقية من جميع النأثيرات الاجنبية :
يوسف مسراة — اذاً أنت ترجو موت اللغة والآداب العربية ؟

خليل بك — وكيف ذلك ؟

يوسف مسراة — ان الامم المسمنة التي لا تكتسب مما تمرره الامم الحديثة تموت :
آدياً وتقرض معنوياً .

خليل بك — ان كلامك هذا يحتاج الى برهان .

يوسف مسراة — لدى ألف برهان وبرهان .

« في هذه الدقيقة يدخل بولس صليان وسلمى معاوض فيقف الحاضرون لها احتراماً »
يوسف مسراة — أهلاً وسهلاً بالاخوان « مخاطباً الصليان » أهلاً وسهلاً
ببليل سوريا .

« الاَّ نَسَةُ هِيَلَانَهُ تَنْظَرُ إِلَى الصَّلِيبَانَ وَقَدْ تَوَرَّدَتْ وَجْتَاهَا قَلِيلًاً وَظَهَرَتْ عَلَى مُحِيَاها
إِمَارَاتُ السَّرُورِ »

سلمى معاوض — بالله عليك يا يوسف ان لا تقول كلمة حسنة لبولس

يوسف مسراة — ولماذا ؟

سلمى معاوض « بين الجد والمزاح » — لانه لا يستحق التكريم ولا المديح ولا
الاطراء . لانه ذو اطوار وأخلاق غريبة . لانه مجنون .

بولس الصليبان — « مخاطباً معاوض » — هل أحضرتك برفقتي الى هذا المنزل
تبين عبوبى وتشرح أخلاقي ؟

الاَّ نَسَةُ هِيَلَانَهُ — ماذا جرى ياترى ؟ هل كشفت يا سليم افندى عيواً جديدة
في أخلاق بولس ؟

سليم معرض — ان عيوبه القديمة سبقت جديدة حتى يموت ويدفن وتحوله
عظامه الى تراب .

يوسف مسرة — اخبرنا . ماذا جرى ؟ اخبرونا بالحكاية من اوها الى آخرها ؟
سليم معرض « مخاطبًا الصليبان » — هل تسمح لي أن أتكلم عن جرائمك
يا بولس أم تريد أن تعرف أنت بها ؟

بولس الصليبان — أريدك أن تبقى صامتًا كالمقبرة هاجمًا كقلب العجوز
سليم معرض — اذاً فسوف أتكلم .

الصلبان — يظهر لي أنك تريد أن تنفص عيشتي في هذه السهرة .

سليم معرض — لا بل أريد أن أعرض قصتك أمام هؤلاء الأصحاب لينظروا
في أمرك .

الآنسة هيلا نه « مخاطبة معرض » — تكلم وأسمعنا ما جرى ! « لاصليبان »
قد تكون الجريمة التي يريد سليم أن يظهرها احدى فضائلك .

الصلبان — لم أقترف جريمة كما أني لم أفعل فضيلة . أما المسألة التي يحترق
صاحبنا لاظهارها فهي لا تستحق الذكر وفوق كل ذلك فانا لا أريدكم أن تصرفوا
السهرة بمحديثي

الآنسة هيلا نه — حسن اذاً فلنسمع الخبر !

سليم معرض « يشغل لفافة ويجلس بقرب يوسف مسرة » — قد سمعتم طبعاً
يا سادتي بزواج ابن جلال باشا وقد عرفتم ان والد الرئيس قد أقام ليلة أمس حفلة طرب
دعا اليها وجهاً، المدينة وكبارها « مشيراً الى بولس » وقد دعا هذا الشرير ودعى آنما
أيضاً والسبب في ذلك ان الناس يحسبونني ظلاماً لبولس أسير حيث يسير وأقوم حيث
يقوم ، ولاته ، أدامه الله وأبقاءه ، لا يحب الانشاد الا على قرات عودي . بلغتنا منزل
جلال باشا متأخرین وبولسنا كالملاوك لا يجيء الا متأخراً فوجدنا هناك الوالي والمطران
بل وجدنا هناك الحسنة ، الفاضلة والاديب والشاعر والمنيري والزعيم . جلسنا بين مجاسره
البخور وكؤوس الخمر والقوم ينظرون الى بولس كأنه ملاك هبط من السماء أما السيدات

حـاخـذـن يـقـدـمـن إـلـيـهـ كـئـوسـ الـخـمـرـ وـصـفـ النـقـلـ وـطـاقـاتـ الـأـزـهـارـ مـثـلـاـ كـانـتـ قـتـلـ نـسـاءـ
أـثـيـنـاـعـنـدـ رـجـوـعـ أـحـدـ الـأـبـطـالـ مـنـ سـاحـاتـ الـحـربـ .ـ خـلاـصـةـ الـكـلـامـ إـنـ بـولـسـنـاـ كـانـ فـيـ
يـدـهـ السـهـرـةـ مـوـضـوـعـاـ لـتـكـرـيمـ وـالـاحـتـفـاءـ .ـ اـخـذـتـ عـودـيـ وـضـرـبـتـ أـولاـ وـثـانـيـاـ وـثـالـيـاـ فـتـبـعـ
بـولـسـ شـفـقـيـهـ الـمـقـدـسـتـيـنـ وـانـشـدـ يـتـاـ —ـ يـتـاـ وـاحـدـاـ مـنـ قـصـيـدـةـ الـفـارـضـ

غـيرـيـ عـلـىـ السـلـاوـانـ قـادـرـ وـسوـايـ فـيـ المـشـاقـ غـادـرـ

فـاصـفـيـ الـقـومـ وـنـطـاـوـلـتـ اـعـنـاقـهـمـ كـانـ الـمـوـصـلـيـ قـدـ جـاءـ مـنـ وـرـاءـ حـجـبـ الـاـبـدـيـةـ
فـيـهـمـسـ فـيـ آـدـاـنـهـ اـنـفـاحـاـ سـحـرـيـةـ عـلـوـيـةـ .ـ وـبـعـدـ ذـلـكـ سـكـتـ بـولـسـ فـظـنـ الـخـاطـرـونـ اـنـهـ
سـيـعـودـ اـلـاـنـشـادـ بـعـدـ اـنـ يـشـرـبـ كـاسـاـ أـخـرـىـ مـنـ الـعـرـقـ وـلـكـنـ بـولـسـ ظـلـ سـاـكـنـاـ .ـ
بـولـسـ الـصـلـبـانـ «ـ بـلـهـجـةـ جـدـيـةـ »ـ —ـ اـرـجـوـكـ اـنـ تـقـفـ عـنـدـ هـذـاـ الـحـدـ فـاـنـاـ لـاـ اـقـدرـ
«ـ فـنـ اـسـعـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ الـبـلـيـدـ وـاـمـاـ لـاـ اـشـكـ بـاـنـ اـصـحـابـنـاـ لـاـ يـجـدـونـ لـذـةـ بـهـذـهـ الـثـرـيـةـ
فـنـخـالـيـةـ مـنـ الـعـنـيـهـ

يوـسـفـ مـسـرـةـ —ـ بـحـقـكـ دـعـنـاـ نـسـمـعـ الـبـقـيـهـ .ـ

خـلـيلـ بـكـ —ـ لـمـ نـصـلـ الـآنـ لـقـلـبـ الـخـبـرـ

بـولـسـ الـصـلـبـانـ «ـ يـنـهـضـ مـنـ مـكـانـهـ قـائـمـاـ »ـ —ـ اـظـاهـرـ اـنـكـ تـفـضـلـونـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ
«ـ بـلـارـدـ عـلـىـ وـجـودـيـ يـنـشـكـ —ـ اـوـدـعـكـ اـ

الـآـنـسـةـ هـيـلـانـهـ «ـ تـنـظـرـ اـلـىـ بـولـسـ نـظـرـةـ مـعـنـوـيـةـ »ـ —ـ اـجـاسـ يـاـ بـولـسـ وـهـمـاـ كـانـ
فـخـبـرـ فـتـحـنـ مـعـكـ

«ـ يـجـلسـ بـولـسـ وـعـلـىـ وـجـهـهـ دـلـائـلـ الصـبـرـ وـالـتـجـلـدـ »ـ

سـلـيـمـ مـوـضـ «ـ مـتـابـعـاـ حـدـيـثـهـ »ـ —ـ قـلـتـ اـنـ بـواـسـ الـمـعـطـرـ الـمـعـظـمـ قـدـ اـنـشـدـ يـتـاـ —ـ
يـتـاـ وـاحـدـاـ مـنـ قـصـيـدـةـ الـفـارـضـ وـسـكـتـ .ـ اـعـنـيـ بـذـلـكـ اـنـهـ اـذـاقـ اوـلـئـكـ الـحـيـاـعـ الـمـساـكـينـ
لـقـمـةـ وـاحـدـةـ مـنـ طـعـامـ الـآـلهـةـ ثـمـ رـفـسـ الـمـائـدـةـ وـكـسـرـ آـيـتـهـاـ وـكـؤـوسـهـاـ ثـمـ جـلـسـ سـاـكـنـاـ
يـجـلوـسـ اـبـيـ الـهـوـلـ عـلـىـ رـمـالـ النـيـلـ .ـ وـقـامـتـ السـيـدـاتـ الـوـاحـدـةـ بـعـدـ الـاـخـرـىـ يـسـتـعـطـفـهـ
يـارـقـ الـكـلـامـ لـيـنـشـدـ اـغـنـيـةـ اـخـرـىـ فـكـانـ يـعـتـذرـ لـهـنـ بـقـولـهـ —ـ «ـ اـنـاـ مـرـشـحـ .ـ اـشـعـرـ بـأـلـمـ فـيـ
سـخـجـرـيـ »ـ —ـ ثـمـ قـلـمـ الـوـجـهـاءـ وـالـاـغـنـيـاءـ يـرـجـوـنـهـ وـيـتـذـلـلـونـ اـمـاـمـهـ فـلـمـ يـعـنـ «ـ وـلـمـ يـلـنـ بـلـ بـقـيـ

جامداً قاسياً متنعماً كأن الله قد ابدل قلبه بحجر من الصوان وحول الانفام في نفسه
إلى الفتح والدلال . وبعد نصف الليل وقد بلغ القنوط من الحاضرين حد الألم ناداه
جلال باشا إلى غرفة محاذية ووضع في جيبيه قبضة من الدنانير قائلاً «انت تستطيع يا بولس
انفدي ان تختم حفلتنا بالسرور وبالاً كدار لذلك ارجوك ان تقبل مني هذه المدية الصغيرة
لا كافية بل كمظاهر لشعوري نحوك فلا تخيب آمالى وأمال الحاضرين بك » . عند
ذلك تualaت قامة بولس وظهرت لوائح الكبراء على وجهه ورمى بالدنانير إلى مقعد
مجانبه قائلاً بل همة الملوك الفاتحين «انت تهيني يا جلال باشا بل انت تحقرني فانا لم
اجيء الى منزلك لكي انشد واغني وايشع انفاسي بالمال بل جئت كأحد المهنئين » .
بعد ذلك فقد جلال باشا صبره وتجلد وتلفظ ببعض كلمات خشنة جعلت بولس الحساس
يخروج من المنزل لاعناً مجدفاً . اما أنا — أنا المسكين فقد تناولت عودي وتبت
بولس تاركاً ورائي الوجوه الجميلة والقامات النحيلة والخمور الطيبة والمأكل الشهية . نعم
قد ضحيت بكل ذلك لكي لا فقد صدقة هذا المتصلب المتعنت قد ضحيت بكل ذلك
على مذبح هذا البعلم وهو للآن لم يشكري ويعدح بسالي و لم يتمترف بمودتي وولائي .
يوسف مسرة « ضاحكاً » — هذه بالحقيقة حكاية لزيدة حرية انت تكتب
بالابر على اماق البصر !

سليم معرض — لم أصل للآتى الى نهاية الحكاية . أما اللذة في النهاية تلك
النهاية الشيطانية التي لم يجعل بثليها اهرمان الفرس ولا سيفا الهندو .

بولس الصلبان « مخاطباً الآنسة هيلاه » — بقيت هنا اكراماً لك والآن
أرجوك ان تطلبني من هذا الضفدع ان يقف عبد هذا الحد .

هيلاه — دعه يتكلم يا بولس ! ومهما كانت نهاية الخبر فنحن معك قلباً وقالباً .

سليم معرض « يشغل لفافة ثانية ويتابع الحديث » — قلت انا خرجنا من
منزل جلال باشا وبولس يجده على اسم الاغنياء والوجهاء وانا اجده على اسمه
في سري وبعد ذلك — وبعد ذلك هل تظنون انه ذهب كل منا الى منزله ؟ هل
تظنون ان ليلة أمس قد انتهت على هذه الصورة ؟ اسمعوا وتعجبوا ! ! نعلمون ان بيت

حبيب سعاده محاذ منزل جلال باشا ولا يفصلها غير حديقة صغيرة . وانتم تعلمون ان حبيب سعاده من عشاق المدام والانقام والاحلام ومن يعبدون هذا البعلم « مشيراً الى بولس » فلما خرجنا من منزل جلال باشا وقف بولس دقيقة في متصف الشارع فاركاً جبهته كأنه قائد عظيم يفكر بفتح مملكة عاصية ثم مشى بجأة نحو منزل حبيب سعاده وقرع الجرس بشدة فظهر حبيب بملابس النوم وهو يفرك عينيه ويتمم ويت Shade ولكته عند مارأى وجه بولس ورأني حاملاً العود تحت ابطي تغيرت ساحته ولمت عيناه كأن السماء افتتحت امامه وصرخ مسروراً مؤهلاً قائلاً — « ما أرى بكم في هذه الساعة المقدسة؟ » فاجاب بولس — « قد جئنا لنجتاز بعرس ابن جلال باشا في دارك » فقال حبيب « هل ضاقت عليكم دار جلال باشا فجئتم الى هذا المنزل الحقير؟ » فاجاب بولس « ليس لجدران بيت البشا آذان تسمع رنات العود والانشيد من اجل ذلك جئنا اليك فهات قنية العرق وصحفة المازة ولا تطل الكلام » الخلاصة جلسنا حول مائدة الشراب ولم يتناول بولس كاساً أو كاسين من العرق حتى قلم وفتح النوافذ التي تطل على حديقة البشا ثم ناولني العود وقال آسراً « هذى عصاك يا موسى فولها الى افعى ومرها ان تتلعم جميع افاعي مصر . اضرب النهوند واضرب طويلاً واضرب جميلاً » فتناولت العود وليس على العبد الا الطاعة وضررت النهوند خوف بولس وجده نحو منزل جلال باشا وأخذ ينشد بصوت عالٍ

« هنا يسكت سليم دقية وتزول سماء المزاح عن وجهه ويقول بلهجه هادئة جداً »
أنا أعرف بولس منذ خمس عشرة سنة . أعرفه منذ كنا صبيين في المدرسة ولقد سمعته منشدأً في حالي الفرح والشقاوة . سمعته ينوح كالشكلي ويترنم كالعاشق ويهمل كالمتcessر . سمعته يهمس في سكينة الليل وقد نامت هذه المدينة وسكناتها وسمعته بين أودية لبنان وأجراس الكنائس البعيدة يملاً الفضاء سحراً وهيبة . نعم لقد سمعته منشدأً ألف مرة ومرة وكنت أتوهم انني أعرف حركات روحه وسكناتها ولكنني في ليلة أمس لما حول وجهه نحو منزل جلال باشا واغمض عينيه وأنشد .

« كل يوم اشكو من غرام قلبي وكما اشكو يزيد الغرام »

عند ما أنسد هذا الدور متلاعباً بمقاطعيه مثلاً يتلاعب الهوا باوراق الخريف قلت في نفسي لا — ما عرفت في الماضي من روح بولس الا القشور أما الآن فقد بلغت الباب . لم أسمع في الماضي غير لسان بولس منشداً أما الآن فاني أسمع قلبه وروحه ... وظل بولس يلاحق الدور بالدور ويتردج من نشيد الى نشيد حتى خيل لي ان الفضاً طفمة من أرواح المشاق تحوم صرفة هامسة منادية مرددة تذكارات الماضي البعيد نشرة ما طوته الديالي من أمناني البشر وأحلامهم . نعم يا سادتي « مشارياً الى بواس » ان هذا الرجل قد صعد ليلة أمس على سلم الفن حتى بلغ السكاكب ومن العجائب انه لم يهبط الى الارض حتى الفجر . لم يسكت حتى وضع اعداءه تحت موطيء قدميه كما جاء في المرأمير . أما ضيوف جلال باشا فلم يسمعوا صوته خارجاً من منزل حبيب سعاده حتى تزاحموا في النوافذ وجلسوا نساءً ورجالاً يتاؤهون بعد كل مقطع وكل نبرة تخرج من فمه . وقد خرج بعضهم الى الحديقة ووقفوا تحت الاشجار مقبطين متذمرين مصرين مختارين في أمر هذا البعليم الذي ينكفهم ويهينهم وفي الوقت نفسه يملأ قلوبهم بخمرة علوية وقد كان ينادي البعض مستعطفاً مترجياً والبعض متوعداً مجدهاً وقد علمت من أحد المدعوبين أن جلال باشا كان يزار كالاسد متنلاً من غرفة الى غرفة لاعناً الصليبان غاضباً على ضيوفه خصوصاً على أولئك الذين خرجوا الى الحديقة حاملين كؤوس العرق وصحف المازة بآيديهم . هذا ما جرى ليلة أمس فما قولكم في هذا النابغة الجنون ؟ ما رأيكم بأطوار هذا الرجل وأخلاقه الغريبة ؟

خليل بك — هذه حادثة عجيبة . أما رأيي فيها فهو هذا — أنا من المعجبين بواهب بولس افendi ومع كل احترامي له أقول انه قد اخطأ ليلة أمس فقد كان بإمكانه أن ينشد في بيت جلال باشا كما أنشد في بيت حبيب سعاده ويقابل استعطاف القوم بشيء من فنه . « مخاطباً يوسف مسراً » ما رأيك يا يوسف افendi ؟

ب يوسف مسراً — أنا لا ألوم الصليبان كما أني لا أحارو لهم أسراره وخفائيه لعلمي ان المسألة شخصية تتعلق به دون سواه ولعلني ان أخلاق الفنانين خصوصاً الموسيقيين منهم تختلف عن أخلاق الناس كافة وليس من الصواب أو العدالة ان تقيس أعمالهم

وماً تباهى على المقاييس التي نستخدمها لادرالك أعمال غيرهم . ان الفنـىـ واعني بالفنـىـ ذلك المبدع الذي يخلق لافكاره وعواطفه صوراً جديدةـ هو رجل غريب بين أهلـ وخلانـهـ وغريبـ فيـ وطنهـ بلـ هوـ غريبـ عنـ هذاـ العالمـ الفنـىـ يميلـ شرقـاًـ عندـ ماـ يميلـ الناسـ غربـاًـ ويتأثرـ لـعـوـالـمـ باـعـانـيـةـ لاـ يـسـطـيعـ هوـ نـفـسـهـ أنـ يـسـطـعـهاـ فهوـ نـعـسـ بـيـنـ الـفـرـحـينـ فـرـحـ بـيـنـ التـعـسـآـ ضـعـيفـ بـيـنـ الـقـادـرـينـ قادرـ بـيـنـ الـضـعـفـآـ الفـنـىـ فوقـ الشـرـيعـةـ درـثـيـ النـاسـ أمـ غـضـبـواـ .

خـليلـ بـكـ اـنـ كـلـامـكـ هـذـاـ يـاـ يـوسـفـ أـفـنـدـيـ لـاـ يـخـتـلـفـ بـعـانـيـهـ وـفـادـهـ عـماـ جـاءـ فـيـ مـقـاتـلـكـ عـنـ الـفـنـونـ الـجـيـلـةـ وـاسـمـحـ لـيـ أـقـولـ ثـانـيـةـ اـنـ الرـوـحـ الـفـرـيـةـ ،ـ الرـوـحـ الـأـفـرـنجـيـةـ الـتـيـ تـكـرـزـ بـهـاـ سـتـكـونـ سـبـبـاـ لـرـوـالـنـاـ كـشـعـبـ وـاضـحـلـانـاـ كـأـمـةـ .
يـوسـفـ مـسـرـةـ هـلـ تـحـسـبـ مـاـ فـعـلـهـ بـوـلـسـ أـفـنـدـيـ لـيـلـةـ أـمـسـ مـظـهـرـاـ لـلـرـوـحـ الـأـفـرـنجـيـةـ الـتـيـ تـنـكـرـهـاـ وـتـكـرـهـاـ ؟ـ

خـليلـ بـكـ اـنـ اـسـتـغـرـبـ مـاـ فـعـلـهـ بـوـلـسـ أـفـنـدـيـ ،ـ اـقـولـ ذـالـكـ مـعـ الـاحـتـراـمـ لـشـخـصـهـ .
يـوسـفـ مـسـرـةـ اوـ لـيـسـ لـاـصـلـيـانـ تـمـامـ الـحـرـيـةـ اـنـ يـفـعـلـ بـصـوـتـهـ وـفـنـهـ مـاـ يـشـأـ وـمـقـيـ يـشـأـ ؟ـ

خـليلـ بـكـ نـعـمـ لـهـ تـمـامـ الـحـرـيـةـ اـنـ يـفـعـلـ مـاـ يـشـأـ وـلـكـنـيـ اـرـىـ اـنـ حـيـاتـناـ الـاجـتمـاعـيـةـ لـاـ تـنـقـعـ مـعـ هـذـاـ النـوـعـ مـنـ الـحـرـيـةـ .ـ اـنـ مـيـولـنـاـ وـعـادـاتـنـاـ وـتـقـالـيدـنـاـ لـاـ تـسـمـحـ لـلـفـرـدـ الـوـاحـدـ اـنـ يـفـعـلـ مـاـ فـعـلـهـ بـوـلـسـ أـفـنـدـيـ لـيـلـةـ اـمـسـ بـدـوـنـ اـنـ يـضـعـ نـفـسـيـ مـوـقـفـ حـرـجـ .ـ الـآـنـسـةـ هـيـلـاـتـةـ هـذـهـ مـاـنـاظـرـةـ لـذـيـذـةـ وـنـفـيـدـةـ .ـ وـلـكـنـ بـاـنـ السـبـبـ فـيـ هـذـهـ الـمـاـنـاظـرـةـ وـجـودـ بـيـنـنـاـ فـهـوـ بـالـطـبـيـعـ يـسـطـعـ اـنـ بـدـافـعـ عـنـ نـفـسـهـ .ـ

بـوـلـسـ الصـابـانـ «ـ بـعـدـ سـكـوتـ طـوـيلـ »ـ كـنـتـ أـتـمـ لـوـمـ يـفـتـحـ سـلـيـمـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ .ـ بـلـ كـنـتـ أـوـدـ أـنـ بـرـزـلـ مـاـ جـرـىـ لـيـلـةـ اـمـسـ مـعـ لـيـلـةـ اـمـسـ وـلـكـنـ بـاـنـ أـتـمـ فـيـ صـرـكـزـ حـرـجـ كـاـيـقـولـ حـضـرـةـ الـبـلـكـ فـاـلاـ أـرـىـ بـدـأـ مـنـ اـغـهـارـ أـفـكـارـيـ فـيـ هـذـاـ الـمـوـضـعـ .ـ أـتـمـ تـعـلـمـنـ وـأـتـمـ أـعـلـمـ أـيـضـاـ اـنـ أـكـثـرـ مـنـ يـعـرـفـنـيـ يـتـقـدـمـ .ـ هـذـاـ يـقـولـ اـنـيـ مـفـتـحـ وـذـلـكـ اـنـيـ أـعـوجـ .ـ وـهـنـاكـ فـتـةـ تـقـولـ اـنـيـ لـثـمـ وـلـيـسـ لـلـثـمـ كـرـامـةـ .ـ وـمـاـ هـوـ السـبـبـ يـاـ تـرـىـ فـيـ

هذه الاتقادات الجارحة؟ السبب في أخلاقي . نعم في أخلاقي التي لا أقدر أن أغيرها ولو قدرت لما أردت . ولماذا يا ترى يهتم الناس بي وبأخلاقي ! اليـس بامكـانـهمـ أنـ يـتنـابـواـ كـيـانـيـ ؟ فـيـ هـذـهـ المـدـيـنـةـ كـثـيرـ منـ المـفـنـينـ وـالـمـنـشـدـينـ وـالـمـوـسـيـقـيـنـ وـكـثـيرـ منـ الشـعـرـاءـ وـالـمـقـرـظـيـنـ وـكـثـيرـ منـ الـمـبـخـرـيـنـ وـالـشـحـاذـيـنـ الـذـيـنـ يـبـيـعـونـ أـصـوـاتـهـمـ وـأـفـكـارـهـمـ وـعـوـاـطـفـهـمـ بـلـ وـيـبـيـعـونـ نـفـوسـهـمـ بـدـيـنـارـ أوـ بـعـلـمـةـ أوـ بـقـيـنـةـ مـنـ الـخـسـرـ . وـقـدـ عـرـفـ أـغـنـيـاـوـنـاـ وـوـجـهـاـوـنـاـ هـذـاـ السـرـ لـذـلـكـ نـرـاهـمـ يـتـنـاعـونـ اـبـنـاـ ،ـ الـفـنـ وـالـادـبـ بـاـنـخـسـ الـأـنـمـانـ وـيـعـرـضـونـهـمـ فـيـ مـنـازـلـهـمـ وـقـصـورـهـمـ كـاـ يـعـرـضـونـ خـيـولـهـمـ وـرـكـابـهـمـ فـيـ السـاحـاتـ وـالـطـرـقـ . نـعـمـ أـيـهـاـ الـسـادـةـ اـنـ الـمـفـنـينـ وـالـشـعـرـاءـ فـيـ الشـرـقـ هـمـ حـمـلـةـ الـمـبـاخـرـ بـلـ هـمـ الـعـيـدـ وـقـدـ فـرـضـ عـلـيـهـمـ اـنـ يـنـشـدـوـاـ فـيـ الـاعـرـاسـ وـيـتـرـنـمـوـاـ فـيـ الـخـفـلـاتـ وـيـنـدـبـوـاـ فـيـ الـمـآـتـمـ وـيـرـنـوـاـ فـيـ الـقـابـرـ . هـمـ الـأـلـاتـ الـتـيـ تـدارـ فـيـ أـيـامـ الـحـزـنـ وـلـيـاليـ الـأـفـراحـ ،ـ فـاـذـاـ لمـ يـكـنـ مـنـ دـاعـ لـلـحـزـنـ اوـ فـرـحـ طـرـحـواـ جـانـبـاـ كـأـنـهـمـ سـلـعـ لـاـ قـيـمةـ لـهـاـ . وـأـنـاـ لـاـ أـلـومـ الـوـجـهـاـ ،ـ وـالـأـغـنـيـاـ ،ـ بـلـ أـلـومـ الـمـفـنـينـ وـالـشـعـرـاءـ وـالـادـبـاـ ،ـ الـذـيـنـ لـاـ يـحـتـرـمـونـ نـفـوسـهـمـ وـلـاـ يـضـنـوـنـ هـمـاـ وـجـوهـهـمـ . أـلـوـمـهـمـ لـأـنـهـمـ لـاـ يـرـفـعـونـ عـنـ الصـفـارـ وـالـتـوـافـهـ . أـلـوـمـهـمـ لـأـنـهـمـ

خليل بك « متـهـيـجـاـ » — انـ الـقـوـمـ كـانـواـ يـسـتـعـطـفـونـكـ لـيـلـةـ أـمـسـ وـيـحاـلوـنـ بـكـلـ وـسـيـلـةـ لـدـيـهـمـ أـنـ يـسـتـرـضـوكـ لـتـسـكـرـ عـلـيـهـمـ باـغـنـيـةـ اوـ نـشـيدـ . فـمـ لـتـحـسـبـ اـنـشـادـكـ فـيـ بـيـتـ جـالـلـ باـشـاـ نوعـاـ مـنـ الـخـضـوعـ وـالـتـذـالـلـ ؟

بولـ الصـلـبـانـ — لـوـ اـسـتـطـعـتـ اـنـشـادـ فـيـ مـنـزـلـ جـالـلـ باـشـاـ لـفـعـلـتـ .ـ وـلـكـنـيـ نـظـرـتـ حـولـيـ مـلـمـ أـجـدـ بـيـنـ الـحـاضـرـيـنـ بـغـيـرـ الـمـوـسـرـيـنـ الـذـيـنـ لـاـ يـسـمـعـونـ مـنـ الـأـصـوـاتـ الـأـرـنـاتـ الـدـنـانـيـرـ وـالـوـجـهـاـ الـذـيـنـ لـاـ يـفـهـمـونـ مـنـ الـحـيـاةـ الـأـلـاـ ماـ يـرـفـعـهـمـ وـيـخـفـضـ سـوـاهـمـ لـاـ يـفـضـلـوـنـ الـمـوـتـ عـلـىـ الـخـضـوعـ وـالـتـذـالـلـ .ـ نـظـرـتـ حـوـالـيـ فـلـمـ اـجـدـ مـنـ يـعـيـزـ النـهـونـدـ عـنـ الرـصـدـ اوـ الـعـشـاقـ عـنـ الـاصـبـهـانـ .ـ لـذـلـكـ لـمـ أـسـتـطـعـ اـنـ أـفـتـحـ صـدـريـ أـمـامـ الـعـيـانـ وـأـعـرـضـ أـسـرـارـ قـلـبـيـ أـمـامـ الـطـرـشـانـ .ـ اـنـاـ الـمـوـسـيـقـ لـغـةـ الـأـرـوـاحـ .ـ هـيـ سـيـالـ خـفـيـ يـتـمـوجـ بـيـنـ رـوـحـ الـمـنـشـدـ وـأـرـوـاحـ الـسـامـعـيـنـ ،ـ فـاـذـاـ لمـ يـكـنـ هـنـاكـ مـنـ أـرـوـاحـ تـسـمـعـ وـتـفـهـمـ مـاـ تـسـمـعـ فـاـلـمـنـشـدـ يـفـقـدـ ذـلـكـ الـمـيـلـ تـلـيـ الـبـيـانـ وـيـفـقـدـ ذـلـكـ الشـوقـ إـلـىـ اـظـهـارـ مـاـ فـيـ أـعـماـقـهـ مـنـ الـحـرـكـاتـ وـالـسـكـنـاتـ .ـ

والموسيقى مثل قيثارة ذات أوتار مشدودة حساسة فإذا تراخت تلك الاوتار فقدت خاصتها وأصبحت كخيوط من الكتاب . « يقف ويسير بعض خطوات ثم يقول بيضاء » — لقد تراخت أوتار روحي في منزل جلال باشا عند ما تفرست في الحاضرين نساءً ورجالاً ولم أر بينهم غير المتكلف والمتصنة والتقلد والبلهدة والعقيم والمعجرفة . أما استعطافهم ايي فلم يكن نجاحاً الا عن تمني وسكوني . ولو كنت كالكثيرين من ضفادي المنشدين لما اهتم أحداً بي .

خليل بك « يقاطعه مداعباً » — وبعد ذلك ذهبت الى منزل حبيب سعاده والنكابة — وللنكابة فقط — جلست منشداً حتى الصباح !

بواں الصلبان — جلست منشداً حتى الصباح لاني أردت أن أفرغ مكنونات قلبي . لاني أردت أن التي حملأً ثقيلاً عن عاتقي . لاني أردت أن أاعتـب الليل والحياة والدهر . لاني شعرت بحاجة ماسة الى شد تلك الاوتار التي تراخت في منزل البasha . أما اذا كنت تظن يا خليل بك اني أردت النكابة فلما الحق بأن تفتكر بما تريـد . انـ الفن طـائر حرّ يسبـح مـحلقاً عند ما يـشاء ويـهـبط الى الـارـض عند ما يـشاء وليس من قـوـةـ فيـ هـذـاـ عـالـمـ تـسـطـيـعـ تـقـيـيدـهـ اوـ تـغـيـيرـهـ . الفـنـ رـوـحـ سـامـ لاـ يـمـاعـ ولاـ يـشـرـىـ ، وـعـلـىـ الشـرـقـيـنـ أـنـ يـعـرـفـواـ هـذـهـ الـحـقـيقـةـ الـمـطـلـقـةـ . أـمـاـ الـفـنـيـوـنـ يـيـنـتـنـاـ — وـهـمـ أـنـدـرـ مـنـ الـكـبـرـيـتـ الـاحـرـ — فـعـلـيـهـمـ أـنـ يـكـرـمـواـ تـقـوـسـهـمـ لـأـنـهـاـ الـأـنـاءـ الـذـيـ يـعـلـأـ اللـهـخـرـةـ عـلـوـيـةـ . يوسف مسراً — اني متفق معك يا بولس . ولقد أبنتَ أفكارِي في هذا الموضوع بصورة لا أستطيع أنا اظهارها . أنت ابن الفن أما أنا فباحث بالفنون ، والفرق ييـنـتـنـاـ هوـ كـالـفـرـقـ الـكـلـآنـ بـيـنـ الـعـنـبـ الـحـامـضـ وـالـخـرـةـ الـمـعـتـقةـ .

سليم معرض — الصلبان يتكلـمـ مـثـلـاـ يـنـشـدـ وـلـيـسـ عـلـىـ سـامـعـهـ الـاـقـنـاعـ وـالـاذـعـانـ . خليل بك — لم أقنـعـ بـعـدـ وـلـنـ أـقـنـعـ . وـمـاـ فـلـسـفـتـكـ هـذـهـ الـاـحـدـىـ تـلـكـ العـلـلـ المـنـسـرـةـ إـلـيـنـاـ مـنـ بـلـادـ الـأـفـرـيـجـ .

يوسف مسراً — لو سمعت الصلبان منشداً يحضرـةـ الـبـلـكـ لـأـقـنـعـتـ وـنـسـيـتـ الـفـلـسـفـةـ .

« في هذه الدقيقة تدخل الخادمة وتحاطب الآنسة هيلانة قائلة : — يا ملمني قد جاءت الكنافة من الفرن فوضعتها على المائدة . »

« يوسف مسراً ياتصب مخاطباً الجميع » — « تفضلوا أهلاً الأخوان فقد هيأنا لكم آكلة لذيدة — لذيدة جداً — وتقاد أن تكون صلبانية بذكوريها وحلوتها ! »

« يقف الجميع ثم يخرج يوسف مسراً وخليل بك وسلمي موض أمما الصباب والآنسة هيلانة فيظلان واقفين في وسط القاعة وكل يحدق بوجهه الآخر وفي عينيهما أشعة لا توصف »

ـ هيلانة « هامسة » — هل علمت اني كنت مصغية اليك ليلة أمس ؟

الصلبان « مستغرباً » — ماذا تعنين يا هيلانة قلبي ؟

ـ هيلانة « بخجل ووجل » — كنت أمس في بيت شقيقتي سريم . — ذهبت للام عندها لأن زوجها متغيب وهي تخاف وحدها .

الصلبان — أو بيت صهرك على طريق الخرج ؟

ـ هيلانة — ولا يفصله عن بيت حبيب سعاده غير زفاف ضيق .

الصلبان — وهل سمعتني منشداً ؟

ـ هيلانة — سمعت نداء روحك من نصف الليل حتى الفجر . سمعتك حتى سمعت الله متكلماً .

ـ « يسمع صوت يوسف مسراً آتياً من الغرفة المحاذية قائلاً قضل يا بولس فقد يرددت الكنافة »

ـ « يخرج بولس وهيلانة . الستار ! »

يوحنا المجنون

١

في أيام الصيف كان يوحنا يسير كل صباح إلى الحفل ساقاً ثيرانه وعجله، حاملاً محراه على كتفه مصغياً لتفاصيل الشحارير وخفيف أوراق الفصون وعند الظهيرة كان يقترب من الساقية المتراكضة بين منخفضات تلك المروج الخضراء ويأكل زاده تاركاً على الأشجار ما يبقى من الخبز للعصافير. وفي المساء عند ما يتزعز المغرب دقائق النور من الفضاء كان يهود إلى البيت الحقير المشرف على القرى والمزارع في شمال لبنان ويجلس بسكونة مع والديه الشقيقين مصغياً لأحاديثها المملوءة بأخبار الأيام شاعراً بذو النعاصي والراحة معاً

وفي أيام الشتاء كان يتکئ مستدفناً بقرب النار ساماً تأوه الرياح وندب العناصر مفكراً بـكيفية تتابع الفصول ناظراً من الكوة الصغيرة نحو الأودية المكتسبة بالثلوج والأشجار العارية من الأوراق كأنها جماعة من القراء تركوا خارجاً بين أظافر البرد القارس والرياح الشديدة

وفي الليالي الطويلة كان يبقى ساهراً حتى ينام والده ثم يفتح الخزانة الخشبية ويأتيه بكتاب المهد الجديد ويقرأ منه سراً على نور مسرجة ضعيفة متلتفاً بتحذر بين الآونة والأخرى نحو والده النائم الذي منعه عن تلاوة ذلك الكتاب لأن الكهنة ينهون بسطاء القلب عن استطلاع خفايا تعاليم يسوع ويحرمونهم من «نعم الكنيسة» اذا فعلوا.

هكذا صرف يوحنا شيئاً بين الحقل المملوء بالمحاسن والمجائب وكتاب يسوع المقعم بالذور والروح وكان سكوتاً كثير التأملات يصغي لأحاديث والديه ولا يحيط بكلمة . ويلتقي بأترابه الفتيان وبجالسهم صامتاً ناظراً إلى البعيد حيث يلتقي الشفق بازرقق السماء وإذا ما ذهب إلى الكنيسة عاد مكتبراً لأن التعاليم التي يسمعها من على

المنابر والمذايغ هي غير التي يقرأها في الانجيل وحياة المؤمنين مع رؤسائهم هي غير الحياة الجليلة التي تكلم عنها يسوع الناصري

جاء الربيع وأضمر حللت الثلوج في الحقول والمرروج وأصبحت بقایاها في أعلى الحبال تذوب وتسير جداول في مناطق الأودية وتحتاج انهرًا غزيرة تتكلم بهدبرها عن يقظة الطبيعة . فازهرت أشجار اللوز والتفاح وأورقت قضبان الحور والصفصاف وأنبتت الروابي اعشابها وزادهرا قumb يوحنا من الحياة بجانب المواقد وعرف بان عجلوه قد ملت ضيق المراصب واشتاقت الى المراعي الخضراء لأن مخازن التبن قد شحت وزبابل الشعير قد نفت . فجاء وحلّها من معالفها وسار امامها الى البرية ساراً بعباته كتاب المهد الجديد كيلا يراه أحد حتى بلغ المرجة المنبسطة على كتف الوادي بقرب حقول الدير القائم كالبرج الهائل بين تلك المضاضات^(١) فتفرق عجلوه من قبة الاعشاب وجلس مستندًا الى صخرة يتأمل نارة بجهال الوادي وطورًا بسطور كتابه المتكلمة عن ملائكة السموات

كان ذلك النهار من أواخر أيام الصوم وسكان تلك القرى المنقطعون عن اللحوم أصبحوا يتربون بفضلات الصبرجيء عيد الفصح . أما يوحنا فمثل جميع الزارعين الفقراء لم يكن يفرق بين أيام الصيام وغيرها فالعمر كله كان صوماً طويلاً عنده . وقوته لم يتجاوز قط الخبز المعجون بعرق الحيين والمثار المبتاعة بدم القلب ، فلا قطاع عن اللحوم والمأكولات الشهية كان طبيعياً . ومشتقات الصوم لم تكن في جسده بل في عواطفه لأنها تعيد الى نفسه ذكرى مأساة « ابن البشر » ونهاته حياته على الارض

كانت العصافير ترفرف متناجية حول يوحنا واسراب الحمام تتظاهر بسرعة والزهور تتمايل مع النسيم كأنها تسحمل باشعة الشمس . وهو يقرأ في كتابه بتمعن ثم يرفع رأسه ويرى قبب الكنائس في المدن والقرى المنتشرة على جانبي الوادي ويسمع طنين أجراسها

(١) هو دير غني في شمالي لبنان واسع الاراضي يدعى دير اليشع الذي يقطنه عشرات من الرهبان المعروفين بالخلبين

فيغمض عينيه وتسبح نفسه فوق أشلاء الأجيال إلى أورشليم القدية متبعه أقدام يسوع في الشوارع سائلة المابرين عنه فيجيبونها قائلين : — هنا شفى العميان وأقام المعدين . وهناك ضفروا له أكليلاً من الشوك ووضعوه على رأسه — في هذا الرواق وقف يكلم الجموع بالامثال وفي ذلك القصر كتفوه على العمود وبصقوا على وجهه وجده — في هذا الشارع غفر للزانية خطاياها وفي ذاك وقع على الأرض تحت اثقال صلبيه

ومن الساعة ويوحنا يتألم مع الآله الإنسان بالجسد ويتمجد معه بالروح حتى . اذا ما اتصف النهار قام من مكانه ونظر حوله فلم ير عجوله فشي متنفساً إلى كل ناحية مستغرباً اختفاءها في تلك المروج السهلة ولما بلغ الطريق المنحنية بين الحقول انحنى خطوط الكف رأى عن بعد رجالاً بملابس سوداء واقفاً بين البساتين فاسرع نحوه ولما اقترب منه وعرف أنه أحد رهبان الدير حياء ماحناء رأسه ثم سأله قائلاً : « هل رأيت عجولاً سائرة بين هذه البساتين يا أبااته » فنظر إليه الراهب متكلفاً اختفاء حنقه واجاب بخبث : « نعم رأيتها فهي هناك تعال وانظرها » فسار يوحنا وراء الراهب حتى بلغا الدير فإذا بالعجزل ضمن حظيرة واسعة مؤثثة بالحبال يخفرها أحد الرهبان وفي يده نبوت مجلدها به كيما تحركت واذ هم يوحنا ليقودها أمسك الراهب بعباته والتفت نحو رواق الدير وصرخ باعلى صوته ؟ « هوذا الراعي المجرم قد قبضت عليه فهرون القسس والرهبان من كل ناحية يتقدمهم الرئيس وهو رجل يمتاز عن رفقاء بنحافة أنواهه وانقباض سحته واحتاطوا بيوحنا كالجنود المتسابقة إلى الغنيمة فنظر يوحنا إلى الرئيس وقال بهدوء « ماذا فعلت لا تكون مجرماً ولماذا قبضت عليّ » فاجابه الرئيس وقد بانت القساوة على وجهه وبصوت خشن اشبه بصرير المنشير قال « قد ارتعت عجولك زرع الدير وقضت قضبان كرومك فقبضنا عليك لأن الراعي هو المسئول عما تخربه مواشيه » فقال يوحنا مستعططاً : « هي بها مل لا عقل لها يا أبااته وانا فقير لا املك غير قوى ساعدي وهذه العجلول فاتركني اقودها واسير واعداً ايك بآلا اجي ، الى هذه المروج مرة اخرى » فقال الرئيس وقد تقدم قليلاً إلى الإمام ورفع يده نحو السماء « ان الله قد وضعنا هنا وكل

إلينا حماية أراضي مختاره اليشاع العظيم فنحن نحافظ عليها ليلاً ونهاراً بكل قوانا لأنها مقدسة وهي كالنار تحرق كل من يقترب منها . فإذا امتنعت عن محاسبة الدير اقلبت الأعشاب في أجوف عجولك سواماً آكلة . ولكن ليس من سبيل الى الامتناع لأننا غبقي بهائمك في حظيرتنا حتى تفي آخر فلس عليك »

وهم الرئيس بالذهب فأوقفه يوحنا وقال متذلاً متوسلاً : « أستحلفك يا سيدي بهذه الأيام المقدسة التي تألم فيها يسوع وبكت لاحزانها صرير أن تركني أذهب بعجلوي لا يتحقق قاسي القلب على ». فانا فقير مسكين والدير غني عظيم فهو يسامح تهمالي ويرحم شيخوخة والدي » فالتفت إليه الرئيس وقال بحزن : « لا يسامحك الدير بثقال ذرة أنها الجاهل فقيراً كنت أم غنياً فلا تستحلفني بالأشياء المقدسة لأننا أعرف منك باسرارها وخفاياها وإن شئت أن تقود عجولك من هذه المرابض فاقتها ثلاثة دنانير لقاء ما التهمت من لزع » فقال يوحنا بصوت مختنق : « ابني لا أملك بارة واحدة يا أبا تاه . فاشفق علي وارحم فكري » فاجاب الرئيس بعد أن مشط لحيته الكثيفة باصابعه « أذهب وبع قسماً من حقولك وعد ثلاثة دنانير خير لك أن تدخل السماء بلا حقل من أن تكتسب غضب اليشاع العظيم باحتجاجك أمام مذبحه وتهبط في الآخرة الى الجحيم حيث النار المؤبدة »

فسكت يوحنا دقيقة وقد أبرقت عيناه وانبسط محياه وتبدل لوابع الاسترحام بلامح القوة والإرادة فقال بصوت تمنزج فيه نغمة المعرفة بعنم الشبيهة : « هل يبيع الفقير حقله منبت خبزه ومورد حياته ليضيف منه إلى خزان الدير المفعمة بالفضة والذهب ؟ أمن العدل أن يزداد الفقير فقراً ويموت المسكين جوعاً كيما يغفر اليشاع العظيم ذنب بهائم جائفة ؟ » فقال الرئيس هازأ رأسه استكباراً : هكذا يقول يسوع المسيح « من له يعطي ويزاد ومن ليس له يؤخذ منه »

سمع يوحنا هذه الكلمات فاضطرب قلبه في صدره وكبرت نفسه وتعالت قاته عن ذي قبل ، كان الأرض قد نمت تحت أقدامه ، فانتشر الأنجل من جيشه كما يستل

الجندي سيفه للدافعة وصرخ قائلاً : « مَكَذَا تَلَاعِبُونَ بِتَعَالِيمَ هَذَا الْكِتَابِ أَيُّهَا الْمَرْأَوْنَ ، هَكَذَا تَسْتَخْدِمُونَ أَقْدَسَ مَا فِي الْحَيَاةِ لِتَعْبِيرِ شَرُورِ الْحَيَاةِ ، فَوَيْلٌ لِكُمْ إِذْ يَأْتِي « اَبْنَ الْبَشَرِ » ثَانِيَةً وَيَخْرُبُ اُدِيرَتُكُمْ وَيَلْقَى حِجَارَتِهِ مَنِيَّ هَذَا الْوَادِي مُحْرَقاً بِالنَّارِ مَذَاجِحُكُمْ وَرَسُومُكُمْ وَعَائِيلَكُمْ ، وَيَلْقَى اُكْمَنَ دَمَاءَ يَسْوَعُ الزَّكِيَّةَ وَدَمْوعَ اُمَّهِ الطَّاهِرَةِ إِذْ تَنْقَلِبُ سِيَّلًا عَلَيْكُمْ يَجْرِفُكُمْ إِلَى أَعْمَاقِ الْهَاوِيَّةِ . وَيَلْقَى اُكْمَنَ اِلْخَاطِعُونَ لِاصْنَامَ مَطَاهِمِكُمْ ، السَّاتِرُونَ بِالْأَنْوَابِ . السُّودَاءُ اسْوَادَ مَكْرُوهَاتِكُمْ ، الْمُحْرَكُونَ بِالصَّيْلَةِ شَفَاهِكُمْ وَقُلُوبِكُمْ جَامِدَةً كَالصَّخْرَةِ ، الرَّاكِعُونَ بِتَذَلِّلِ أَمَامِ الْمَذَاجِ وَفُوسُكُمْ مُتَمَرِّدَةٍ عَلَى اللَّهِ . قَدْ قَدْ تَوَفَّنِي بِخَيَانَتِهِ هَذَا الْمَكَانُ الْمَلُوءُ بِآثَامِكُمْ ، وَكَجْرَمِ قَبْضَتِهِ عَلَيَّ مِنْ أَجْلِهِ قَلِيلٌ مِنْ الزَّرْعِ تَسْتَبِّهُ الشَّمْسُ لِي وَلِكُمْ عَلَى السَّوَاءِ . وَلَا اسْتَطَعْتُكُمْ بِاِسْمِ يَسْوَعُ وَاسْتَحْلَفْتُكُمْ بِأَيَّامِ حَزْنِهِ وَأَوْجَاعِهِ اسْتَهْزَأْتُمْ بِي كَأْيَ لَمْ أَتَكَلَّمْ بِغَيْرِ الْحَمَّاقَةِ وَالْجَهَالَةِ . خَذُوا وَابْحثُوا فِي هَذَا الْكِتَابِ وَأَرُوْنِي مَقِيْلٌ لَمْ يَكُنْ يَسْوَعُ غَفْرَوْا ، اقْرَأُوا هَذِهِ الْمَأْسَةِ السَّمَاوِيَّةِ وَأَخْبِرُوْنِي أَيْنَ تَكَلَّمُ بِغَيْرِ الرَّحْمَةِ وَالْأَرْفَافِ اِفِيْ وَعْظَتِهِ عَلَى الْحَيْلِ ، اِمْ فِي تَعَالِيمِهِ فِي الْهَيْكِلِ اِمامُ مُضطهَدِي تِلْكَ الْزَّانِيَّةِ الْمُسْكِنَةِ ، اِمْ عَلَى الْجَلْجَلَةِ عِنْدَ مَا بَسَطَ ذَرَاعِيهِ عَلَى الصَّلِيبِ لِيُضْمِنَ الْجَنْسَ الْبَشَرِيِّ ، اَنْظُرُوا يَاقْسَاتِ الْقُلُوبِ إِلَى هَذِهِ الْمَدَنِ وَالْقُرَى الْفَقِيرَةِ ، فِي مَنَازِلِهَا يَتَلَوَّى الْمَرْضِى عَلَى اَسْرَةِ الْاَوْجَاعِ وَفِي حَبْوَسِهَا تَفْنِي اِيَّامَ الْبَائِسِينِ ، وَامَامُ اِبْوَاهَا يَتَضَرَّعُ اَمْتَسِلُونَ وَعَلَى طَرْقَهَا يَنْسَمِ الْفَرَبَاءُ ، وَفِي مَقَابِرِهَا تَنْوِحُ الْاَرَامِلُ وَالْيَتَامَى وَانْتَهَا تَتَمَتَّعُونَ بِرَاحَةِ التَّوَانِيِّ وَالْكَسْلِ ! وَتَتَلَذِّذُونَ بِهَمَارِ الْحَقْوَلِ وَخُمُورِ الْكَرْوَمِ ، فَلَمْ تَزُورُوا اِصْرِيْضاً ، وَلَمْ تَنْقَدُوا سَجِيْنَاً ، وَلَمْ تَنْظِمُوا جَائِعَّا وَلَمْ تَؤَاوِوا غَرِيْباً وَلَمْ تَعْزِزاً حَزِيْنَاً ، وَلَيْتَكُمْ تَكْتَفِيُونَ بِمَا لَدِيْكُمْ وَتَقْتَنُونَ بِمَا اغْتَصَبْتُمْ مِنْ جَدُودِنَا بِالْحِتْيَالِكُمْ فَأَنْتُمْ تَمْدُونَ أَيْدِيْكُمْ كَمَا تَمَدَ الْاَفَاعِيِّ رُؤُوسُهَا وَتَقْبِضُونَ بِشَدَّةٍ عَلَى مَا وَفَرَتُهُ الْاَرْمَلَةُ مِنْ عَمَلِ يَدِيهَا وَمَا ابْقَاهُ الْفَلَاحُ لَأَيْدِيهِ

شِيخُوتَهُ »

وَسَكَتْ يَوْحَنَانِ اِسْتَرْجَعَ اِقْنَاسَهُ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ بِفَخْرٍ وَقَالَ بِهَدْوَهِ . « اَنْتُمْ كُشَادٌ هُنَّا وَاَنَا وَحْدِي اَفْلَوْا بِي مَا شَيْئَمْ فَالْذَّئْبُ تَفَرَّسُ النَّعْجَةَ فِي ظُلْمَةِ الْلَّيْلِ لِكُنْ آثارَ دَمَائِهِ تَبْقَى عَلَى حَصَبَاءِ الْوَادِي حَتَّى يَجْبِيَ الْفَجْرُ وَتَطْلُمُ الشَّمْسُ »

كان يوحنا يتكلم وفي صوته قوة علوية توقف في ابدان الرهبان الحركة وتثير في نفوسهم الفيظ والخدة ومثل غربان جائعة في اقفال ضيقة كانوا يرتجفون غضباً وأسنانهم تصرف بشدة متربين من رئيسهم اشارة ليزقوه نزقاً ويسحقوه سحقاً حتى اذا ما انتهى من كلاته وسكت سكت العاصفة بعد تكسيرها الاغصان المتشاخنة والانصاب اليابسة صرخ الرئيس بهم قائلأً :

« اقبوا على هذا المجرم الشقي وانزعوا منه الكتاب وجروه الى حجرة مظلمة من الدبر فمن يجده على مختارى الله لا يغفر له هنا ولا في الابدية » فهجم الرهبان على يوحنا هجوم الكواسر على الفريسة وقد وادوه مكتوفاً الى حجرة ضيقة وأغلقوا عليه بعد ان امكوا جسده بخشونة اكفهم ورفس ارجلهم

في تلك الغرفة المظلمة وقف يوحنا وقفه متصر توقف العذول اسره . ونظر من الكوة الصغيرة المطلة على الوادي الملوء بنور النهار فهلل وجهه وشعر بلذة روحية تعانق نفسه وطأً نيدة مستعدبة تمتلك عواطفه فالحجرة الضيقة لم تسجن غير جسده أما نفسه فكانت حرة تسموج مع النسيم بين الطاول والمروج وايدي الرهبان التي آلمت اعضاه لم تمس عواطفه المستأنفة بجوار يسوع الناصري . والمرء لا تعذبه الا ضطهادات اذا كان عادلاً ولا تغويه المظالم اذا كان بجانب الحق . فسقراط شرب السم مبتسمًا وبولس

رجم فرحاً . ولكن هو الضمير الخفي لخالقه فيوجمنا . ونحوه فيقضي علينا وعلم والدا يوحنا بما جرى لوحيدهما ، فجاءت امه الى الدبر مسيعينة بعصاهما وترامت على اقدام الرئيس تدرُّف الدموع وتقبل يديه ليرحم ابها ويقتصر جوله . فقال لها بعد ان رفع عينيه نحو السماء كترفع عن العالميات « نحن نفتخر طيش ابناك ونسامح جنونه » ولكن للدبر حقوقاً مقدسة لا بد من استيفائها . نحن نسامح بتواضعنا زلات انسان ، اما اليشاع العظيم فلا يسامح ولا يغفر لمن يتلفون كروه ويرتعون زرعه » فنظرت اليه الوالدة والدموع ينسكب على وجنتيها المتجمعتين بايدي الشيخوخة ثم نزعت قلادة فضية من عنقها ووضعتها في يده قائلة : « ليس لدى غير هذه القلادة يا أبا اسام

ذغعي عطية والدتي يوم اقتراني فليقبلها الديبر كفارة عن ذنوب وحيدى » فأخذ الرئيس
القلادة ووضعها في جيشه ثم قال والدة يوحنا تقبل يده شكرًا وامتنانًا . « ويل لهذا الحيل
فقد انكست فيه آيات الكتاب وأصبح الاباء ياً كاون الحصرم والآباء يضرسون .
« اذهبى يايتها المرأة الصالحة وصلي من اجل ابنك المجنون لتشفيه السباء وتعيد اليه صوابه »
خرج يوحنا من اسره ومشى ببطء امام عجوله بجانب امه المنحنية على عصاها
تحت اثقال السنين . ولما بلغ الكوخ قاد العجول الى معالفها وجلس بسكنة قرب
النافذة يتأمل باضمحلال نور النهار وبعد هنيهة سمع والده يهمس في اذن امه هذه
الكلمات « كم عارضتني يا سارة عند ما كنت اقول لك ان ولدنا مختل الشعور : والآن
أراك لا تعترضين لأن اعماله قد حققت كلامي ، ورئيس الديبر الوقور قد قال لك اليوم
ـ ما قلتة أنا منذ سنين »

وظل يوحنا ناظرًا نحو المغرب حيث الغيوم المتلبدة متلونة بأشعة الشمس



أرم ذات العاد

« ألم تر كيف فعل ربك بعد ارم ذات العاد
التي لم يخلق مثلها في البلاد » (القرآن الشريفة)
« يدخلها بعض أتى » (الحديث)

نوطنة لورس ذات العاد

بعد أن ملك شداد بن عاد جميع الدنيا أسر ألف أمير من جبابرة قوم عاد أن يخرجوا ويطلبوا أرضاً واسعة كثيرة الماء طيبة الهواء بعيدة عن الجبال ليبني فيها مدينة من ذهب . فخرج أولئك الامراء ومع كل أمير ألف رجل من خدمه وحشمه . فساروا حتى وجدوا أرضاً واسعة طيبة الهواء فاعجبتهم تلك الارض فأمرروا المهندسين والبنائين فخطوا مدينة صرعة الجوانب دورها أربعون فرسخاً من كل جهة عشرة فخروا الاساس إلى الماء وبنوا الجدران بحجارة الجزع لمائاني حتى ظهر على وجه الارض ثم أحاطوا به سوراً ارتفاعه خمسة اذراء وغشوه بصفائح الفضة الممواهة بالذهب نلا يكاد يدركه البصر اذا أشرقت الشمس . وكان شداد قد بعث الى جميع معادن الدنيا فاستخرج منه الذهب وأخذه لبنا . واستخرج الكنوز المدفونة ثم بني داخل المدينة مائة ألف قصر بعد رؤساء مملكته كل قصر على عدة من أنواع الزبرجد واليواقيت معقدة بالذهب طول كل عمود مائة ذراع . وأجرى في وسطها أنهاراً وعمل منها جداول لتلك القصور والمنازل وجعل حصاتها من الذهب والجواهر واليواقيت وحلّ قصورها بصفائح الذهب والفضة وجعل على حفافات الأنهار أنواع الاشجار جذوعها من الذهب وأوراقها وثمارها من أنواع الزبرجد واليواقيت واللآلئ . وطلى حيطانها بالمسك والصنبر .. وجعل فيها جنة مزخرفة له . وجعل أشجارها الزمرد واليواقيت وسائر أنواع المعادن . ونصب عليها أنواع الطيور المسموعة الصادح والمفرد وغير ذلك

« الشعبي في كتاب سير الملوك »

أرْسَمْ فَاتِ الْعَسَار

المكان — غابة صغيرة من الجوز والخور والرمان تحيط منزل قديم منفرد بين سنجق العاصي وقرية المهرل في الشمال الشرقي من لبنان

الزمان — عصاري يوم من أيام تموز في سنة ١٨٨٣

أشخاص الرواية — زين العابدين النهاوندي . وهو درويش عجمي في الأربعين من عمره . (المعروف بالصوفي)

نجيب رحمة — أديب لبناني في الثلاثة والثلاثين

آمنة العلوية — معروفة في تلك النواحي « بجنبية الوادي » ولا أحد يعرف عمرها يرفع الستار فيظهر زبن العابدين متكتئاً على ساعده في ظلال الاشجار وهو يرسم برأس عصاه الطويلة خطوطاً مستديرة على التراب . بعد هنفية يدخل الغابة نجيب رحمة راكباً على فرس ثم يترجل ويربط مقود فرسه بجزع شجرة وينقض الفبار عن ملابسه ثم يقترب من زبن العابدين

نجيب رحمة — السلام عليك يا سيدي .

زين العابدين — وعليك السلام . (ويحول وجهه قاتلاً في نفسه) أما السلام فتقبله وأما السيادة فلا ندرى انتقبها ألم لا .

نجيب — (ينظر حواليه مستفحضاً) أهنا نسكن آمنة العلوية ؟

زبن العابدين — هذا منزل من منازلها .

نجيب — اتفني يا سيدي ان لها يتناً آخر .

زبن العابدين — لها منازل لاعداد لها .

نجيب — منذ الصباح وانا ابحث واسأل كل من لقيته عن مقر آمنة العلوية ولم يقل لي احد ان لها منازل او اكثراً .

زین العابدين — هذا دلیل على انك لم تلتئ من الصباح بغير من لا يرى الا
جيئنيه ولا يسمع الا باذنيه .

نجيب — (مستغرباً) ربما كان الامر مثلاً يقول . ولكن اصدقني يا سيدى
أفي هذا المکان تسکن آمنة العلوية ؟

زین العابدين — نعم في هذا المکان يسكن جسدها بعض الاحایين .
نجيب — وهلا أخبرتني أين هي الآن .

زین العابدين — هي في کل مکان (مشيراً يده الى الجهة الشرقية) أما جسدها
فيسير متوجلاً بين تلك التالول والاوedioة .

نجيب — وعل تعود اليوم الى هذا المکان ؟
زین العابدين — ستعود ان شاء الله

نجيب — (يجلس على صخر امام زین العابدين ثم يتفحصه طويلاً) يبدو لي
من لحتك انك فارسي .

زین العابدين — نعم ولدت في نهاروند وربت في شيراز وتنقفت في نیساپور
ووجبت مشارق الارض وغارها واما غريب في کل مكان
نجيب — كلنا غريب في کل مكان .

زین العابدين — لا والحق . فقد اقيمت وحدثت الف الف من الناس فلم أر
سوی المكتفين بمحيطهم . المستأنسين بالفهم . المنصرفين عن العالم الى الفسحة الضيقه
التي يرونها من العالم .

نجيب — (معجبًا بكلام جليسه) الانسان يا سيدى مطبوع على حب المکان
الذی ولد فيه .

زین العابدين — المحدود من الناس مطبوع على حب المحدود من الحياة .
وشحيح البصر لا يرى غير ذراع من السبيل الذي نطأه قدماه . وذراع من الحائط
الذی يسند اليه ظهره .

نجيب — ليس بكل منا المقدرة على الاحاطة بكليات الحياة . ومن الظلم انه
تطلب من شجاع البصر ان يرى البعيد والضئيل .

زين العابدين — اصبت واحسنت فن الظلم ان نطلب الخير من الحصم -

نجيب — (بعد دقيقة سكت) اسمع يا سيدى . منذ اعوام وانا اسمع الاخبار عن
آمنة الملوية ولقد اثرت بي هذه الاخبار الى درجة قصوى فزرت على الاجتماع بها
لاستفسارها ومعرفة اسرارها وخفاياها .

زين العابدين — (يقاطعه) يوجد في هذا العالم من يستطيع معرفة اسرار آمنة
الملوية وخفاياها ؟ يوجد بين البشر من يقدر ان يسير متوجلاً متنزهاً في قاع البحر
كأنه في حديقة ؟

نجيب — قد اسألت التعبير يا سيدى فسامحني . انا لا اقدر بالطبع على الاحاطة
بمكانت آمنة الملوية ولكي ارجو ان اسمع منها حكاية دخولها الى ارم ذات العماد .

زين العابدين — ما عليك سوى الوقوف في باب حلمها فان فتح لك بلغتك
قصدك . وان لم يفتح فانت الملوم .

نجيب — ماذا تعنى يا سيدلي بقولك ان لم يفتح لي كنت انا الملوم ؟

زين العابدين — اعني ان آمنة الملوية ادرى الناس منهم بنفوسهم ، فهي ترى
بلحظة واحدة ما في ضمائركم وقلوبهم وأرواحهم فان وجدتكم خليقاً بمحادثتها حدثتك
والا فلا

نجيب — ماذا اقول وماذا أفعل لا تكون حريماً باستماع حديثها .

زين العابدين — عيشاً تحاول الدنو من آمنة الملوية بواسطة القول والعمل فهي لا
وان تصفى الى ما تقوله لا ولا تنظر الى ما تفعله بل سوف تسمع باذن اذنها ما لا تقوله
وترى بعين عينها ما لا تفعله .

نجيب — (تظهر على ملامحه سياه الدهشة) ما أبلغ كلامك هذا وما أحمله .

زين العابدين — ليس ما اقول عن آمنة الملوية سوى دندنة اخرس يويـد انه
يفني نشيـداً

نجيب — اتعلم يا سيدى اين ولدت هذه الامرأة العجيبة؟

زين العابدين — ولدت في صدر الله .

نجيب — (متلباً) أعني اين ولد جسدها .

وزين العابدين — بجوار دمشق .

نجيب — وهلا اخبرتني شيئاً عن والديها وتربيتها؟

زين العابدين — ما أشبه سؤالاتك هذه بسؤالات القضاة والمسرعين . أفترض أنك تستطيع ادراك الجواهر باستفسارك الاعراض أو معرفة طعم الحمرة بمجرد النظر الى خارج الجرة .

نجيب — بين الأرواح وأجسادها رابطة وبين الاجساد ومحيطها علاقة ولما كنت لا أعتقد بالصدف أرى ان النظر في تلك الروابط وتلك العلاقات لا يخلو من الفائدة .

زين العابدين — اعجبتني ، أتعجبتني . يلوح لي أنك على شيء من العلم . اذا قسم . لا أعرف شيئاً عن ولادة آمنة العلوية سوى أنها ماتت وهي تهمنها . أما والدها الشیخ عبدالغنى الضرير المشهور بالعلوي فقد كان امام زمانه في العلوم الباطنية والتصوف . وقد كان ، رحمة الله ، ولوعاً بابنته الى درجة قصوى فهذبها وثقفها وسکب في روحها كل ما في روحه وما بلغت اشدّها أدرك ان العلوم التي اخذتها عنه لم تكن من العلم الذي انزل عليها الا بعقم الزبد من البحر فصار يقول عنها « لقد انبثق من ظلمي نور استضيء به » ولما بلغت الخامسة والعشرين خرج بها لاداء فريضة الحج . ولما قطعوا بادية الشام وأصبحوا على بعد ثلاث مراحل من المدينة المنورة بلي الضرير بالحمى وتوفي فدفنته ابنته في حلف جبل هناك وجلست على قبره سبع ليالٍ تناجي روحه وتستكشفها اسرار الغيب وتستعلم منها عما وراء الحجاب . وفي الليلة السابعة أوحى اليها روح والدها ان تطلق راحلتها وتحمل زادها على عاتقها وتسير من ذلك المكان الى الجنوب الشرقي ففعلت (يسكت دقيقة ويتحقق بالافق البعيد ثم يعود الى الكلام) وظلت آمنة العلوية سائرة في البداية حتى وصلت الى « الربع الخالي » وهو قلب

الجزيرة الذي لم يخترقه قافلة ولم يصل اليه سوى افراد قليلين منذ بدء الاسلام الى يومنا هذا. اما الحجاج فظنوا انها تاخت في تلك الفخار وقضت جوعاً ، ولما عادوا الى دمشق أخبروا الناس بذلك فحزن عليها وعلى ايها من عرف فضلها ثم التحف ذكرها السیان لأنها ما كانا .. وبعد خمسة أعوام ظهرت آمنة العلوية في الموصل . وكان ظهورها بما هي عليه من الجمال والمهيبة والعلم والصلاح أشبه شيء ببيوط نيزك من القضاء . فقد كانت تسير بين الناس مسيرة وتقف بحلقات العلماء والأئمة متكلمة عن الامور الربانية وتصف لهم مشاهد ارم ذات العاد بفصاحة ما سمع اقوم بعثتها . ولما اشتهر امرها وكثير عدد اتباعها ومراديها خاف علماء المدينة ظهور بدعة واحتسبوا الفتنة فشكوها الى الوالي فاستقدمها هذا اليه والتي بين يديها صرة من الذهب وطلب اليها ان تغادر المدينة ، فرفضت المال وتركت المدينة ليلاً بدون أن يصحبها أحد من الناس . ثم توجهت الى الاستانة خلب فدمشق فحمص فطربلس وكانت في كل مدينة من هذه المدن تثير ما سكن في نفوس الناس وتشعل ما يخفي في وجدهم فيلتقطون حوطها ويصفون الى محاضراتها وأحاديث اختباراتها العجيبة بمحذوه بين بعوامل قوية سحرية . غير ان آمنة الدين وشيوخ العلم في كل بلد كانوا يصادرونها ويفندون اقوالها ويعرضون بها الى الحكم . بعد ذلك طلبت نفسها العزلة فعادت هذا المكان منذ أعوام واستوحيت به زاهدة متعبدة منصرفة عن كل شيء سوى التعمق في الاسرار الربانية . هذا قليل من كثير اعرفه عن حياة آمنة العلوية . اما ما حباني الله بمعرفته عن ذاتها المعنوية وما يتألف في نفسها من القوى والمواهب فليس بامكاني الكلام عنه الان . ومن من البشر يا ترى يستطيع ان يجمع الاخير المحيط بهذا العالم في كؤوس واحد؟

نجيب — (متأنراً) أشكر لك يا سيدتي ما تفضلت وحدثني به عن هذه الامرأة العجيبة . لقد ضاعت شوقي الى الوقوف بحضورتها .

زين العابدين — (يترسّه دقة) أنت مسيحي . أليس كذلك؟

نجيب — نعم ولدت مسيحياً غير اني أعلم اننا اذا جردنا الاديان مما تعلق بها من الزوابع المذهبية والاجماعية وجدناها ديناً واحداً

ذين العابدين — أصبت فليßen بين البشر أدرى بالوحدة الدينية المجردة من آمنة العلوية فهي في الناس على اختلاف طوائفهم كندي الصباح الذي يهبط من الأعلى هو ينعد دراً مشعشاً بين أوراق الأزهار المتباينة لوناً وشكلًا. نعم هي كندي الصباح... (يقف زين العابدين فجأة عن الكلام ويلتفت إلى الجهة الشرقية مصيناً ثم ينصب على قدميه ويومئ إلى نجيب أن يتبه فيفعل هذا مثلاً)

زين العابدين — (هامساً) هؤلاً آمنة العلوية

(يرفع نجيب يده إلى جبهته كأنه أحس بحدوث تغيير في دقائق الهواء ثم ينظر فيرى العلوية آتية فتتغير ملامحه ويضطرب في داخله ولكنه ييق واقفاً في مكانه كالمثال تدخل آمنة العلوية وتقف أمام الرجلين وهي بهيئتها وحركاتها وملابسها لأقرب من معبدات الشعوب الفاربة منها إلى امرأة شرقية في الزمن الحاضر . ومن الصعبات تحديد عمرها بمجرد النظر إلى ملامحها فكان الشباب في وجهها يستر ألف سنة من المعرفة والاختبار . أما نجيب وزين العابدين فيظلان جامدين خاشعين متهددين كأنهما بحضورة النبي من أنبياء الله . . . وبمد ان تحدق العلوية بوجه نجيب كأنها تخترق بضارتها صدره تدنو منه وقد انبسطت ملامحها وابتسمت ، وبصوت عذب يقول . . .)

آمنة العلوية — جئتنا إيهما اللبناني متنسماً أخبارنا مستفصحاً حاناً . وسوف لا تجد بنا إلا ما بك ، ولا تسمع منا إلا ما عرفته في نفسك .

نجيب — (مفولاً) ها قد رأيت وسمعت وصدقت واكتفيت
العلوية — لا تكن قنوعاً بالقليل فمن يرد بناء الحياة بجزء فارغة صُرف بمحترفين
طاغتين .

(تمد يدها إليه فيتناولها بكلتا يديه خائعاً محشماً ويقبل اطراف أصابعها مدفوعاً بعامل خفي . تلتفت إلى زين العابدين وتمد يدها إليه فيفعل هذا فعل نجيب ثم تراجع قليلاً إلى الوراء وتجلس على حجر منحوت أمام يتها وتشير إلى صخر قريب وهو قوله نجيب) — هذه مقاعدنا فاجلس .

(يجلس نجيب وي فعل زين العابدين فعله) .

العلوية — أنا نرى بعينيك نوراً من أنوار الله ومن ينظرلينا ونور الله في عينيه يرَّ
حقيقة عارية مجردة . وانا نرى بوجهك ما يرقه الاخلاص عن حب الاستطلاع الى
الرغبة في الحق . فلن كان على لسانك كلة فقلها فنعن اليك مصفون . وان كان في
قلبك سؤال فاطرحة فنعن لك مجيبون .

نجيب — جئت مستعلمأً عن أمر يتحدث الناس به لغراشه ولكنني ما وقفت
بحضرتك حتى علمت ان الحياة مظاهر روح الكلية فكانت مثل صياد التي
شبكته في البحر ليصطاد سمكاً ولما اجتبها الى الشاطئ وجد فيها صرة من الحجارة
السخريمة .

العلوية — جئت تسألينا عن دخولنا ارم ذات الماء ؟

نجيب — نعم يا سيدتي . منذ حداثتي وهذه الكلمات الثلاث « ارم ذات الماء »
تعانق أحلامي وتتشمى مع خيالي بما وراءها من الرموز والمقاصد الخفية .

العلوية — (ترفع رأسها وتغمض عينيها وبصوت يخاله نجيب آتياً من قلب الفضاء
قول) — اجل قد بلغنا المدينة المحجوبة ودخلناها وأقنا فيها ولأننا روحنا من
اريجهما وقلبنا من أسرارها وجوبينا من لوازها وياقوتها فلن ينكر علينا ما شاهدناه
وعرفناه كان ناكراً لذاته امام الله

نجيب — (متأنياً) — ما أنا يا سيدتي سوى طفل يلش متعلماً بما يريد بيانه فلن
سألتك عن امر فيخشواع أسأل . وان ستقصي امرآ فبامعاذه واحلاص . فهلا جعلت
عطفك علي شيئاً بي لديك اذا ما اقعبت سرك بسؤالاتي الكثيرة ؟

العلوية — سل ماشت قد جعل الله الحقيقة ذات ابواب يفتحها بوجه من يطرقها
يد اليمان

نجيب — هل دخلت ارم ذات الماء بالجسد أو بالروح وهل هي مدينة مصنوعة
من عناصر الارض المتبلورة وقائمة في بقعة معلومة من الارض أم هي مدينة روحية ترثى
عن حلقة روحية يخلفها انباء الله واولياؤه في غيبوبة يلتقيها الله تقاباً على نفوسهم ؟

العلوية — ليس مازراه على الارض وما لازراه سوى حالات روحية وانا قد دخلت

المدينة المحبوبة بجسدي وهو روحي الظاهر ودخلتها بروحى وهي جسدي الخفي . ومن يحاول التفريق بين ذرات الجسد كان في ضلال مبين . إنما الزهرة وعطرها شيء واحد . فالاعمى الذي ينكر لون الزهرة وصورتها قائلاً : « ليست الزهرة سوى عطر يتموج في الأثير » ليس هو الا كالمذكوم الذي يقول « ليست الأزهار غير صور والوان » .

نجيب — اذاً المدينة المحبوبة التي ندعوها باسم ذات العياد حالة روحية ؟
العلوية — كل مكان وزمان حالة روحية . وكل المرئيات والمعقولات حالات روحية . فان انحصت عينيك ونظرت في اعمق اعماقك رأيت العالم بكلياته وجزئياته . وخبرت ما فيه من النواميس وعلمت ما يلزمه من الدرائع وفهمت ما يتلمسه من المحاجات . اجل انك اذا انحصت بصرك وفتحت بصيرتك رأيت بدأمة الوجود ونهايته — تلك النهاية التي تصير بدورها بدأمة وتلك البداية التي تحول الى نهاية .

نجيب — وهل بامكان كل انسان ان يفضم عينيه ويرى جوهر الحياة المجرد ؟
العلوية — يستطيع كل انسان ان يتلمس ثم يتشوق ثم يتلمس حتى يتلمس الشوق . قاب الظواهر عن بصره فيشاهد اذ ذاك ذاته . ومن ير ذاته ير جوهر الحياة المجرد . فكل ذات هي جوهر الحياة المجرد .

نجيب — (يضع يده على صدره) — اذاً كل ما في الوجود من محسوس ومعقول كائن هنا هنا في صدري ؟

العلوية — كل ما في الوجود كائن فيك وبك ولك .

نجيب — أبامكاني ان اقول لذائي انت ارم ذات العياد موجودة في باطنني لا في خارجي ؟

العلوية — كل ما في الوجود كائن في باطنك وكل ما في باطنك موجود في الوجود . وليس هناك من حد فاصل بين اقرب الاشياء واقصاها او بين اعلاها واخفضها او بين اصغرها واعظمها . ففي قطرة الماء الواحدة جميع اسرار البحار . وفي ذرة واحدة جميع عناصر الارض . وفي حركة واحدة من حركات الفكر كل ما في العالم من الحركات والأنظمة .
نجيب — (تظاهر على وجهه علامات الالتباس) — قد قيل لي يا سيدتي انك

قطعت المسافات الشاسعة حتى بلغت ذلك المكان المعروف باربع انطالي في قلب الجزيرة ..
وقيل لي ان روح والدك كانت الموجية اليك والهادبة لك والسايرة معك حتى بلغت ارم ذات العمام . افليس على الراغب في الوصول الى تلك المدينة المحجوبة ان يكون في حالة شبيهة بحالتك وان تكون له الوسائل الجسدية والاسباب المعنوية ليحصل على ماحصلت
فت عليه ؟

العلوية — اجل قد قطعنا الصحاري وقادينا الحجوع والعطش وخبرنا مخاوف النهاية
ورمضانه واهوال الليل وسكنيته قبل ان رأينا اسوار مدينة الله . ولكن قد بلغ مدينة الله قبلنا من لم يسر خطوة وعرف جمالها وبهاءها من لم يختبر جوعاً في الجسد أو عطشاً
في الروح . اي الحق لقد طاف في المدينة المقدسة اخوان لنا وآخوات بدون ان يخرجوا
من المنازل التي ولدوا فيها (نسكت هنيهة ثم تومي بيدها الى الاشجار والرياحين المحيطة
بها) لكل بذرة من البذور التي يلقاها الخريف في أديم التراب اساليب خاصة في فسخ
قشرتها عن لبابها وفي تكوين اوراقها فازها بها فاعمارها . ولكن معاها تباينت الاساليب
فحجحة جميع البذور تظل واحدة . وتلك المحجة هي الوقوف امام وجه الشمس .
زين العبادين — (يهاب الى الانام والى الوراء متاثراً كأنه اتقى بالروح الى عالم
سام ثم يصرخ بصوت رخيم)

— الله أكبر . لا اله الا الله الْكَرِيمُ الْوَهَابُ الْمَلِكيُ ظله بين الاسنة والشفاء ..

العلوية — اجل . قل الله أكبر . لا اله الا الله وقل لا شيء الا الله .

(يتمتم زين العبادين هذه الكلمات في ذاته أما نجيب فيتحقق بالعلوية كالمسحور وبصوت يكاد يكون همساً يقول) — لا شيء الا الله .

العلوية — قل لا اله الا الله ولا شيء الا الله وكن مسيحيّاً .

نجيب — (يعني رأسه محركاً شفتيه مردداً كلما ناداً ثم يرفع رأسه قائلاً) — قد
قتلها ياسيدتي وسوف اقولها الى نهاية حياتي .

العلوية — ليس بحياتك نهاية فانت بلق يبقاء كل شيء !

نجيب — من انا وما انا لا يبقى خالداً ؟

العلوية — انت انت . وانت كل شيء ، لذلك ستبقي خالداً .

نجيب — اني اعلم طبعاً ياسيدتي ان الذرات التي تتألف منها وحدتي المبولة ستبقي بقاء المبولي ولكن أباقيه يارى هذه الفكر التي ادعوها انا ؟ أباقيه هذه اليقظة الفضيلة المنطقية بالمجووع ؟ أباقيه هذه الفقاقيع المتلمعة بنور الشمس وامواج البحر التي ولدتها هي هي الامواج التي تمحوها لتولد غيرها ؟ أباقيه هذه الامااني والآمال والاواعي والافراح ؟ أباقيه هذه الاوهام المرتعشة في هذا النوم المتقطع في هذا الليل الغريب بمجائبها المهاطل اتساعه وعمقه وعلوه ؟

العلوية — (ترفع عينها الى العلاء كأنها تتناول شيئاً من جيوب الفضاء وتقول بلطفة ايجابية ملؤها العزم والمعرفة والخبرة) — كل موجود باقٍ . وجود الموجود دليل على بقائه . أما الفكرة وهي العلم بكليته ، اذ لولاها لما علم العالم ، وجوداً كان أو غير موجود فهي مكياً ازليًّا ابدبيًّا خالد لا يتغير الا ليتجوهر ولا يختفي الا ليظهر بصورة اسني ولا ينام الا ليحلم ييقظة ابهي . ولقد عجبت من يثبت بقاء الذرات في الغلافات الخارجية التي تتصورها حواسنا ولكنها يذكر ما جعلت الغلافات من اجله . عجبت من يقرر خالد الناصر التي تتألف منها العين ولكنها يشك بخالد النظر الذي اخذ العين آلة له . عجبت من يثبت ابدية المسببات ولكنها يحتم باضمحلال الاسباب . عجبت من تشغله المظاهر المكونة عن المكون المظهر . عجبت من يقسم الحياة الى شطرين فيؤمن بالشطر المدفوع ويتجحد الشطر الدافع . عجبت من ينظر الى تلك الحيوان والسمول المغمورة بنور الشمس ثم يصفي الى الهواء متكلماً بالسنة الاغصان ثم يتجرع عطر الازهار والرياحين وبعد ذلك يقول لنفسه « لا ولن يزول ما اراه واسمعه ، لا ولن يتض محل ما اعرفه وأشعر به ، ولكن هذه الروح العاقلة التي ترى فتتبيب وتنتأمل وتنسخ فتفتح وتنكتب ، هذه الروح التي تشعر فترتعش وتنبسط وتتعلم فتكتتب فتحقق ، هذه الروح التي تحيط بكل شيء سوف تض محل اضمحلال الواقع على وجه البحر وتزول زوال الظل امام النور » اي ولحق اني اعجب لكان يذكر كيانه .

نحيب — (متراجعاً) — قد آمنت بكيني يا سيدتي . ومن يسمك متکامة ولا يؤمن كان أشبه بالصخر منه بالانسان
العلوية — ان الله وضع في كل نفس رسولاً ليسير بنا الى النور ولكن في الناس من يبحث عن الحياة في خارجه والحياة في داخله ولكن لا يعلم .
نحيب — اليـس في خارجـنا أـوار لا نـستطيع بـدونـها الـوصـول إـلـى ماـ فـي اـعـماـقـنا ؟
اليـس في مـحيـطـنا قـوـى تـسـتمـضـ قـوـاـنـا وـمـؤـثـرـاتـ تـنبـهـ الفـاقـلـ فـيـنا ؟
(يـطـرقـ هـنـيـهـ مـتـرـدـداـ شـمـ يـوـدـ يـقـولـ) — أـوـلـمـ توـحـ إـلـيـكـ روـحـ وـالـدـكـ أـمـوـرـاـ لـاـ يـعـرـفـها سـجـنـ الحـجـدـ وـرـهـيـنـ الـاـيـامـ وـالـلـيـالـيـ ؟

العلوية — أجل : ولكن عـثـاـ يـطـرقـ الرـاـئـرـ بـابـ الـبـيـتـ اذاـ لمـ يـكـنـ فـيـ دـاـخـلـ الـبـيـتـ منـ يـسـمـعـ الـطـرـقـاتـ وـيـقـومـ لـيـفـتـحـ فـيـ وجـهـهـ . انـاـ الـاـنـسـانـ كـائـنـ مـتـصـبـ بـيـنـ الـلـاهـيـةـ فـيـ باـطـنـهـ وـالـلـاهـيـةـ فـيـ مـحـيـطـهـ . فـلـوـ لمـ يـكـنـ فـيـنـاـ مـاـ كـانـ فـيـ خـارـجـنـاـ .
لـقـدـ تـاجـتـنـيـ روـحـ وـالـدـيـ لـأـنـ روـحـيـ تـاجـهـاـ وـأـوـحـتـ إـلـىـ عـاـقـلـتـيـ اـنـخـارـجـيـةـ مـاـ كـانـتـ تـعـرـفـ عـاـقـلـتـيـ الـبـاطـنـيـةـ . فـلـوـ لـاـ جـوـعـيـ وـعـطـشـيـ لـمـ حـصـلـتـ عـلـىـ اـنـخـبـزـ وـالـمـاءـ وـلـوـ لـاـ شـوـقـيـ وـحـنـيـنـيـ
لـمـ لـقـيـتـ مـوـضـعـ شـوـقـيـ وـحـنـيـنـيـ .

نـحـيـبـ — أـيـسـتـطـيـعـ كـلـ مـاـ يـاسـيـدـتـيـ أـنـ يـفـزـلـ سـلـكـاـ مـنـ شـوـقـهـ وـحـنـيـنـهـ وـيـمـدـهـ بـيـنـ روـحـهـ وـالـأـرـوـاحـ المـعـتـقةـ ؟ أـفـلـيـسـ هـنـاكـ طـافـةـ مـنـ النـاسـ قـدـ أـعـطـيـتـ الـمـقـدـرـةـ عـلـىـ مـخـاطـبـةـ
الـأـرـوـاحـ وـاستـرـازـلـ مـشـيـثـهـاـ وـرـأـيـهـاـ .

الـعـلـوـيـةـ — انـ بـيـنـ سـكـانـ الـاـثـيرـ وـسـكـانـ الـاـرـضـ مـخـاطـبـاتـ وـمـسـاـرـاتـ مـسـتـبـةـ
بـاسـتـبـابـ الـاـيـامـ وـالـلـيـالـيـ . وـلـيـسـ بـيـنـ النـاسـ مـنـ لـمـ يـأـمـرـ بـمـشـيـثـهـ القـوـىـ العـاـقـلـةـ غـيـرـ الـمـنـظـورـةـ .
فـكـمـ مـنـ عـمـلـ يـأـيـ بـهـ الـفـرـدـ مـتـوـهـاـ اـنـ خـيـرـ بـفـعـلـهـ وـهـوـ بـالـحـقـيـقـةـ مـسـيرـ . وـكـمـ مـنـ عـظـيمـ فـيـ
الـاـرـضـ كـانـتـ عـظـمـتـهـ فـيـ اـسـنـلـاـمـهـ التـامـ اـلـىـ اـرـادـةـ روـحـ مـنـ الـاـرـوـاحـ اـسـنـلـاـمـ قـيـثـارـةـ
دـقـيقـةـ الـاـوـتـارـ اـلـىـ نـقـرـاتـ عـازـفـ خـيـرـ . أـجـلـ ، اـنـ بـيـنـ عـالـمـ الـمـرـئـاتـ وـعـالـمـ الـعـقـلـ سـيـبـلـاـ
خـيـرـاـهـ فـيـ غـيـرـيـبـاتـ تـحـدـثـ لـنـاـ وـنـحـنـ غـافـلـونـ ثـمـ نـعـودـ وـفـيـ أـكـفـنـاـ الـمـعـنـوـيـةـ بـذـورـ نـاقـيـهـاـ فـيـ
ـرـبـةـ حـيـاتـنـاـ الـيـوـمـيـةـ فـتـبـتـ أـعـمـالـأـجـلـيـةـ أـوـأـقـوـالـأـخـالـدـةـ ، وـلـوـ لـاـ تـلـكـ السـبـلـ المـفـتوـحةـ بـيـنـ

أرواحنا والارواح الاثيرية لما ظهر في الناسنبي ولا قام فيهم شاعر ولا سار بينهم عارف .
ـ (ترفع صوتها عن ذي قبل) أقول ، وما في الادهار تشهد لي ، ان بين الملا الاعلى والملا
الادنى روابط شبيهة بعلاقة الآمر بالمؤمر والمنذر بالمنذر أقول انا محاطون بوجدانات تستميل
ـ وجداناتنا ، وعاقلات نوعز الى عاقلاتنا ، وقوى تستهض قوانا ، أقول ان مشكوكنا
ـ لا تنفي امثالنا الى ما نشك به ، وانصرافنا الى امانى أجسادنا لا يصرفنا عن مراد الارواح
ـ جل روحنا ، وتعامينا عن حقيقتنا لا يحجب حقيقتنا عن عيون المحظوظين عنا ، فتحن وان
ـ وقنا فسائرون بسيرهم ، وان همدا فتحركون بحركاتهم ، وان صمتنا فتكلمون باصواتهم ،
ـ خلا المجموع فيما يزيل يقضفهم عنا ، ولا اليقظة بنا تحول أحلامهم عن مسارح خيالنا ،
ـ فتحن وهم في عالمين يضمها عالم واحد ، وفي حالتين تنتفعها حالة واحدة ، وفي وجودين
ـ مجمعهما ضمير كل سرمدي أحد ليس له بد ، وليس له نهاية وليس له فوق وليس له
ـ تحت وليس له حد وليس له جهات .

نجيب — أيّي يوم يا سيدني نعرف فيه بالاستقراء العلمي والاختبار الحسي ما تعرفه
ـ أرواحنا بالخيال وما تختبره قلوبنا بالتسويق ؟ وهل يتقرر لنا بقاء الذات المعنوية بمد
ـ الموت مثلما تقرر لدينا بعض الاسرار الطبيعية فننس ييد المعرفة المجردة ما تلمسه
ـ الاآن باصابع اليمان ؟

العلوية — نعم سيأتي ذلك اليوم . ولكن ما أضل الذين يدركون حقيقة مجردة
ـ بعض حواسهم ولكنهم يظلون متآمين بها حتى تبدو لحواسهم الأخرى . ما أغرب
ـ من يسمع الشحور مفرداً ويشاهده مرفقاً متنقلأً ولكن يبق مشككأً بما سمع وما
ـ رأى حتى يقبض بيده على جسم الشحور . ما أغرب من يحمل بحقيقة جميلة ثم يحاول
ـ تجسيدها وحبسها بقوالب الظواهر فلا يفلح فيرتاب بالخلم ويجد الحقائق ويشك بالجمال .
ـ ما أجهل من يتخيّل أمراً ويتصوره بشكاه ومعاشه وعند ما يستحيل عليه اثباته بالمقاييس
ـ السطحية والبراهين المفظية يحسب ان الخيال وهو التصور شيئاً فارغاً . ولكن لو تعمق
ـ قليلاً وتأمل هنية لعلم أن الخيال حقيقة لم تتعجر بعد وان التصور معرفة اسمى من أن
ـ تقييد بسلام المعايس وأعلى وأرحب من أن تسجن باقفاصل الانفاظ .

نجيب — أفي كل خيال حقيقة يا سيدتي وهل في كل تصور معرفة ؟
العلوية — أي الحق . ان صرآة النفس لا تمكـس سوى ماالتتصـبـ أمـامـها ولو شـاءـتـ
لـمـاـ استـطـاعـتـ . ان الـبـحـيرـةـ الـهـادـئـةـ لاـ تـرـيكـ فـيـ أـعـماـقـهاـ خطـوطـ جـبـالـ وـرـسـومـ أـشـجـارـ
وـأـشـكـالـ غـيـومـ لـاـ وجـودـ هـاـ بـالـحـقـيقـةـ ،ـ وـلـوـ شـاءـتـ الـبـحـيرـةـ لـمـاـ استـطـاعـتـ .ـ انـ خـلـاـ يـالـرـوـحـ
لاـ تـرـجـعـ الـيـكـ صـدـىـ أـصـوـاتـ لـمـ يـرـتـعـشـ بـهـاـ الـأـثـيـرـ حـقاـ .ـ وـلـوـ شـاءـتـ الـخـلـاـيـاـ لـمـاـ استـطـاعـتـ ..
انـ النـورـ لـاـ يـلـقـيـ عـلـىـ الـأـرـضـ ظـلـ شـيـءـ لـاـ كـيـانـ لـهـ ،ـ وـلـوـ شـاءـ النـورـ لـمـاـ استـطـاعـ .ـ اـنـمـاـ
لـاـ يـعـانـ بـالـشـيـءـ الـمـرـفـقـ بـالـشـيـءـ .ـ وـلـمـؤـمـنـ يـرـىـ يـصـيرـهـ الـرـوـحـيـةـ مـاـ لـاـ يـرـاهـ الـبـاحـثـونـ وـالـمـنـقـبـونـ .
بعـيـونـ رـؤـوسـهـ ،ـ وـيـدـرـكـهـ يـفـكـرـهـ الـبـاطـنـةـ مـاـ لـاـ يـسـطـعـيـونـ اـدـرـاكـهـ بـفـكـرـهـمـ الـقـبـسـةـ .
المـؤـمـنـ يـخـبـرـ الـحـقـائـقـ الـقـدـسـيـةـ بـحـوـاسـ تـخـلـفـ عـنـ الـحـوـاسـ الـتـيـ يـسـتـخـدـمـهـ النـاسـ كـافـقـةـ
فـيـظـنـهـ جـدـارـاـ حـكـمـ الـبـنـاءـ ،ـ فـيـسـيرـ فـيـ طـرـيـقـ قـاتـلـاـ «ـ لـيـسـ هـذـهـ الـمـدـيـنـةـ مـنـ أـبـابـ»ـ
(ـ تـقـفـ الـعـلـوـيـةـ وـتـخـطـوـ بـعـضـ خـطـوـاتـ نـحـوـ نـجـيبـ وـبـلـهـجـةـ مـنـ أـوـشـكـ أـنـ يـلـغـ مـنـ
الـكـلـامـ حـدـاـ لـاـ يـرـيدـ الـزـيـادـةـ عـلـيـهـ تـقـولـ)ـ ..

العلوية — انـ المـؤـمـنـ يـعـيـشـ كـلـ الـاـيـامـ وـكـلـ الـلـيـالـيـ ،ـ اـمـاـ غـيـرـ المـؤـمـنـ فـلـاـ يـعـيـشـ
سوـيـ ثـوـانـ مـعـدـودـةـ مـنـهـاـ ،ـ فـاـ أـضـيـقـ عـيـشـ مـنـ يـرـفـعـ يـدـهـ بـيـنـ وـجـهـهـ وـالـعـالـمـ أـجـمـعـ فـلـاـ يـرـىـ
غـيـرـ الـخـطـوـطـ فـيـ كـفـهـ ،ـ وـمـاـ أـشـدـ شـفـقـتـيـ عـلـىـ مـنـ يـدـيـرـ ظـهـرـهـ إـلـىـ الشـمـسـ فـلـاـ يـرـىـ غـيـرـ
خـلـ جـسـدـهـ عـلـىـ التـرـابـ .

نجـيبـ (ـ يـتـصـبـ وـاقـفـاـ شـاعـرـاـ بـدـنـوـسـاعـةـ اـنـصـرافـهـ)ـ — أـقـولـ لـلـنـاسـ يـاـ سـيـدـتـيـ
عـنـدـ مـاـ أـعـوـدـ يـهـمـ اـرـمـ ذـاتـ الـمـادـ مـدـيـنـةـ أـحـلـامـ روـحـيـةـ وـانـ آمـنـةـ الـعـلـوـيـةـ قدـ سـارـتـ .
يـلـيـاـ عـلـىـ سـبـيلـ الشـوـقـ وـدـخـلـهـاـ مـنـ بـابـ الـإـيـانـ ؟

الـعـلـوـيـةـ — قـلـ اـرـمـ ذـاتـ الـمـادـ مـدـيـنـةـ حـقـيقـيـةـ كـائـنـ بـكـيـانـ الـحـيـالـ وـالـغـيـابـاتـ .
وـالـبـحـارـ وـالـصـحـارـىـ .ـ وـقـلـ اـنـ آمـنـةـ الـعـلـوـيـةـ قدـ وـصـلـتـ الـبـهـاـ بـعـدـ اـنـ قـطـمـتـ الـبـادـيـةـ اـنـخـالـيـةـ
وـقـاسـتـ اـمـ الـجـمـوعـ وـحـرـقـةـ الـمـطـشـ وـكـائـنـةـ الـوـحـدـةـ وـهـوـلـ الـاـنـفـرـادـ وـقـلـ اـنـ جـيـابـرـةـ الـدـهـورـ
قـدـ بـنـواـ اـرـمـ ذـاتـ الـمـادـ مـاـ تـبـلـوـرـ وـتـجـوـهـ مـنـ عـنـاصـرـ الـوـجـودـ ،ـ وـلـمـ يـحـجـجـوـهـاـ عـنـ النـاسـ .
وـلـكـنـ النـاسـ حـجـبـوـاـ قـوـسـهـمـ عـنـهـاـ ،ـ فـنـ يـضـلـ الـوـصـولـ الـيـهـ فـلـيـشـكـ دـلـيـلـهـ وـحـادـيـهـ بـدـلـاـ .

من مصاعب الطريق وحراجتها . وقل للناس ان من لا يشعل سراجه لا يرى في الظلام
 سوى الظلام . (ترفع وجهها نحو الملاء وتغمض عينيها ويظهر على ملامحها تفاصيل
 من المطف والحلوة) .

نجيب — (يدنو منها منحني الرأس ويظل صامتاً هنيهة ثم يقبل يدها هامساً)
 ها قد بلغت الشمس الفروب وعلىَّ أنت أعود الى مساكن الناس قبل أن يكتئف
 الظلام الطريق .

العلوية — سر في النور وسر بامان الله .

نجيب — سأسير في نور المشعال الذي وضعته في يدي يا سيدتي .
 العلوية — سر بنور الحق الذي لا تطشه الا هواه . (تنظر اليه نظرة طويلة مفعمة
 بشعاع الارومه ثم تحول عنه وتمشي بين الاشجار حتى تتحجب عن عينيه .

زين العابدين (يقترب من نجيب) — الى أين أنت سائر الآآن ؟
 نجيب — الى منزل أصحاب لي يقرب منبع العاصي .

زين العابد — أتسمح لي بمرافقتك ؟

نجيب — بكل سرور ، ولكنني ظننت أنك باقي بجوار آمنة العلوية فطوبت لك
 روحى وتمنيت لو كنت مكانك .

زين العابدين — نحن نحيا بنور الشمس عن بعد ولكن من من يستطيع الحياة
 في الشمس (بلهجة ذات معان بعيدة) اجي ، مرة في الاسبوع متبركاً متزوداً وعند ما
 يأتي المساء أعود قائماً مكتفياً .

نجيب — وددت لو جاء الناس كافة مرة في الاسبوع ليتبركوا ويتزودوا ويعودوا
 قائمين مطمئنين .

(يدخل نجيب مقود فرسه ويسيره رجالاً بجانب زين العابدين)

الستار

صفحة من مناقومات ميراله

سکوئی انشاد

سکوئی انشاد وجوی تختمة
و في عطشی ماہ و في صحونی سکر
و في باطنی کشف و في مظہری ستر
وكم اشتکی هما و قلبي مفاخر
بهی وكم ابکی وثیری يفتر
وكم أبغی اسرآ و في حوزتی الأمر
وكم ارتجی خلا و خلی بجانی
على بسط أحلامی في جمها الفجر
وقد ينشئ الليل البهی منازعی
فالفيته روحًا يقلصه الفکر
نظرت الى جسمی براة خاطری
فيی من برانی والذی مد فسحتی
و بی الموت والمثوى وبی البعث والنشر
غلو لم اکن حبًا لما كنت مائنا
ولولا سرام النفس ما راہنی القبر
و ملأ سألت النفس ما الدهر فاعل
بحشد امانينا أجبت انا الدهر



يامن يعادينا

يامن يعادينا وما إن لنا ذنبٌ إليه غيرُ أحلامنا
هذى رحيمٌ مالها أكتوسٌ فكيف نسيها للوامنَا
وهي بحار مدُّها صمتنا وجزرُها في حبرِ اقلامنا

جاورتمُ الامس وملمنا الى يومٍ موشى صبحه بالخلفاء
ورمتمُ الذكري واطيافها ونحن نسعى خلف طيف الرجاء
وجبستُمُ الارض واطرافها ونحن نطوي بالفضاء الفضاء

لوموا وسبوا والعنوا واسخروا وساوروا ايامنا بالخصام
وابنوا وجوروا وأرجعوا واصلبوا فالروحُ فيما جوهُ لا يضم
فنحنُ نحنُ سوكب لايسير إلى الورا في النور أو في الظلام
ان تحسبونا ثلةً في الاثير لان تستطيعوا رقتها بالكلام



يا نفس

يا قسُ لولا مطعمي بالخلدِ ما كنتُ أعني
لَهَا تُغْنِيهُ الدهور
ـ جـلـ كـنـتـ أـنـهـ حـاضـرـيـ قـسـراـ فـيـفـسـدـوـ ظـاهـرـيـ
سـرـاـ تـوارـيـهـ القـبـورـ

ـ يـاـ نـفـسـ لـوـ لـمـ أـغـسلـ بـالـدـمـعـ أـوـ لـمـ يـكـتـحـلـ
جـفـنـيـ بـأـشـبـاحـ السـقـامـ
ـ لـعـشـتـ أـعـمـىـ وـعـلـىـ بـصـيرـتـيـ ظـفـرـ ،ـ فـلـاـ
أـرـىـ سـوـىـ وـجـهـ الـظـلـامـ

ـ يـاـ قـسـ مـاـ عـاـشـ سـوـىـ لـيلـ إـذـ جـنـتـ اـتـهـىـ
بـالـفـجـرـ ،ـ وـالـفـجـرـ يـدـوـمـ
ـ حـوـيـ ظـلاـ قـلـبـيـ دـلـيـلـ عـلـىـ وـجـودـ السـلـسـلـيـلـ
ـ فـيـ جـرـقـ المـوـتـ الرـحـومـ

ـ يـاـ نـفـسـ إـنـ قـالـ الـجـهـولـ أـرـوـحـ كـالـجـسـمـ تـزـوـلـ
ـ وـمـاـ يـزـوـلـ لـاـ يـعـودـ
ـ تـحـوـيـ لـهـ إـنـ لـزـهـورـ تـمـضـيـ وـلـكـنـ الـبـذـورـ
ـ تـبـقـيـ وـذـاـ كـنـهـ الـخـلـودـ

—————

إذا غزلت

هذا غزلتُ حولَ يومي الفنونْ وان جبكتُم حولَ ليلي الملائمة
 خلن تذكروا برجَ صبرى الحصينْ ولن تُزيلوا من كتوسي المدام
 حتى حياني منزلُ السكونْ وفي فؤادي معبدُ السلام
 ومن نفدي من طعامِ المنونْ لا يختشي من أنْ يذوقَ الناس

البلاد الحجو بت

هذا الفجرُ فقومي نصرفُ عن ديارِ مالنا فيها صديقُ
 حما عسى يرجو نباتٍ يختلفُ زهرُه عن كلِّ وردرٍ وشقيقٍ
 وجديدُ القلبُ إلَّا يختلفُ مع قلوبِ كلِّ ما فيها عتيقٍ
 هذا الصبحُ ينادي فاسمعي وهلي تقسي خطواتِه
 تحدِّي كفانا من مسأله يدعى ان نورَ الصبحِ من آيلمه

تقدَّمْ أثنا العمرَ في وادٍ نسير بين ضلائعه خيالاتُ المهمومِ
 حوشدنا اليأسَ أسراباً نطير فوق متنه كعبانِ وبُومٍ
 حشر بنا السقم من ماءِ الغدير وأكلنا السمَّ من فرجِ الكرومِ
 حولَ بنا الصبرَ ثوباً فالتهبَ فسدونا تردى بالرماد

وافتشرناه وساداً فاقلب عند ما نمنا هشياً وقاد

يا بلاداً حجيت منذ الأزل كيف نرجوك ومن اي سبيل
أي قفري دونها اي جبل سورها العالى ومن منا الدليل
أسراب انت ام انت الامل في نفوس تمنى المستحيل
أمنام يتهادى في الفلوب فإذا ما استيقظت ولئ النمام
ام غيم طفن في شمس الغروب قبل ان يغرق في بحر الظلام

يا بلاد الفكر يا مهد الاولى عبدوا الحق وصلوا للحال
ما طلبناك بركب او على متن سفن او بخيال ورجال
لست في الشرق ولا الغرب ولا
لست في الجو ولا تحت البحار
لست في السهل ولا الوعر الحرج
انت في الارواح أنوار ونار انت في صدري فؤادي بخليج



حرقة الشيوخ

يا زمان الحبِّ ، قد ولَّ الشَّابُ . وَتَارِيَ العَمْرُ كَا لَظَلَ الضَّيْلُ .
 وَأَنْجَى الْمَاضِي ، كَسْطَرَ مِنْ كِتَابٍ . خَطَهُ الْوَمْ عَلَى الطَّرَسِ الْبَلِيلُ .
 وَغَدَتْ إِيَامُنا قِيدَ الْمَذَابِ فِي وَجْهِهِ بِالْمَسَرَاتِ بِنَجِيلٍ .
 فَالَّذِي نَحْشَقُهُ يَأْسًا فَضَى ، وَالَّذِي نَطَبَهُ مَلَّ وَرَاحَ .
 وَالَّذِي حَزَنَاهُ بِالْأَمْسِ مَضَى مُثْلَ حَمْرَ بَيْنِ لَيْلٍ وَصَبَاحٍ .

* * *

يَا زَمَانَ الْحُبِّ ، هَلْ يُفْنِي الْأَمْلُ . بِخَلْوَدِ النَّفْسِ عَنْ ذِكْرِ الْعِهْدِ ؟
 هَلْ ، تَرِي ، يَمْحُوا الْكَرْي رِسْمَ الْقَبْلِ ؟ عَنْ شَفَاءِ مَلَهَا وَرَدُّ الْمَحْدُودِ ؟
 أَوْ يَدَانِينَا وَيُنْسِينَا الْمَلْسُلُ ؟ سَكَرَةُ الْوَصْلِ وَاشْوَاقُ الْصَّدُودِ ؟
 هَلْ يَصْمِّمُ الْمَوْتُ آذَانًاً وَعَتَّاً ؟ أَنَّهُ الظَّلُّ وَانْفَامُ السَّكُونِ ؟
 هَلْ يُغَشِّي الْقَبْرَ اجْفَانًاً رَأَتْ خَافِيَاتِ الْقَبْرِ وَالسَّرَّ المَصُونِ ؟

* * *

كَمْ شَرِبَنَا مِنْ كَوْؤُوسِ سَطْعَتِهِ ؟ فِي يَدِ السَّاقِ كَثُورُ الْقَبْسِ ؟
 وَرَشَفَنَا مِنْ شَفَاءِ جَمَّتِهِ نَفْمَةُ الْلَّطْفِ بِشَغْرِ الْمُعْسِ ؟
 وَتَلَوَنَا الشَّعْرُ حَتَّى سَمِعْتُ زَهْرَ الْأَفْلَاكِ صَوْتَ الْأَنْفُسِ ؟
 . . . تَلَكَ أَيَّامَ تَولَّتْ كَالَّازْهُورَ بِهِبُوطِ الثَّلَجِ مِنْ صَدْرِ الشَّتَاءِ ،
 فَالَّذِي جَادَتْ بِهِ أَيْدِي الدَّهُورِ سَلَبَتْهُ خَلْسَةً كَفَ الشَّقَاءِ . . .

هُوَ عَرْفَنَا مَا تَرَكَنَا لِلَّهِ تَنْصَبِي بَيْنَ نَعَسٍ وَرَقَادٍ،
هُوَ عَرْفَنَا مَا تَرَكَنَا لَحْظَةً تَنْثَبِي بَيْنَ خَلْوٍ وَسَهَادٍ
لَوْ عَرْفَنَا مَا تَرَكَنَا بِرَهْةٍ مِنْ زَمَانِ الْحُبِّ تَنْصَبِي بِالْبَعَادِ،
قَدْ عَرْفَنَا الْآَنَّ، لَكِنْ بَدَمَا هَفْفَ الْوَجْدَانِ: «قَوْمًا وَأَذْهَبُوا» !
عَدْ سَمَنَا وَذَكَرَنَا عَنْدَمَا صَرَحَ الْقَبْرُ وَنَادَى : «اقْتَرِبُوا» !

* * *

بِاللَّهِ يَا قَلْبِي !

أَكْتَمْ هَوَاهُ	بِاللَّهِ يَا قَلْبِي
وَاخْفِ الَّذِي يَشْكُوهُ	عَنْ يَرَاكَ - تَنْفُ
مِنْ باحَ بِالْأَسْرَارِ	
يَشَابِهُ الْأَحْمَقِ	
فَالصَّمْتُ وَالْكَتْمَانُ	
أُخْرَى مِنْ يَعْشُقُ	
إِذَا اتَّاكَ	بِاللَّهِ يَا قَلْبِي
عَمَادَهَاكَ - فَأَكْتَمْ	حَسْطَلُمْ يَسْأَلُ
	يَا قَلْبُ إِنْ قَالُوا

لَيْلَةُ الْمَقْرَبَةِ

نَفَرَ — قَدْ سَبَّتْ غَيْرِي

ثُمَّ أَدْعُ السَّلْوَى

جَنَاحُهُ يَا قَلْبِي

هَقَا الَّذِي يَضْنِي

الْحَبُّ فِي الْأَرْوَاحِ

كَحْمَرَةُ فِي الْكَاسِ

مَا بَانَ مِنْهَا مَاءٌ

وَمَا خَفِيَ أَنْفَاسِ

جَنَاحُهُ يَا قَلْبِي

لَيْلَةُ ضَجَّتِ الْأَبْحَارِ

أَحْسَنَ عَنَّا كَ

أَوْ هَدَتِ الْأَفْلَاكَ — تَسْلِمٌ



أغنية الليل

سكنَ الليلُ ، وفي ثوبِ السكونِ تختفيُ الأحلامُ
وسعى البدرُ ، وللبدرِ عيونٌ ترصدُ الأيامَ
فتعالي ، يا بنةَ الحقلِ ، نزورٌ كرمةَ العشاقِ
علّنا نطفي بذياكَ المصيرَ حرقةَ الأشواقِ
اسمعي البلبلَ ما بينَ الحقولِ يسكبُ الألحانَ
في فضاءٍ فاخت فيه التلولِ نسمةَ الريحانَ
لا تخافي ، يا فتاني ، فالنجومُ تكتُمُ الأخبارَ
وضبابُ الليلِ في تلكِ الكرومِ بمحبِّ الأسرارِ
لا تخافي ، فurosُ الجنِ في كهفِها المسحور
هجمتْ سكري وقادتْ تخفى عن عيونِ المحوَر
ومليكُ الجنِ إنْ مرَّ بروحٍ والهوى يُثنيه
فهوَ مثلِي عاشقٌ كيفَ يروح بالذِي يُضئيه



موشحاتٌ جديدةٌ

البحر

هي سكونٌ للليل لما تتنفس يقظةُ الإنسان من خلف الحجاب
يصرخ النبَّ — أنا العزُّ الذي أنتِهُ الشمسُ من قلبِ التراب
غيرَ أنَّ البحرَ يبقى ساكناً
قاتلًا في نفسهِ — العزُّ لي

ويقول الصخر إنَّ الدهرَ قد شادني دمناً إلى يومِ الحسابِ
غيرَ أنَّ البحرَ يبقى صامتاً
قاتلًا في نفسهِ — ألمِنْ لي

ويقول الرِّيحُ — ما أغريَني فاصلاً بين سديمِ وسماءِ
غيرَ أنَّ البحرَ يبقى ساكناً
قاتلًا في نفسهِ — الرِّيحُ لي

ويقول النهرُ — ما أعدَّبني مشرباً يروي من الأرضِ الظلامَ
غيرَ أنَّ البحرَ يبقى صامتاً
قاتلًا في ذاتهِ — النهرُ لي

ويقول العودُ — إني قائمٌ ما أقامَ النجمُ في صدرِ الفلكِ
غيرَ أنَّ البحرَ يبقى هادئاً

قاتلًا في نفسه — الطود لي

ويقول الفكرُ — اني ملك ليس في خلالٍ غيري من ملكه
 غيرَ أن البحرَ يقْهاجِما
 قاتلاً في نومه — الكلُّ لي

الشحور

ايهـا الشحور غرـد فالـفـسا سـرـ الـوـجـودـ
 ليـتـنيـ مـثـلـكـ حـرـ منـ سـجـونـ وـقـيـودـ
 ليـتـنيـ مـثـلـكـ روـحـ فـضـاـ الـوـادـيـ أـطـيرـ
 اـشـربـ النـورـ مـدـاماـ فيـ كـوـسـرـ منـ أـثـيرـ
 ليـتـنيـ مـثـلـكـ طـهـراـ وـاقـنـاعـاـ وـرـضـىـ
 مـعـرـضاـ عـمـاـ سـيـأـيـ غـانـلـاـ عـمـاـ مـضـىـ
 ليـتـنيـ مـثـلـكـ ظـرـفـاـ وـجـالـاـ وـبـهاـ
 تـبـسـطـ الـرـيحـ جـنـاحـيـ كـيـ يـوـشـيـ النـدىـ
 ليـتـنيـ مـثـلـكـ فـكـراـ سـابـحاـ فـوـقـ الـهـضـابـ
 اـسـكـ الـانـقـامـ عـفـواـ
 بـيـنـ غـابـ وـسـحـابـهـ
 وـاصـرـفـ الـاشـجـانـ عـنـ
 اـنـ فيـ صـوتـكـ صـوتـاـ نـاخـجاـ فيـ اـذـنـ اـذـنـيـ

الجبار الرئيّان

في ظلام الليل يمشي مبطشاً وهو مثل الليل هولاً قد بدأ
 وحده يمشي كأنَّ الأرضَ لم تبرِ إلَاهَ عظيماً سيداً
 ويذوسن التربَ سرفعاً كما تلمسُ الأطلالُ أطرافَ السحابِ.
 فكأنَّ الجسمَ في اثوابِه من شاعرٍ وسديمٍ وضبابٍ
 قلتَ — ياطيفاً يعيق الليل في سيرِه، هل انتَ جنٌ أم بشر؟
 قال مقتاظاً وفي أفقاظه رنةُ المزءِ — أنا ظلُّ القدرِ
 قلتَ — لا ياطيف قد مات القضا
 قال مختاراً — أنا الحبُّ الذي لا يبالُ العيشَ إلَّا نائلٌ
 قلتَ — لا فالحبُّ زهرٌ لا يعيش بعد أن تذبلَ أزهارُ الربيعِ
 قال غضباناً وفي لمحته ضجةُ البحرِ — أنا الموتُ المربيع
 قلتَ — لا فالموتُ صبحٌ إنْ اتى أيقظَ النائمَ من غفلته
 قال — مختالاً أنا الجهدُ فنُّ
 قلتَ — لا فالموتُ ظلٌّ ينشي مضمحلاً بينَ خدرٍ وكفنٍ
 قال مرتباً — أنا السرُّ الذي يهادى بينَ روحٍ وبدنٍ
 قلتَ — لا فالسرُّ انت باحت به يقطةُ الفكرِ توئي كالمدام
 قال ملتفعاً — كفى تسألي من أنا. قلتَ — أفي السؤالِ ملام؟
 قال محجوياً — أنا انت فلا تسألنَ الأرضَ عنِ والسماءِ

فَإِذَا مَا شَتَّتَ اتْ تُعْرِفِنِي فَأَرْقِبِ الْمَرْأَةَ صِبَحًا وَمَا
حَالَ هَذَا وَاخْتَفَى عَنْ نَاظِرِي مُثْمِنًا الدُّخَانَ تَذَرِيهِ الرِّياحُ
تَارِكًا مَا بِي مِنْ فَكْرٍ بِهِمْ بَيْنَ أَشْبَاحِ الدَّجْنِ حَتَّى الصَّبَاحُ

الشهرة

سَكَبَتْ فِيَ الْحَزَرِ سَطْرًا عَلَى الرَّمْلِ
أَوْدَعَتْهُ كُلَّ رُوحِي مَعَ الْعَقْلِ
وَعَدَتْ فِيَ الْمَدِ أَقْرَا وَأَسْتَجَلِي
خَلَمْ أَجَدَ فِيَ الشَّوَاطِي سَوْيَ جَهْلِي



بالامس :

كان لي بالامس قلبٌ قضى وأراحَ الناسَ منهُ واستراحَ
ذلك عهدٌ من حياني قد مضى بينَ تشبيبٍ وشكوى ونواحٍ
أنا الحبُّ كنجمٍ في الفضا نورُه يمحي بانوارِ الصباحِ
وسرورُ الحبِّ وهمٌ لا يطولُ وجمالُ الحبِّ ظلٌّ لا يقيمُ
وعهودُ الحبِّ أحلامٌ تزولُ عندما يستيقظ العقلُ السليمُ

* * *

كم سهرتُ الليلُ والشوقُ معي ساهرٌ ارقُه كي لا أيام
سوخيالُ الوجدر يمحى مضجعي قاتلا «لا تدن ! فالنومُ حرام»
وسقامي هامسٌ في مسمعي «من يريد الوصول لا يشكو السقام»
ملك أيامٍ تقضت ، فابشرى يا عيوني ، بلقا طيفِ الكري
واحدوري ، ياقسُ ، ألا تذكرى ذلك العهدَ وما فيه جرى

* * *

كنتُ إِنْ هبَّتْ نسيَاتُ السحرِ أتلَّى راقصًا من مرحِي
وإذا ما سكبَ الغيمُ المطرِ خلُتهُ الراخَ فامي قدحي
وإذا البدُّ على الأفقِ ظهرَ وهي قربِي صحتُ «هلاً يستحقِي !»
كلُّ هذا كان بالامسِ ، وما كان بالامسِ تولى كالضبابِ
ومعها السلوانِ ماضيَ كما تفوت الانفاسُ عقداً من جابِ

* * *

يا بني أمي اذا جلت سعاد
فأخبروها أن أيام البعد
ومن كان الجر قد حل الرماد
فإذا ما غضبت لا تغضبا
واما سعادت من يهجمي ذاك القياد
وتحا السلوان آثار التحبياد
واما شافت فكعونوا مشفون
او اذا ما ضحكت لا تتعجبوا
إن هذا شأن كل العاشقين

ليت شعري أهل لما مرّ رجوع أو معاذ لحبيب وأليف ♪
هل لنفسي يقطة بعد المجموع لترى وجه ماضي الحيف ♪
هل يعي ايلول انقام الربيع وعلى اذنيه اوراق الخريف ♪
لا ، فلا بعث لقلبي أو نشور لا ، ولا يخسر عود المحن
ويدي الحصاد لا تحيي الزهور بعد أن تُبرى بحد المنجل

شاخت الروح بجمسي وغدت لا ترى غير خيالات السنين.
فإذا الأميال في صدري فشت بعكار أصطباري تستعين.
والتوت مني الاماني وانحنت قبل ان ابلغ حد الأربعين
تلك حالي فإذا قالت رحيل «ما عسى حل به؟» قولوا «الجنون».
وإذا قالت «أيشفي ويزول» ما به؟ قولوا «ستشفيه المون».

الدين

والذين في الناس حقلٌ ليس يزرعه غيرُ الأولى لهم في زرعه وطُورٌ
 منْ أَمْلِكِ بَنَيمِ الْخَلَدِ مِبْشِرٌ . ومنْ جهولٍ يخافُ النَّارَ تَسْتَعِرُ
 فَالْقَوْمُ لَوْلَا عَقَابُ الْبَعْثِ مَا عَبَدُوا رَبًا وَلَوْلَا الثَّوَابُ الْمَرْجُحُ كَفَرُوا
 كَأَنَّمَا الدِّينُ ضَرْبٌ مِنْ مَتَاجِرِهِ إِنْ وَانْظَبُوا رَبِحُوا أَوْ أَهْلُوا خَسِرَوا

العدل

والعدل في الأرض يبكي الجنَّ لَوْ سَمِعُوا به ويستضحك الاموات لو نظروا
 فالسجن والموت للجانين ان صفروا والمجد والفاخر والآراء إن كبروا
 فسارقُ الزهر مذمومٌ ومحترمٌ وسارقُ الحقل يدعى الباسل الخطير
 وقاتلُ الجسم مقتول ب فعلته وقاتلُ الروح لاتدرى به البشر





نظم
سبحائب نعمه

والرسم بريشة
ميراله ملبل ميراله

لو تدرك

الاشواك

سر الزهور



لو ندرك الا سواك سر الورود

يأساقِ مجلسِ بالله لا نهفلْ بكمسي بين هذى الكؤوسِ
انزعْ لغيرِي الكاس ، أما أنا . فاحسبْ كأنى لستُ بين الحلوسِ .
واعبر . ودعني فارغَ الكاس

لا ، لا تقلْ ما طابتِ الخمر لي أو انى ما ينكم $\hat{\text{ك}}\text{ـ}$ الغريبِ .
بل ان لي يا صاحبِي خمرةً ما مثلها يطفي بروحى اللبيبِ .
اعصرها من قلبي القاسي

يا مسلِ الالحانِ من عوده سحراً يهيج الصبَ حتى الجنونِ .
اما رأيت الوجهَ مني انكمش والعين غابتْ تحت سترِ الجفونِ .
فلا تقل ذي حالٍ ولهانِ

لا . لست باللهانِ يا صاحبِي ، فالقلبُ $\hat{\text{هـ}}$ في جامدٌ كالجليدِ .
لكنني مصغِ لنفسي في نفسي اوتارٌ وفيها نشيد
فاضرب . ودعني بين المخاني

يا ساكن القصر الجميل افترزْ يا صاحبِي واهنا بقصرِ جميلِ
ولتسقكَ الايام من كونِ الالذاتِ و لتنتحكَ عمرًا طويلاً
تجني الها عاماً ورا عامٍ

لا . لا تقل ما راق لي قصرك العالى أو انى لم يطب لي هوا .

نَجْلَ نَلِي يَا صَاحِبَ قَصْرًا مَابْتُ نَفْسِي بَاتْ تَلْجَا لَقَصْرِ سَوَاهِ
ذَا قَصْرِ افْكَارِي وَاحْلَامِي

جِيلْ جَالِسًا بَيْنَ الْمَحْوُدِ التَّيْ سَكَانُهَا اضْحَوْا تَرَابًا وَدَودًا
يَعِي ، أَنْ مَنْ تَبَكَّيْهِ يَا صَاحِبِي لَا شَكَّ خَدْنُّ أَوْ صَدِيقُّ وَدَودَ
أَوْ ، أَنْ تَشَاء قَلْ خَيْرُ انسَانِ

لَكَنْ غَدَّا تَنْسَاهُ . أَمَا أَنَا فِي حَيَاتِي كُلَّ يَوْمٍ وَفِينَ .
لَذَّا إِنِّي اجْتَثَّ مَا قَدْ بَلَى مِنِي ، وَكَمْ يَبْلِي رَجَاهُ نَهْيَنَ
فِي لَحْظَةٍ مِنْ عِيشَنَا الْقَانِي !

يَا حَاشِدَ الْأَمْوَالِ فَلَسَا إِلَى فَلْسِرْ يَكْدُثُ الْلَّيلَ قَبْلَ النَّهَارِ
كَيْمَاهُ صَفْرُ كَأَعْوَاهُ لَا لَوْنَ فِيهَا غَيْرُ لَوْنِ النَّضَارِ
عَمْبَاهُ تَجْرِي حِيثُ لَانْدَرِي

لَا وَالَّذِي الْأَقْدَارُ خَدَامَهُ مَا فِي فَوَادِي غَصَّةُ مِنْ غَنَّاكِ
لَذَّا قَدْ جَبَانِي الْحَظُّ بِعَضِ الْعَنْيِ يَا صَاحِبِي مِنْ غَيْرِ مَا قَدْ جَبَاكِ
فَاحْشَدُ وَلَا تَشْفَقُ عَلَى فَقْرِي

يَا حَامِلَ الْأَنْجَيلِ يَدْعُو إِلَى بَنْذِ الْمَعَاصِي مَنْذِرًا بِالْعَقَابِ
جِئْشُ وَخَلْصُ يَا أَخِي نَفْسَنَا ضَلَّتْ لَكِ تَلْقَى جَيْلَ اثْوَابِ
إِذْ يَنْصُبُ الْدِيَانَ مِيزَانَهُ

إِلَيْمَا صَمَّتَ الْأَذْنَ عنْ دُعَوَتِكَ فَاصْفَحْ وَدْعَنِي فِي ضَلَالِي مَقِيمِ

لاذ لي فؤاد قد حوى جنة والله أدرى كم حوى من جحيم
فاكرز ودع قلبي وادرانه

بها زهرة ما بين شوك نمت ولا شذاها ضل عنها البشر
حمل تدرك الاشواك يازهري ان الشذا هذا شذاك انتشر
في الحقل لا عطر لها فاحا
هل تدرك الاشواك ما تدركين ؟

سهل عطر العليل أذيه من حيث تتصين انت الاريج
علم حاك غير الشوك ثوابا له من حيث حكت انت أبهى النسيج
قد تصبح الاشواك آفاحا

لو تعرف الاشواك ما تعرفين !



أخوان جبران

اعضاء الرابطة القامية في نيويورك

الصف الأوسط

وليم كاتسفيليس (الخازن)

جبران خليل جبران (المعبد)

ميخائيل ذيبيه

الصف الآخر

عبد المسيح حداد

إليا أبو ماضي

عمال الرابطة القلبية

الصف الأول من اليمين إلى الشمال

الباس عطا الله

رشيد أبوب

ندره حداد

وديع باحوط

نسibe عريضه



فهرست

صفحة		صفحة	
٦٩	النَّكَال	٣	كلة للناشر
٧٠	الاستقلال والطراييش	٤	جبران خليل جبران
٧١	رؤيا	٥	جبران خليل جبران وعرض التصوري
٧٣	ما وراء الرداء	٩	القبور والباب
٧٥	بين ليل وصبح	١٢	نفسِي بمنطقة بأُنمارها
٨١	السم في الدسم	١٤	حفلة من رمال الشاطئ
٨٥	على باب الميكيل	١٦	سفينة في ضباب
٨٨	قبل الاتساع	٢٦	يوم مولدي
٩٠	البنفسجة الطموحة	٣٠	المراحل السبع
٩٤	مناجاة أرواح	٣٢	جبران العاشق بقلم جبرائية
٩٨	أبها الأرض	٣٥	الشاعر
١٠١	الخدرات والمباضع	٣٦	الشعراء اثنان
١٠٧	البحر الأعظم	٣٧	الشاعر البعلبي : خليل مطران
١٠٩	الثلاث الثالث	٤٢	تذكرة محب
١٠٩	الكلب الحكيم	٤٤	الله
١١٠	في سنة لم تكن قط	٤٥	يا صاحي
١١١	الجبارية	٤٦	الليل والجنون
١١٥	ابن سينا وقصيدة	٤٨	مات أهلي
١١٦	الغزالى	٥٢	ال العبودية
١١٩	جرجي زيدان	٥٥	أيها الليل
١٢١	مستقبل اللغة العربية	٥٩	وعظتني نفسى
١٢٩	ابن الفارض	٦٢	لكم لبنانكم ولـي لبناني
١٣١	حفار القبور	٦٧	بالمأس واليوم وغداً
١٣٦	العاشرة	٦٨	الأرض

صفحة		صفحة	
١٢٠	جرجي فيدان	١٤٦	شذرات
١٣٠	ابن الفارض	١٥١	العهد الجديد
١٥٠	المعتمد بن عباد	١٥٥	على شاطئ البحر
١٥٩	ديك الجن المتصي	١٥٦	الضمير
٢٢٠	لو تدرك الاشواك سر الورود	١٦٠	الوحدة والانفراد
٢٢٤	اعضاء الرابطة القلبية	١٦٢	موت الشاعر حياة
٢٢٤	منظومات جبران الشعريّة	١٦٣	حياة الحب
٢٠٤	سكوني الشاد	١٦٥	في مدينة الاموات
٢٠٥	يا من يعادينا	١٦٧	بنات البحر
٢٠٦	يا نفس	١٦٩	شذرات
٢٠٧	اذا غزائم	١٧١	الصبا
٢٠٧	البلاد المحجوبة	١٨٢	يوسنا المجنون
٢٠٩	حرمة الشيوخ	١٨٩	ارم ذات العياد
٢١٠	بالتّه يا قلبي	٢٥	ابو الطيب المتنبي
٢١٢	اغنية الليل	٣١	الخداء
٢١٣	موشحات جديدة	٣٤	ابن خلدون
٢١٤	الشحرور	٥١	الجامعة المستعطفية
٢١٥	الخياز ارويال	٥٨	بركة الدم
٢١٦	الشهرة	٦٣	وجه أمي وجه أمي
٢١٧	بلامس	٧٩	ابو النواس الحسن بن هاني
٢١٩	الدين	٩٧	مجنون ليلي
٢١٩	العدل	١٠٦	ابو العلاء المعري
٢٢١	لو تدرك الاشواك سر الورود	١١٤	ابن سينا
٢٢٤	اخوان جبران اعضاء الرابطة القلبية	١١٧	النزالي

فهرست الصور

- ٢٥ ابو الطيب المتنبي
- ٣١ الخدا
- ٣٤ ابن خلدون
- ٥١ الجائعة المستعطفية
- ٥٨ بركة الدم
- ٦٣ وجه أمي وجه أمي
- ٧٩ ابو النواس الحسن بن هاني
- ٩٧ مجنون ليلي
- ١٠٦ ابو العلاء المعري
- ١١٤ ابن سينا
- ١١٧ النزالي

